جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة المثنى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

إستراتِيجِياتُ خِطابِ الشرِّ عِنْدَ الكافرِينَ في القرآنِ الكريمِ

رسالة قدَّمها الطالب

عبدالأمير حسن خيّون

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة المثنى
وهي جزء من نيل متطلبات شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها
اللغة

إشراف

الأستاذ الدكتور

علي فرحان جواد

١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ
فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الأنعام: الآية: ٧

شكر وعرفان

بعد شكر الله تعالى على توفيقه لي لإتمام هذا الجهد في دراسة خطاب الشرِّ عند الكافرين في القرآن الكريم.

أتقدم بالشكر والعرفان إلى كلِّ من ساعدني، ووقف إلى جانبي خلال مسيرة إنجاز البحث، ولاسيّما أستاذي المِعطاء الدكتور علي فرحان جواد المحترم، الذي لم يدّخر جهداً في إعانتي، وإلى جميع أساتيذي الأجلّاء، وكلِّ مع تحمّل معي مشاق البحث، وإلى كلِّ من ساند ودعم ماديّاً ومعنويّاً، فأسأل الله أن يجزيهم عني ألف خير.

الإهداء

إلى :

المُرمّلِ بالدماءِ.

إلى:

مهتوكِ الخباءِ.

إلى:

غريبِ الغرباءِ.

إلى:

سيد الشهداء أبي عبدِ اللهِ الحسينِ (عليه السلام)

إقرار المشرف

أشهد أنّ إعداد رسالة الطالب (عبدالأمير حسن خيون) الموسومة بـ (**استراتيجيات خطاب الشرِّ عند الكافرين في القرآن الكريم)** جرى بإشرافي في جامعة المثنى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / اللغة.

الإمضاء:

المُشرف: أ. د. علي فرحان جواد

التاريخ: / / ٢٠٢٢م

بناء على التوصيات المتوافرة أرشّح هذه الرسالة للمناقشة:

رئيس قسم اللغة العربية

الإمضاء:

أ . م . د محمود عبد حمد اللاميّ

التاريخ: / / ٢٠٢٢م

قرار لجنة المناقشة

نشهدُ نحن – رئيس لجنة المناقشة واعضاءَها – أننا قد أطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ (استراتيجيات خطاب الشرِّ عند الكافرين في القرآن الكريم) التي قدّمها الطالب (عبدالأمير حسن خيون) وقد ناقشناها في محتوياتها، وفي ما له علاقة بها، ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل شـــهادة الماجســـتير في اللغة العربية وآدابها/اللغة وبتقدير ( ) .

الإمضاء:

أ.د عايد جدوع حنون

(رئيساً)

التاريخ: / /٢٠٢٢م

الإمضاء:

أ. د خالد نعيم شناوة

(عضواً)

التاريخ: / /٢٠٢٢م

الإمضاء:

أ.م. د عبدالكاظم جبر عبود

(عضواً)

التاريخ: / /٢٠٢٢م

الإمضاء:

أ. د علي فرحان جواد

(عضواً ومشرفاً)

التاريخ: / /٢٠٢٢م

أقرت من مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة المثنى

الإمضاء:

أ.د باسم خيري خضير

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية

التاريخ: / /٢٠٢٢م

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١-٥
التمهيد: سلطة خطاب الشرِّ عند الكافرين في القرآن الكريم	٧-٣٠
الفصل الأول: الاستراتيجية التوجيهية	٣٢-٧٤
مفهوم الاستراتيجية التوجيهية (Directing strategy)	٣٢-٣٣
المبحث الأول: الاستراتيجية الطلبية	٣٢-٥١
أولاً: التوجيه بالأمر:	٣٤-٤٢
رابعاً: التوجيه بالنهي:	٤٢-٤٦
ثالثاً: التوجيه بالتحضيض:	٤٧-٥١
المبحث الثاني: التوجيه بذكر العواقب وألفاظ المعجم	٥٣-٧٤
أولاً: التوجيه بذكر العواقب	٥٧-٧٦
١-عاقبة الخُسْران:	٥٥-٥٧
٢- عاقبة الإخراج:	٥٨-٦١
٣-عاقبة السجن	٦٢-٦٤
٤- عاقبة الرجم:	٦٥-٦٩
٥-عاقبة التعذيب:	٦٩-٧٢
ثانياً: التوجيه بألفاظ المعجم:	٧٣-٧٤
الفصل الثاني: الاستراتيجية التلميحية	٧٦-١٢٠
مفهوم الاستراتيجية التلميحية (Off record strategy):	٧٦-٧٨
المبحث الأول: متضمنات القول(Implicites):	٧٩-٩٨
مفهوم متضمنات القول(Implicites):	٧٩-٨٠
أولاً/ الاستلزام الحواري (Conversational Implicature)	٨٠-٩٠
أ- خرق قاعدة الكم (The Maxim of Quantity):	٨٣-٨٤

ب- خرق قاعدة الكيف (The Maxim of Quality):	٨٥-٨٩
ج/خرق قاعدة العلاقة أو المناسبة (Maxim of relevance):	٨٩-٩٠
ثانياً/ الاقتضاء التداولي (Presupposition Pragmatics)	٩٠-٩٨
المبحث الثاني: الآليات اللغوية والبيانية:	١٠٠-١٢٠
أولاً: الآليات والأدوات اللغوية:	١٠٠-١٠٨
١-أفعال الكلام غير المباشرة Indirect speech acts:	١٠٠-١٠٣
٢-(المُلمِّحات Hedges):	١٠٣-١٠٥
٣-التعبير الاصطلاحي (Idiomatic Expressio):	١٠٦-١٠٨
ثانياً: الآليات البيانية:	١٠٨-١٢٠
١-الاستعارة :	١٠٨-١١٣
٢-الكناية :	١١٣-١١٦
٣-التعريض:	١١٦-١٢٠
الفصل الثالث : الاستراتيجية الإقناعية	١٢٢-١٧١
مفهوم الاستراتيجية الإقناعية (persuasion strategy)	١٢٢-١٢٥
المبحث الأول: إستراتيجيات الحِجاج	١٢٦-١٤٧
أولاً: الآليات اللّغوية: الأدوات اللغوية (outils Linguistiques):	١٢٦-١٤٤
أ/ العوامل الحِجاجية (operateurs argumentatifs):	١٢٦-١٣٦
١-عامل النفي:	١٢٧-١٢٩
٢ – عامل القصر (إنّما):	١٢٩-١٣١
٣-عامل النفي والاستثناء:	١٣١-١٣٦
ب/ الروابط الحِجاجية (Connecteurs argumentatifs sclale):	١٣٧-١٤٣
١ – رابط التعليل الحجاجي (لام التعليل)	١٣٧-١٣٩
٢ – رابط التساوق الحجاجي (حتى)	١٣٩-١٤١
٣ – رابط التعارض الحجاجي (بل)	١٤١-١٤٣
ثانياً: الآليات البيانية:	١٤٤-١٤٧

١-التشبيه الضمني (simile):	١٤٤-١٤٦
٢-الاستعارة (Metaphore):	١٤٦-١٤٧
المبحث الثاني: استراتيجية الإقناع بالمغالطة	١٤٩-١٧٢
مفهوم المغالطة(السفسطة) (Fallacie):	١٤٩-١٥١
١-الحجة الشخصية (Argumentum ad hominem):	١٥١-١٥٩
٢-ما جرى به العمل (الاحتكام إلى التقاليد) (Appeal to Common Practice):	١٦٠-١٦٢
٣-مغالطة السخرية(paealogie to Ridicule):	١٦٣-١٦٤
٤- مغالطة الاحتكام إلى السلطة (Ad verecundiam appeal to authority):	١٦٤-١٦٥
٥-المحاجّة الجماهيرية (Argumentum populum):	١٦٥-١٦٧
٦-مغالطة المحاجّة بالتجهيل(Ad ignoratiam lArgumentrtion Parllgnorance):	١٦٧-١٦٩
٧-مغالطة النتيجة غير المباشرة(in dircat result paealogie):	١٦٩-١٧٠
٨-(مغالطة السبب الزائف) (cause non causa pro causa paealogie):	١٧٠-١٧٢
الفصل الرابع: استراتيجيات أخرى	١٧٤-٢١٧
المبحث الأول: الاستراتيجية التضامنية	١٧٤-١٩٣
مفهوم الاستراتيجية التضامنية (Solidarity strategy):	١٧٤-١٧٦
أولاً: الأدوات اللغوية:	١٧٦-١٨٣
١ -العلم:	١٧٦-١٧٨
٢ – الإشاريات deixis:	١٧٨-١٨٣
أ – الإشاريات المكانية(spatial deictics):	١٧٩-١٨٣
ب– الإشاريات الزمانية temporal deictics:	١٨١-١٨٢
ثانياً : آليات علائقية:	١٨٤-١٩٣
١- المُشاورة :	١٨٣-١٩٠

٢– تأنيب الذّات ومحاسبة النفس:	١٩١–١٩٣
المبحث الثاني : الاستراتيجية السيميائية	١٩٥–٢١٧
-مفهوم الاستراتيجية السيميائية:	١٩٥–١٩٨
-السيميائية في الخطاب القرآني _ المصطلح _ المفهوم:	١٩٨–١٩٩
-السيميائية (التواصل غير اللفظي) في خطاب الشرِّ عند الكافرين:	١٩٩–٢٠٠
أولاً: التواصل بالعين:	٢٠٠–٢٠٥
ثانياً: التواصل باليد :	٢٠٥–٢٠٨
ثالثاً: التواصل بالوجه:	٢٠٨–٢١٢
رابعاً: التواصل بحركة الرأس:	٢١٢–٢١٣
خامساً: حركة المشي:	٢١٣–٢١٥
سادساً: التطريز الصوتي:	٢١٥–٢١٦
سابعاً: التواصل باللباس والزينة:	٢١٧
الخاتمة	٢١٩–٢٢٣
المصادر والمراجع	٢٢٥–٢٤٥
المُلخَّص باللغة الإنكليزية	

المقدِّمة

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين حمداً دائماً لا ينقطع أبداً ولا تُحصي له الخلائق عدداً، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمُرسَلين المبعوثِ رحمةً للعالمين محمَّدٍ الأمين، وعلى آلهِ الطيِّبين الطاهرين وأصحابه المُنتَجبين.

وبعد:

حظي الخطاب القرآني بنصيب وافرٍ من البحث والتأمُّل؛ لما اشتمل عليه من حوارات دارت بين الأنبياء وأقوامهم، إذ تجلّى الموقف الخطابي عن قطبين للصراع وقف الأنبياء والمُصلِحون في جانب والكافرون في جانبٍ آخر وكانت استراتيجيات الخطاب اللغوي أداتهم المنظورة في محاولة الغَلَبة والتضليل والإقناع ونحو ذلك، فأخذت حيّزاً كبيراً من الخطاب القرآني وقفوا بوجه دعوات الرُسُل الإصلاحية موظّفين كلَّ قوى الشرِّ، فتنوّعت أساليبهم في المواجهة وفق استراتيجيات مدروسة، تطَّرد في هذه الاستراتيجيات أنساق لغوية من أدوات، وآليات تظهر فيها مقاصد الكافرين من السخرية، والإنكار، والإقصاء، والقتل، والتعذيب، والحرق، والرجم، أو إلصاق التّهم، والأباطيل، والتضليل تبعاً لسياق الموقف وقوة السلطة والهيمنة، فمثّل خطابهم في الشرِّ جابناً مُهمّاً من الحوار في القرآن الكريم.

ولتباين استراتيجيات الخطاب عندهم بشكل لافت وتعدّدها، وقع الاختيار على موضوع (استراتيجيات خطاب الشرِّ عند الكافرين في القرآن الكريم)، وكان الفضل في انتقائه للأستاذ المُشرِف الأستاذ الدكتور علي فرحان جواد، فكان لي شرف التكليف بالعمل تحت إشرافه ومتابعته، وعند تتبع الدراسات السابقة لموضوع الكافرين، لم تكن هناك دراسات سابقة تناولت خطاب الشرِّ عند الكافرين ضمن استراتيجيات الخطاب، أي فيما صَدر من خطاب تجاه الآخرين إلّا دراسة بعنوان (الآيات القرآنية الواردة في الكفّار دراسة عقدية تحليلية) (رسالة ماجستير) من المملكة العربية السعودية بتسليط الضوء على دعوة القرآن للكافرين ومحاورتهم وكيفية التعامل معهم، فهي دراسة في العقيدة والمذاهب للباحثة تمرة بنت ظافر بنت محمد سنة ٢٠٠٩.

وتناولت دراسة أخرى الدلالة المعجمية للصيغ الصرفية وهي رسالة ماجستير موسومة بـ(خطاب الكافرين في القرآن الكريم دراسة في الدلالة المعجمية للصيغ الصرفية) للباحث صادق بريسم كيطان في مجلس كلية الآداب الجامعة المستنصرية ٢٠١٢.

وفي موضوع الكافرين فالدراسات التي تناولته هي أطروحة دكتوراه موسومة بـ(حِجاجية الخطاب القرآني في موضوع الكافرين) للباحثة آلاء محمد كَاطع الغالبي في كلية الآداب جامعة ذي قار سنة ٢٠١٨، وقد اشتملت هذه الدراسة على الحِجاج في خطاب الكافرين، وحجاج الرُسُل والمؤمنين وحجاج الكافرين فيما بينهم، فعنيت الدراسة بأساليب التوجيه والإقناع في الخطاب في القرآن الكريم، فلم تُخصّص لخطاب الكافرين وحدهم، ودراسة تناولت مفهوم التضليل في ضوء نظريات الحجاج موسومةً بـ(مفهوم التضليل في القرآن الكريم دراسة في ضوء نظريات الحجاج) للباحثة مروة كريم هيكل في كلية الآداب جامعة ذي قار سنة ٢٠١٨، وقد اختصّت الدراسة بمفهوم التضليل و بكلام المضلّلين في القرآن الكريم باعتماد الدراسة على نظريات الحجاج لاعتماد التضليل في كثيرٍ من الأحيان على طرق الحجاج، ولم تُخصّص الدراسة عند للكافرين فقط.

ولأنَّ الدراسات السابقة لم تكن مختصّة بخطاب الكافرين وفق استراتيجيات الخطاب، إنّما اختصّت في موضوعات، واشتملت على خطاب الكافرين وغيرهم في القرآن؛ ولذلك ستعمد هذه الدراسة إلى ما تضمّنه خطاب الكافرين من استراتيجيات خطابية في القرآن الكريم، وقد تباينت نسبُ استعمالها تبعاً لمقاصد الخطاب عندهم، وسياق الموقف، فقد تناولَتِ الدراسة الاستراتيجيات تنظيراً وتطبيقاً، وقُسِّمتْ على أربعة فصولٍ تضمّن كلٌّ فصلٍ مبحثين، مسبوقةً بتمهيد ومُلحقةً بخاتمةٍ ذُكر فيها أهمُّ نتائج البحث؛ تجيء بعدها قائمةٌ بمصادرَ الدراسة.

وقد اتبعَتْ الدراسة المنهج التداولي تحليلاً في استكشاف استراتيجيات الخطاب؛ لأهميته في استجلاء الخطاب القرآني، فهو منهج يجعل من السياق وسيلةً للكشف عن قصد المتكلم، ولا تكتفي اللغة فيه بقواعدها الشكلية للبوح بمكنوناتها وأسرارها، مع استدعاء ملكة التواصل اللغوي بشقيه اللفظي وغير اللفظي التي تتحدد أبعادها في الإطار الاجتماعي؛ لأنَّ لكلِّ مجتمعٍ سياقاتٍ تتطلب خطاباتٍ محدَّدة، وتعدُّد السياقات مدعاة لتعدّد الخطابات، وهو مؤشر لتنوع استراتيجيات الخطاب.

ولعلَّ قراءة النص القرآني بمناهج حديثة يُساعد في إضاءة جوانب من الخطاب مع النظر إلى اعتبار قدرة الدرس اللغوي في مواكبة مسيرة التطوّر اللغوي في مناهجه الحديثة.

جاء التمهيد معنوناً بـ (سلطة خطاب الشرِّ عند الكافرين في القرآن الكريم) شمل سلطة الخطاب المفهوم والاصطلاح والأركان، وتعريفاً باستراتيجية الخطاب، مفهوماً واسعاً ومعايير وآليات، والوقوف على مفهوم الشرِّ في المدوّنة المعجمية، والعلوم المعرفية، وفي القرآن الكريم، وما دلّ عليه من الألفاظ.

وجاء الفصل الأول بعنوان: (الاستراتيجية التوجيهية) مُتضمِّناً مبحثين وتمهيداً نظرياً لمفهوم الاستراتيجية التوجيهية، وقف المبحث الأول منه على الاستراتيجيات الطلبية من أمرٍ، ونداءٍ، وعرضٍ وتحضيضٍ، ونهي، والمبحث الآخر جاء في التوجيه بذكر العواقب وألفاظ المعجم، وبيان التوجيه بذكر العواقب عند الكافرين مثَّل ظاهرة لافتة للنظر في خطاب التوجيه توجَّب أن تكون في مبحث مقابلٍ لأدوات الطلب، ومن العواقب التي وردت توجيهاً عند الكافرين عاقبة الإخراج، والسجن، والرجم، والخُسران، والتعذيب.

والفصل الثاني عنوانه(الاستراتيجية التلميحية)، تضمن مبحثين اشتمل المبحث الأول فيه مُتضمنات القول، (الاستلزام الحواري، والاقتضاء)، وتطرّقت الدراسة إلى الاستلزام الحواري تنظيراً وتطبيقاً لمبادئ غرايس في التخاطُب عند الكافرين بالتلميح بالمعاني المُستلزمة، أمّا الاقتضاء فتعرضَتْ لأنواعه في التطبيق على خطاب الشرِّ عند الكافرين، وتطبيقاً على خطاب الشرِّ عند الكافرين، أمّا المبحث الثاني فتناولت فيه الأول الآليات اللغوية (المُلمِّحات، والتعبير الاصطلاحي)، والآليات البيانية (الاستعارة، والكناية، والتعريض).

وجاء الفصل الثالث بعنوان (الاستراتيجية الإقناعية) بدأ بتمهيد نظري في مفهوم الإقناع، ثمَّ المبحث الأول تناول الآليات اللغوية والبيانية، فاقتصرت في الآليات اللغوية على العوامل والروابط الحجاجية؛ لاعتمادهم عليها كثيراً في استراتيجية الإقناع، ولوضوح مقاصد الشرِّ فيها، و من الآليات البيانية (التشبيه والاستعارة) ؛ لقلة الآليات البيانية في خطاب الكافرين، وجاء المبحث الثاني بعنوان (الإقناع بالمغالطة)، ذُكر فيه أهمُّ الحجج الباطلة التي أُريد بها الإقناع منها: (الحجة الشخصية، وما جرى به العمل، ومُغالطة السخرية، والاحتكام إلى السلطة، والمُحاجّة الجماهيرية، والمحاجّة بالتجهيل، ومُغالطة النتيجة غير المباشرة، ومُغالطة السبب الزائف).

وجاء الفصل الرابع بعنوان: (استراتيجيات أخرى) وُقِف فيه على استراتيجيتين توزعتا على مبحثين، المبحث الأول عنوانه(الاستراتيجية التضامنية) سُبق بمدخل نظري بمفهومها، ثمَّ قُسّم على قسمين، الاستراتيجيات اللغوية مُتمثلة بالعَلَم والإشاريات، والاستراتيجيات العلائقية التي توزّعت بين المشاورة وتأنيب الذات.

أمّا المبحث الثاني فجاء بعنوان: (الاستراتيجية السيميائية)، وأيضاً سُبِق بمِهاد نظري بمفهومها في القرآن، وفي خطاب الشرِّ عند الكافرين بوصفها تمثّل التواصل غير اللفظي، ومن الحركات الجسدية التي مثّلت هذه الاستراتيجية ضمن الاتصال غير اللفظي حركة العين، وحركة اليد، والوجه، والرأس، والمشي، والتطريز الصوتي، وأخيراً اللباس والزينة.

اعتمد البحث على مصادر عربية وغربية مُترجّمة مع كتب التفسير التي تُعدُّ رافداً مُهمّاً للباحث في القرآن الكريم، ومن أهمِّ ما اعتمد عليه: الكتب التي عُنيت بجوانب البحث التداولي، والدراسات التطبيقية، ونظريات التواصُل، وكتب الفلسفة، والمعجمات العربية، والقصص القرآنية مع الرجوع إلى كتب التراث في النحو والبلاغة واللغة.

ولكلِّ عمل صعاب وأفضل طرائق التغلُّب المواجهة، لقد واجهت الباحث في مسيرته معوقات أهمَّها صعوبة التعامل مع النص القرآني وفق منهج حديث، واختلاف المفسِّرين في كثيرٍ من الآيات القرآنية، وتعدّد المقاصد أحياناً التي تنتج أكثر من استراتيجية في الخطاب الواحد فأحار في تحديد إحداها، ولاسيّما في الاستراتيجية التلميحية، ولكنَّ دقّة نظر الأستاذ المُشرِف هوّنت عليّ عقبات البحث بملاحظاته التوجيهية، وإرشاداته السديدة، فكان لها الأثرُ الفاعل في تقويم البحث وإنجازه، فأشكر فضله، وصبره، وسعة صدره، سائلاً الله عزّ وجلّ أن يجعله ذخراً للعلم وطلّابه.

ولا أنسى كلَّ من مدَّ لي يدَ العون من أساتيذي الأجلّاء من قسم اللغة العربية، وأخصّ بالذكر الأستاذ الدكتور باسم خيري خضيرالمحترم، والأستاذ الدكتور عايد جدوع حنون المحترم، والأستاذ الدكتور كاظم داخل جبير المحترم، فلهم خالص الامتنان، وأسأله أن يزيدهم من علمه وفضله إنه سميع مجيب.

وفي الختام أقول إنني لا أدّعي الكمال فما دام عملاً إنسانياً لابدَّ أن يعتريه نقص، فما أقدّمه نزراً قليلاً أرجو أن يكون إضافة تبحث عن مكانةٍ بين الأعمال الجادّة خدمةً للقرآن الكريم ولغته راجياً من الله تعالى أن يقبله خالصاً لوجهه الكريم، ومنه أستمدُّ العون.

وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وهو ربُّ العرشِ العظيم.

الباحث

تمهيد في:

سلطة خطاب الشرِّ عند الكافرين في القرآن الكريم

١/سلطة الخطاب المفهوم و الاصطلاح والأركان:

السلطة لغةً :

السّلطة اصطلاحاً:

الخطاب لغة- اصطلاحاً:

٢/أركان الخطاب وعناصره وأسسه:

٣/ تعريف الاستراتيجية الخطابية والمقصود منها:

٤/الأسس التي تستند إليها الاستراتيجية الخطابية:

٥/معايير اختيار استراتيجية الخطاب:

-أهمُّ المعايير التي تُسهِم في بلورة الخطاب:

٦/الشَّرُّ في المدونة المعجمية:

٧/الشَّرُّ في العلوم المعرفية:

٨/الشَّرُّ في الدلالة القرآنية:

٩/ الكافرون في اللغة والاصطلاح القرآني:

١٠/الكافرون صفاتهم و تمثّلاتهم في القرآن:

تمهيد في:
سلطة خطاب الشرِّ عند الكافرين في القرآن الكريم

١/سلطة الخطاب(Authority of discourse) المفهوم والإصطلاح والأركان:

السلطة لغةً :

ورد مفهوم السلطة في المعجمات العربية بمعانٍ لا تتباين كثيراً فهي لا تخرج عن دلالة القوة، والتمكُّن، والحجة، والبرهان، والقهر، فقد ورد في مقاييس اللغة ((سلط: السين واللام والطاء أصل واحد، وهو القوة، والقهر. من ذلك السّلاطة من التسلُّط، وهو القهر، ولذلك سُمّي السُلطانُ سُلطاناً. والسُلطان: الحجة، والسليط من الرجال: الفصيح اللسان الذّرب، والسليطة المرأة الصّخابة)) [١]، فلم تتجاوز السلطة بهذهِ المعاني القدرة على الإقناع، أو الإكراه، أو التهديد، أو العنف، أو الإذعان، ويحدث الإذعان بالتزام المحكوم بطاعة السُلطان، ويتفق هذا مع ما ورد في الصحاح ((سلط: السّلاطة: القهر، وقد سلّطه الله فتسلّط عليهم، والاسم السُّلطة بالضم، والسُّلطان الوالي، وهو يُذكَّر ويؤنَّث، والجمع السّلاطين، والسُّلطان أيضا: الحُجة، والبرهان)) [٢]، وإلى جانب ما يشير إليه مصطلح السُّلطة من القوّة والقهر أيضاً أنه ((السُّلطانُ: الحجة، والبرهان)) [٣]، أي القدرة على الإقناع، وقال الزجاج(ت٣١١هـ) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴾[٤]، أي حجة ظاهرة [٥]، وقال أيضاً في قوله تعالى: ﴿فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾[٦]، أي حيثما كنتم شاهدتم حجة لله وسُلطاناً تدلّ على أنَّه واحد [٧]،

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تح: عبدالسلام محمدهارون/ دار الفكر للطباعة، : ٩٥/٣، مادة(سلط).
(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تح: محمد محمد تامر، دار الحديث :٥٥٥٢، مادة (سلط).
(٣) لسان العرب، ابن منظور تح / أمين محمد عبدالوهاب، محمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث : ٣٢٧/٦ ، مادة(سلط).
(٤) سورة غافر : ٢٣.
(٥) معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السّري الزجاج، تح/ د.عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط/١: ٣٧٠/٤.
(٦) سورة الرحمن : ٣٣.
(٧) معاني القرآن وإعرابه : ٩٩/٥.

((والتسليط التغليب وإطلاق القهر والقدرة، يُقال: سلّطه الله عليه، أي جعل له قوةً وقهراً)) [١]، ومنه ما جاء في التنزيل العزيز قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ [٢]، وبهذا يُلحَظ أنَّ مفهوم السلطة لم يخرج في المعجم العربي عن القوة، والقهر، والتمكُّن، والسيادة، والسطوة، والغلبة، والقدرة على الإقناع أحياناً، فالسلطة بمفهومها الواسع هي شكل من أشكال القوة، فهي الوسائل التي يستطيع بها شخص أن يؤثِّر في سلوك الآخرين، وتتميز القوة عن السلطة بأنَّها القدرة على التأثير في سلوك الآخر، أمّا السلطة فيمكن فهمها بأنها الحقّ في القيام بذلك[٣] .

السّلطة اصطلاحاً:

تتعدد التعريفات لمفهوم السلطة بتعدد الرؤى والاتجاهات الفكرية والفلسفية، لذا لم يُتَّفق على تعريف مُحدَّد لهذا المفهوم وقد يختلف من باحث لآخر؛ ولذا نجد في المعجم الفلسفي لـ(جميل صليبا) معانٍ عدة لهذا المفهوم منها: السلطة النفسية التي يسمّيها (السلطان الشخصي)، وهي قدرة الإنسان على فرض إرادته، والسلطة الثانية (السلطة الشرعية) وهي السلطة المُعترَف بها في القانون كالحاكم، والوالد، والقائد وهي مُختلفة عن القوة؛ لأنّ صاحبها يوحي بالاحترام والثقة، أمّا صاحب القوة فيوحي بالخوف والحذر، والسلطة الثالثة هي سلطة الوحي الذي أنزله الله على أنبيائه، واجتهادات الأئمة أسماها بـ(السلطة الدينية)، وسلطة رابعة هي سلطات الأجهزة الاجتماعية كالسياسية، والتربوية، والدينية، وغيرها[٤].

وقد ذكر (ميشيال فوكو) تعريفاً في المعجم السوفياتي بوصفها إحدى الوظائف الأساسية للتنظيم الاجتماعي على أنها قوة آمرة تمتلك الإمكانية لتيسير الأنشطة بين الناس وتنسيق المصالح بين الأفراد والجماعات بالإقناع والقسر، والسلطة تدلُّ على حقيقتين عند فوكو وهما: إمّا أن تكون أمراً وإمّا

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، السيد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تح/ عبدالعليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٤ :٣٧٧/١٩، مادة(سلط).
(٢) سورة النساء : ٩٠.
(٣) ينظر :النظرية السياسية مقدمة، أندرو هيوود، تر/ لبنى الريدي، المركز القومي للترجمة، ط/١، ٢٠١٣ :٢٢٥.
(٤) ينظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، د.جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني١٩٨٢: ٦٧٠/١.

أنْ تكون واقعاً اجتماعياً [١] وهذا يجسّدُ مفهوم السلطة ويتفق مع كثير ممن كتبوا في هذا المجال فالمجتمع ليس تراتبياً أو هرمياً، فالتفاعل يحدث بين الناس، وفي كلِّ المستويات [٢] .

أمّا في مجال الخطاب فالسلطة تعدّ عاملاً مُهمّاً في انتاج الخطاب وتأويله وتمنحه أيضا قوة إنجازية، بل عدّوها هي الخطاب نفسه [٣]، يقول الدكتور عبدالهادي بن ظافر الشهريّ : ((يتجلى دورها بوصفها محدداً رئيساً في ترجيح استراتيجيات معينة دون استراتيجيات أخرى)) [٤]، وقد عدّ (فان دايك) تفسير العلاقة بين الخطاب والسلطة من أولى مهام تحليل الخطاب النقدي، بل الأكثر من هذا يصف مثل هذا التحليل ويفسّره طريقة سوء توظيف السلطة أو تشريعها بالنصوص والكلام الذي تنتجه الجماعات والمؤسّسات المُهيمنة [٥]، ويبدو واضحاً أنّ للسلطة أثراً في نفاذ الخطاب وتوجيه سلطة المُرسِل؛ لذلك ضعُفت سلطة من لا يمتلكون القدرة وهم الأطفال والسجناء والمُتهمين والنساء، في حين يتمتع أصحاب النفوذ والسلطة بالسيطرة إلى مدى واسع ومتنوع من أدوار الخطاب وأساليبه فهم يسيطرون على الحوارات الرسمية مع المرؤوسين، فضلاً عن أن السلطة لا تظهر في الخطاب وعِبره فحسب، لكنها قوة اجتماعية تكون وراء الخطاب، فالعلاقة بين الخطاب والسلطة علاقة وثقى؛ لأن الخطاب مظهر من مظاهرها [٦].

وقد نُظِر إلى السلطة من جانب آخر على أنها ليست مُعطى سابقاً فحسب، بل يمكن أن يمتلكها الإنسان بالتلفُّظ، وهذا يؤكد على حقيقة وهي ضرورة توافر طرفين في الخطاب لكلٍّ منهما أثره، أحدهما آمر والآخر مأمور، ولا يبدو الفعل اللغوي واضحاً إلّا في الخطاب مهما كانت علامته وهما: المُرسِل، والمُرسَل إليه فيختار المرسل الاستراتيجية المناسبة تبعاً لسلطته إمّا بتفعيلها وإمّا بالتنازل عنها، ويستمدُّ المُرسِل سلطته من موقعه أي أن قوة السلطة تأتي من مكان المرسل كما يكتسي القاضي مثلا سلطته من المحكمة [٧]، ((وكلُّ نوعٍ من أنواع، وليس السلطة التي تفرض نفسها من خلال الأوامر فحسب،

(١) ينظر: المعرفة والسلطة، ميشيال فوكو، تر/عبدالعزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط/١ :٤٣.
(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، د.عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط/١ :٢٢١.
(٣) استراتيجات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٢٢٠ .
(٤) المرجع نفسه :٢٢٠.
(٥) ينظر: الخطاب والسلطة ، تون فان دايك ، تر/ غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، ط/١ ، ٢٠١٤ : ١٤٩.
(٦) المرجع نفسه: ٨٤-٨٥.
(٧) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٢٢٠-٢٢١.

وإنما تلك التي تمارس من غير أن يكون علينا ممارستها تلك التي ندعوها سلطة طبيعية والتي تسكن اللغة وأنماط السلوك ولغة العيش وحتى الأشياء كالصولجان، والتاج، وللوحات، والعتيق، والسيارت))[١].

وبهذا يمكننا القول: إنَّ ((السلطة سواء كانت من داخل الخطاب أو من ورائه لا يملكها بالقطع فرد واحد أو فئة اجتماعية واحدة؛ لأن السلطة لا تُكتسب ولا تُمارس إلا في غمار الصراعات الاجتماعية ومن خلالها)) [٢]، فدراسة مفهوم السلطة يمكن أن نعدّه الحجر الأساس عند دراسة مفهوم الخطاب وتحليله، فهي المحرِّك الأساس لتوجيه بوصلة الخطاب وإخضاع (المُرسَل إليه) لهذه السلطة.

الخطاب(discourse):

لغةً:

يدلّ مفهوم الخطاب في المعجم العربي على المحاورة بين شخصين والمراجعة، فقال الخليل(١٧٥هـ): ((الخطاب: مراجعة الكلام)) [٣]، وفي مقاييس اللغة ((الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يُقال خاطبه يُخاطبه خِطابا، والخطبة من ذلك. وفي النكاح الطلب أن يزوج قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾. والخطبة: الكلام المخطوب))[٤][٥]، وفي اللسان٧١١هـ ((الخطاب: مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مُخاطبة وخِطاباً وهما يتخاطبان))[٦].

يُلحظ من تتبع لفظ الخطاب في المعجم العربي أنّه يدلّ على المُحاورة بين اثنين، ويؤكد ذلك المعنى أن مفهومه في كتب التفسير والمعاني يدور حول التخاطب والمشاركة والحوار، أو بمعنى المواجهة وصياغة الكلام المؤثِّر في الآخرين وتنظيمه تجعله قادراً على التأثير، فيقول الراغب الاصفهاني(٥٠٢ هـ): ((المُخاطبة والتخاطب المراجعة في الكلام)) [٧]، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿

(١) الرمز والسلطة، بيير بورديو، تر / بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، ط/٣ ، ٢٠٠٧: ٧٠.
(٢) اللغة والسلطة، نورمان فير كلف، تر / محمد عناني، المركز القومي للترجمة، ط/١ :٦٩
(٣) كتاب العين، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق، د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي:٢٢٢/٤
(٤) سورة البقرة:٢٣٥.
(٥) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح/ د.عبدالسلام محمد محمد هارون: ١٩٨/٢، مادة(خطب).
(٦) لسان العرب، ابن منظور، د.أمين عبدالوهاب، د.أمين صادق العبيدي، دار إحياء التراث، ط/٢، ١٩٩٩ :١٣٥/٤ .
(٧) المفردات في غريب القران، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني ، تح/ إبراهيم شمس الدين :٢٠٥.

وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [١] قال الطاهر ابن عاشور(١٣٩٣هـ): ((فصل الخطاب: بلاغة الكلام وجمعه للمعنى بحيث لا يحتاج سامعُه لزيادة تبيان)) [٢]، وفي معنى الحجّة والغلبة في الكلام [٣] جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[٤]، وفي قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٥]، أي ألزمهم موقف الخطاب هنا الإجابة بما هو سالم من القول، أي قالوا لهم قولاً خاليا من اللغو[٦]، وفي الكليات للكفوي جاء معنى الخطاب بأنه: ((اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه)) [٧]، وقد استبعد الإشارات المُفهَمة بالمواضعة والألفاظ المُهمَلة والكلام الذي لم يقصد به الإفهام ((فالخِطاب إما الكلام اللفظي أو الكلام النفسي الموجّه نحو الغير للإفهام)) [٨].

وفي هذا المفهوم عبّر التهانوي(عن الخطاب بقوله: ((الخِطاب بالكسر وتخفيف الطاء المُهملة على ما في المنتخب وهو بحسب أصل اللغة توجيه الكلام نحو الغير للإفهام وقد يُعبّر عنه بما يقع به التخاطب)) [٩]، ومما سبق يمكن تحديد بعض من سمات الخطاب كما حددها الدارسون للخطاب منها السمة الاجتماعية، والسمة التواصلية، والسمة القصدية [١٠] .

اصطلاحاً:

والخطاب ((كان مستعملاً في الفلسفة الكلاسيكية، إذ تقابل المعرفة الخطابية عن طريق تسلسل الأسباب المعرفية الحدسية وكانت قيمته قريبة من اللوغوس (logos)[*]اليوناني))[١١]، وقد تنوعت

(١) سورة ص :٢٠.
(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ :٢٢٩/٢٣.
(٣) ينظر : الجامع لأحكام القران الكريم، أبو عبدالله بن محمد بن أبي بكر القرطبيّ، تح/د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ط/١ :١٦٦/١٥.
(٤) سورة ص:٢٣.
(٥) سورة الفرقان : ٦٣.
(٦) ينظر : الميزان في تفسير القران، محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الأعلمي بيروت ، ط/١ : ٢٣٨/١٥.
(٧) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية . أبو البقاء بن موسى الكفوي ، مؤسسة الرسالة :٤١٩/١.
(٨) المصدر نفسه : ٤١٩/١.
(٩) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم . محمد علي التهانوي، تح/ د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون : ٧٤٩/١.
(١٠) ينظر:الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مؤيد عبيد آل صوينت ، مكتبة الحضارات ،ط/١ :٣.
(*) من الكلمات التي لها أهمية وغموض في الفكرين الغربيين الديني والفلسفي، إذ تدل في سياقات شتى على مدلولات مختلفة ، كالخطاب، اللغة، العقل الكلي ، كلمة الإله ، القانون الكلي للكون ، والذي قال به هرقليطس ، أي أن القوانين الإنسانية تتغذى على قانون إلاهي واحد .للمزيد (ينظر : موسوعة الفلسفة . د.عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط/١ : ٣٧١/٢).

تعريفاته باختلاف مجالات دراسته وتأثير تلك الدراسات فيه؛ ولذا يُطلق إجمالا على أحد مفهومين أحدهما يتفق مع ما ورد قديما، و الآخر يتسم بجدته وهذان المفهومان هما[١] :

الأول: يطلق على الملفوظ الموجّه إلى الآخرين بقصد الإفهام.

الثاني: الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة.

وعلى هذا الأساس وقفوا من الخطاب موقفين: ((أولاهما: إقصاؤه من الدرس اللساني الصرف؛ لأنّه يندرج فيه بخلاف الجملة في حيز الإنجاز أكثر من اندراجه في حيز القدرة اللغوية، والثاني: الاحتفاظ به لكن على أساس أن يتخذ موضوعاً لدرسٍ لسانيٍ منفصلٍ سُمّي لسانيات الخطاب)) [٢]، فالخطاب يدخل ضمن سلسلة تقابُلات يكتسي منها قيماً دلالية أكثر دقّة هي : الخطاب / الجملة ، والخطاب / الملفوظ ، والخطاب/لغة [٣].

إنّ مصطلح الخطاب لدى الألسنيين: يعني الوحدة اللغوية المكتملة التي تمتد لتشمل أكثر من جملة ومن ثم كان تحليل الخطاب عندهم يعني دراسة علاقات الوحدات اللغوية في أي لغة سواء كانت شفاهية أم كتابية[٤]، ويعدّ هاريس(Harris) أول لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني بجعله يتجاوز الجملة ليكون خطاباً [٥]، فمنهم من يقول فيه: يُعدّ خطاباً كل ملفوظ/ مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات وفي هذا شمول الخطاب للجملة، واعتماد التواصلية معياراً، وإقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب بحيث يسمّى خطاباً كلّاً من النص والجملة والتركيب [٦].

وقد عرّف الدكتور عبدالمجيد الغيلي الخطاب بأنّه:((نظام تعاقدي يتجسّد في علامات أو أفعال يوجهه المنشئ مفيداً به مخاطَبا يتلقاه فيتمثل المخاطَب دلالته في ذهنه)) [٧]، وبهذا التعريف اشترط أيضا وجود متلقٍ (مُخاطَب)، فالكلام المطلق غير الموجه إلى الآخرين يُسمّى كلاماً، ولا يسمّى خطاباً،

(١١) معجم تحليل الخطاب باتريك شارودو – دومينيك منغنو، تر/عبدالقادر المهيري، المركز الوطني للترجمة، حمادي صمود :١٨٠.

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية :٣٦-٣٧.

(٢) الخطاب وخصائص العربية دراسة في البنية الوظيفية والنمط، د.أحمد المتوكل، مطابع الدار العربية للعلوم:٢١.

(٣) ينظر: المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، دومينيك مانغنو، تر/ محمد يحياتن :٣٨-٣٩.

(٤) ينظر: مقدمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل، تر/ د.عزالدين إسماعيل المكتبة الاكاديمية، ط/١، ٢٠٠١ :٢٧.

(٥) ينظر: تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين(الزمن- السرد-التبئير)، المركز الثقافي العربية للطباعة والنشر، ط/٣ : ١٧.

(٦) ينظر: الخطاب وخصائص العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، د.أحمد المتوكل، منشورات الاختلاف،ط/١ :٢٤.

(٧) نحو نظرية حجاجية إدراكية في تلقي الخطاب ، د.عبدالمجيد الغيلي ، دار نينوى ، ط /١ ، ٢٠٢٠ : ٢٩.

وكذلك الصورة والرسم والإشارة تسُمّى خطاباً ومنها المعاني التي توجه الى مخاطَب متمثلة في أفعال كالتظاهرات، والاحتجاجات، والحروب أيضاً تسمّى خطاباً [١]، وفي هذا نستطيع أن نقول: إنَّ الخطاب تواصل يفترض وجود مُرسِل ومُرسَل إليه يتوجه إليه الخطاب ((فلا يتحقق إلّا بالمشاركة))[٢]، وعملية الاتصال هذه تتمّ في إطارين: الأول الإطار بوصفه متوالية من الجمل المكتوبة والمنطوقه ينتجها مُرسِل أو مجموعة كما في الحوار، والآخر يطلق عليه مصطلح (أثنوجرافيا الخطابEthnography) وهو عنصر غير لغوي يشمل العادات والتقاليد والأخلاق وغيرها [٣].

٢/أركان الخطاب، وعناصره، وأسسه:

قدّم محللو الخطاب تصوراتٍ وإجراءات بربط الخطاب بالبعد التداولي وأولوا عنايتهم في الموقف التواصلي لعميلة التخاطب وما يحيط بها من ظروف، وكان تركيزهم على عناصر الخطاب: (مُرسِل)، وهو صاحب المُبادرة والتوجيه، و (مُرسَل إليه) يكون له تأثير في المخاطِب وألفاظه وتعابير وأسلوبه و نوع الخطاب، وظروف جرت فيها عميلة الخطاب مما يؤدِّي إلى نجاحه وفشله [٤]، فللمخاطَب سلطة في اختيار نوع الخطاب، واستراتيجياته، عندها يختار المُرسِل استراتيجية الخطاب المناسبة التي يستطيع أنْ يُحقّق بها هدفه، وإنْ لم تكنْ بينهما علاقة تراتبية أصلاً [٥].

فعملية التخاطُب لا تكتمل إلّا بحضور هذه العناصر، وهي: ((المُخاطِب، والمُخاطَب، والخطاب، والمساق وتتفاعل هذه العناصر الأربعة لإضفاء عنصر الاستخدام المجدي على جمل اللغة فتعرض لها – تبعاً لذلك –حالات من التكيف تؤدي إلى الإفادة الفعلية منها، وذلك حين تخرج من حيز النظام اللغوي إلى التجلّي الحقيقي ولكل عنصر من هذه العناصر السابقة دوره في هذا التجلّي، وإن كان دور كلٍّ منها لا يبدو إلّا بحضور سائرها)) [٦] ويبدو أنّ هناك تلازماً ثنائياً بين مفهوم الخطاب والتواصل ولا ينحصر التواصل في الكلام فحسب، بل حتى أنّ ما سواه من وسائل أخرى من حركات وإشارات أو

(١) ينظر: المرجع نفسه: ٣٠.
(٢) معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د.محمد سمير اللبدي، دار الفرقان، ط/١ :٧٥.
(٣) ينظر: الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، خلود العموش، عالم الكتب الحديث، ط/١: ٢٣ .
(٤) ينظر: دينامية النص تنظير وإنجاز، د.محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي، ط/٢ ،١٩٩٠ :١٩٦.
(٥) ينظر: استراتيجات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٢٢٨.
(٦) المعنى وظلال المعنى، د.محمد محمد يونس علي، دار المدارالإسلامي ، ط/٣ : ١٥١.

رموز موضوعة على قانونه ومقتضاه ، ولا تقوم حقيقة الكلام بالنطق إلّا إذا تحقّق منه قصد التوجيه، والآخر قصد إرادة الإفهام وما لم يحصل منه هذا القصد لا يمكن أن يُسمّى مُتكلِّماً حقّاً؛ لأن المُستمع أيضاً لا يكون مُستمعا حقاً [١]، وقد أجملها الدكتور الشهري بثلاثة عناصر وهي: المُرسِل، والمرسَل إليه، والعناصر المشتركة بينهما مثل: العلاقة بين طرفي الخطاب، والمعرفة المشتركة، والظروف الاجتماعية وجعل للعنصر الأخير أكثر هيمنة؛ لما له من تأثير وانعكاس في العناصر الأخرى [٢]، أمّا البلاغيون فقد اهتموا بالخطاب قديماً وعدّوه قائماً على ثلاثة أركان[٣] :

- لفظ مركَّب تركيباً تاماً.
- استعمال متكلم لهذا اللفظ.
- علّة باعثة على هذا الاستعمال.

وبهذه المكونات الثلاثة تتحدّد مكونات الخطاب وهي المعنى الحاصل من التركيب، والمعنى الحاصل من الاستعمال وما يتضمنه من دلالة على الحال الداعية لها الاستعمال.

٣/تعريف الاستراتيجية الخطابية والمقصود منها (Strategie of discourse):

ينتمي مصطلح الاستراتيجية إلى المجال العسكري فيدلُّ على طرائق الوصول إلى الأهداف بعيدة المدى، وقد انسحب إلى مجالات عدة، إذ اكتسب معنى أعمّ يفيد كلَّ عمل القيام به بطريقة منسَّقة لبلوغ هدف ما في مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومنها اللغويات الذي يحيل هذا المصطلح إلى عمليات المعالجة الموجّهة إلى الهدف والجارية عن وعٍ في اِنتاج النصِّ وتلقيه [٤]، وقد غدت الاستراتيجية (Strategie) في نظر محللي الخطاب شرطاً من شروط انتاج الخطاب، وبحسب وجهة نظر أخرى يتكون هيكل اللغة من فضائين: فضاء إكراهات يتضمن المعطيات الدنيا التي ينبغي الاستجابة لها ليكون العمل صحيحاً، وفضاء استراتيجية يطابق الاختيارات الممكنة التي يتوخاها

(١) ينظر : اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي ، د.طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي ، ط/١ :٢١٣-٢١٤.
(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية : ٣٩-٤٠.
(٣) ينظر : مقالات في تحليل الخطاب، تقديم د. حمادي صمود ، كلية الآداب والفنون في جامعة منوبة وحدة البحث في تحليل الخطاب، ٢٠٠٨ :٤٦.
(٤) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، تر/د.فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود:٣١٣.

المتكلمون ليقوموا بإخراج عمل اللغة [١]، غير أنّ الممكنات ليست كلّها قابلة للتحقّق فعلياً، وحتى نعرض للاختيارات التي أُنجزت يلزمنا وصف المراتب النوعية للقرار وفي أعلاها الخطاب المدروس[٢]، فالمُرسِل في عملية التواصل يكون في غاية الاهتمام بما سيقول، فالخطاب يمرُّ بسلسلة من العمليات الفكرية بمراعاة السياق للتعبير الأمثل عن مقاصده وغاياته[٣]، ويُعرَف هذا في الدرس التداولي بالاستراتيجية الخطابية.

٤/الأسس التي تستند إليها الاستراتيجية الخطابية:

تقوم الاستراتيجية الخطابية على مجموعة من الأسس التي تُعدُّ ركائزَ مُهمّة في انتاج الخطاب، وذات أثرٍ بالغٍ في تشكُّل الاستراتيجية:

أ-القصد Intent:

يُعدُّ القصد أحد المكونات الأساسية للنص، فكل مُنتِج خطاب غاية يسعى إلى بلوغها، فيستمد مفهوم القصد شرعيته من الدراسات اللسانية قديماً وحديثاً من فكرة مفادها أنّ كلَّ فعلٍ كلامي يفترض فيه وجود نيّة للتوصيل والإبلاغ [٤]، فلا يمكن اعتبار القصدية ثانوية، فالمتكلم منذ (أوستن وسيرل) يعني الإنخراط في شكل من السلوك القصدي محكوم بقواعد [٥]، الأمر الذي يدعو إلى القول بإن القصد عامل أساس في بناء الخطاب.

ب-الهدف Target:

ينتج المُرسِل خطابه من أجل تحقيق هدف معين، وتتفاوت الأهداف من حيث أهميتها الخطابية، فالأهداف تتفاوت من ملء الفراغ إلى السيطرة على ذهن المُرسَل إليه، أو تغيير العالم بالخطاب، ويختلف

(١) ينظر:معجم تحليل الخطاب:٥٣٣.
(٢) ينظر: حفريات المعرفة، ميشيال فوكو، تر/ د.سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، ط/٢، ١٩٨٧ :٦٢.
(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب في القرآن الكريم مقاربة تداولية في خطاب أولي العزم من الرسل، شفيقة طوبال، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف د. عيسى لحيلح، جامعة محمد الصديق بن يحيى الجمهورية الجزائرية، ٢٠١٦ :٦٤.
(٤) ينظر: من تحليل الخطاب إلى بناء الخطاب رؤية في توظيف اللغة أداة للتغيير والتطوير، د.عبدالله بن محمد المفلح، كنوز المعرفة،٢٠١٧ :٤٧.
(٥) ينظر: ما الخطاب وكيف نحلله ، د.عبدالواسع الحميري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،ط/٢، ٢٠١٤ :٣٦.

مفهوم الهدف عن القصد، فالقصد له جانبان: الأول حصول الإرادة بالتلفُّظ عند المُرسِل، والآخر معنى الخطاب كما يريده المُرسل وليست دلالته المنطقية فحسب، أمّا الهدف فهو ما نسعى إلى تحقيقه بأفعالنا، وهي الأفعال اللغوية التي يجسّدها المُرسِل في الخطاب [١] .

ج-المقامSituation:

يتألف المقام من مجموعة من العناصر منها: عنصر المُشاركين في القول، ومكان القول وزمانه، وهدفه والغاية منه، وموضوعه، وجنس الخطاب الذي يجري فيه القول، فضلاً عن قناة التعبير واللهجة المستعملة، فضلاً عن ذلك معارف المشاركين عن العالم ومعرفة بعضهم بعضا، أمّا النواة الأساسية من هذه العناصر في تشكّله، فتتمثل في المشاركين فيه وإطاره الزماني والمكاني والهدف من إجرائه [٢]، فهو كما يعبِّر عنه الدكتور تمّام حسّان بأنه ((جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يُعتبَر المتكلم جزءا منه، كما يُعتبَر السامع والكلام نفسه وغير ذلك مما له اتصال بالتكلُّم (speech event)، و ذلك أمر يتخطى التفكير في موقف نموذجي ليشمل كلّ جوانب عملية الاتصال))[٣]، ونفهم من هذا القول إنَّ المقام يضمُّ العلاقة بين المُرسِل والمُرسَل إليه و الكلام وما يحيطه من فضاء خارجي تسهم في فهم المقاصد.

د-الزمان والمكان:

يعدُّ المحدّد الزماني (Temporal) والمكاني(Spatial) للخطاب أحد الأسس التي تقوم عليها الاستراتيجية الخطابية، فالتأشير الزماني والمكاني يعبِّر عن العلاقات اللغوية بين المكونات اللغوية، والأشياء، والأحداث، والمواقف والمقامات، فالتأشير المكاني يعدُّ عنصراً مهماً في الخطاب؛ لضرورة تحديد البعد المكاني لسيرورة الخطاب، كذلك المُحدّد الزماني إطاراً جوهرياً للخطاب؛ لمعرفة البعد الكمّي الرياضي الذي يزيل الالتباس على المخاطَب بإدراكه زمن الخطاب والإحاطة بوقته[٤]، ولأهمية حضور الزمان والمكان في الخطاب، فإنّه لا يمكن التلفظ من دون الإشاريات الثلاث(الأنا، والهنا، والآن)؛

---

(١) ينظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:١٤٩.
(٢) ينظر: ما الخطاب وكيف نحلله :٥٨.
(٣) الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو-فقه اللغة –البلاغة،د.تمام حسان،عالم الكتب، ٢٠٠٠ :٣٠٤.
(٤)ينظر: التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية، دلخوش جار الله حسين دزه يي، مجلة جامعة زاخو، مج/٣، العدد/٢ ، ٢٠١٥ :٤٥٣-٤٥٥.

ولأنها موجودة في كفاءة المرسل فإنه لا ينطقها في كل حين [١]، وفي تقريب التفرّعات التي وسّعتها التداولية في امتداداتها قدّم (هانسون) تصوراً بهدف توحيد أجزائها بحسب تعقُّد السياق، فعدَّ هذه العناصر ضمن تداولية الدرجة الأولى، إذ تعتمد هذه التداولية السياق الوجودي المتمثل في المخاطبين ومعطيات الزمان والمكان [٢].

٥/معايير اختيار استراتيجية الخطاب:

تتعين استراتيجيات الخطاب بمعايير توجهها ويكون اختيار استراتيجية معينة على وفقها وهي: القصدية، والاهداف ووجود ذات مرسِلة، وذات مُستقبِلة للخطاب مما يوصّل علاقة الاستراتيجيات بمعطيات انتاج الخطاب مثل: عناصر السياق والتفاعل بين أطرافه، وهما: المُرسِل والمُرسَل إليه وكذلك علاقة الخطاب نفسه بالمرسِل لإدراك الآليات المستعملة كالاستدلال، والاستلزام الحواري، والتعبير بخطاب مباشر أو التلميح، إذ يرتبط وجود هذه العناصر بالسياق الذي انتج فيه ومدى الحاجة لبعضها [٣]، ومن أهمّ المعايير التي تُسهم في بلورة الخطاب[٤]:

١-معيار اجتماعي وهو العلاقة التخاطبية.

يقوم هذا المعيار على تحديد نوع العلاقة بين المتخاطبين وهذه العلاقة من عناصر السياق المؤثر في انتاج الخطاب باختيار الاستراتيجية الملائمة التي تُعبِّر عند قصد المُرسِل وتستقرُّ هذه العلاقة على محورين: محور العلاقة الافقية التي تجمع المتخاطبين في الدين أو الجنس، ومحور العلاقة العمودية التي تتحدد من خلال تراتبية أبناء المجتمع، إذ يكون كل فرد من أفراد المجتمع في سُلّم معين ويقوم هذا على مبدا التادُّب الذي يقتضي أن يلتزم المتكلم والمخاطَب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا الكلام [٥] .

٢- معيار لغوي وهو شكل الخطاب اللغوي من حيث دلالته على قصد المرسِل سواء بالدلالة المباشرة أو التلميحية، وفي هذا يتمّ الربط بين شكل الخطاب ومعناه مما يستلزم الربط بين قصد المُرسِل الذي

(١) ينظر: استراتيجات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٨١-٨٢.
(٢) ينظر: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، ط/١، ٢٠٠٩: ٧٨-٧٩.
(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية : ٨٦-٨٧.
(٤) ينظر: المرجع نفسه :٨٧.
(٥) ينظر: المرجع نفسه: ٨٩.

يتوخى التعبير عنه وشكل اللغة الدالة عليه من السياق، ومن ملازمة المعاني لأشكال لغوية تجسِّده في سياقات مختلفة [١]، و يحدّد هذا المعيار أربع كفايات للتخاطُب الناجح[٢]:

- كفاية الملكة اللغوية ، وهي المتخاطِب بوصفه إنسانا قادراً على التحدُّث بلغة ما.
- الكفاية اللغوية، وهذا يتطلب الإلمام والتمكّن من مواضعات لغة معينة بقواعدها ومعجمها.
- الكفاية التخاطبية، وهي القدرة على الجمع بين مواضعات لغة معينة مع متطبلات المنطق ومبادئ التخاطب.
- الكفاية الخطابية ولا يشترط وجودها في مُتكلِّم ولكنَّها تزيد المُتكلِّم في فهم الخِطاب.

١- معيار هدف الخطاب وهو((من عناصر السياق التي تسبق انتاج الخطاب، وله بذلك دور في التاثير على المُرسِل وتوجيهه في اختيار الاستراتيجية الخطابية من حيث أدواتها، وآلياتها اللغوية المناسبة التي تكفل تحقيقه)) [٣] .

وكلّ معيار من هذا المعايير في تحديد الاستراتيجيات المناسبة للخطاب هو سلطة بحدِّ ذاته في إنتاج خطاب مُعيَّن ورسم معالمه.

٦/الشرّ في المدونة المعجمية:

الشرّ : اسم جامع لكلّ صفات السُّوء والقبح والانحراف عن الجادة الصحية والفطرة السليمة. قال الخليل: ((الشرّ: السّوء، والفعل للرجل الشرير، والمصدر الشّرارة، والفعل: شرَّ :يشِرّ شرّا وشرارة . وقوم أشرار خِلاف الأخيار)) [٤]، وفي مقاييس اللغة: ((الشرّ: الشين والراء أصل يدلُّ على الإنتشار والتطاير. من ذلك الشر خلاف الخير. ورجل شرير وهو الأصل؛ لإ نتشاره وكثرته)) [٥]، وفي القاموس ((الشرُّ: نقيض الخير ج: شُرُور)) [٦] .

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية:١١٤.
(٢) ينظر : تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغايات، د.محمد محمد يونس علي ، داركنوز المعرفة ، ط/ ١، ٢٠١٦ : ٣٨.
(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :١٤٩.
(٤) كتاب العين : ٢١٦/٦، مادة (شرّ).
(٥) مقاييس اللغة : ١٨٠/٣.
(٦) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، ط/ ٨ :٤١٤، مادة(شرّ).

ولا يخرج عن هذا المعنى الزّبيدي(١٢٠٥هـ) في تاج العروس، فيقول: ((الشرّ: نقيض الخير)) [١]، وزاد في المصباح : الفساد والظلم والجمع شرور[٢]، وقد ذُكر في حديث الدعاء ((الخير كلّه بيديك، والشّرُّ ليس إليك)) [٣]، فنفى عنه تعالى الظلم والفساد؛ لأن أفعاله تعالى عن حكمة بالغة والموجودات كلّها ملكه فهو يفعل في ملكه ما يشاء ولا يوجد في فعله ظلم وفساد [٤]، ويختصر الجرجاني حدّ (الشرّ)، فيقول: ((عبارة عن عدم ملاءمة الشئ للطبع)) [٥]، ويُفهم منه الخروج عن الفطرة السليمة ومعارضة جادّة الحقّ التي خُلق عليها وضلّ عن سبيل الاهتداء[٦] وبهذا يمكن القول: إنَّ الشرّ: هو الفعل المذموم والعمل على خلاف نظم التكوين والتشريع [٧]، كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [٨]، وكلّ فعل أو قول خرج عند الجادّة الحقّة وألزم حصول الضرر سُميّ شرّاً [٩].

٧/الشرّ في العلوم المعرفية :

أ- الشرّ من منظور الفلسفة اليونانية:

اختلفت أقوال الفلاسفة حول هذا المفهوم وما يقابله وهو الخير، وذلك تابع إلى تصورات واعتقادات كلّ فئة منهم، وإنّ هذا المسالة ليست حديثة، بل هي قديمة قدم الفكر الفلسفي منذ أرسطو إلى اليوم ويرجع السبب في ذلك إلى ((الاختلاف حول مصدر القيمة الُخُلقية التي يمثلها الفعل الخُلُقي نفسه سواء كان هذا الفعل خيراً أم شرّاً)) [١٠]، فالإنسان يتنازعه في هذه الحياة عاملا الخير والشرّ وكثيراً ما ينساق الى أحدهما بدافع داخلي أو خارجي، والدين من أهمّ أهدافه وقاية الإنسان ببيان ضرره والتحذير منه،

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، السيد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح/ مصطفى حجازي :١٥٢/١٢، مادة(شرر).
(٢) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، تح/عبدالعظيم الشناوي:٣٠٩.
(٣) المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري، تح/ مصطفى عبدالقادر عطا: ٣٩٥/٢.
(٤) ينظر: تاج العروس : ١٥٢/١٢، مادة(شرر).
(٥) معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تح/ محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة :١٠٩.
(٦) ينظر:المعجم الفلسفي:٦٩٥/١.
(٧) ينظر: التحقيق في كلمات القران الكريم، حسن مصطفوي ، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي :٤٢/٦-٤٣.
(٨) سورة الزلزلة :٨.
(٩) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم :٤٣/٦.
(١٠) قضية الخير والشر لدى مفكري الإسلام ، د. محمدالسيد الجليند ، دار قباء الحديثة ، ط/٦ : ١٩.

فالفلسفة اليونانية تختلف عن ديانات سابقة في نظرتها الى الخير والشرّ، فعلى الرغم من اختلاف مذاهبها تتفق على أن الله ليس مصدراً للشرّ[١]، ((ومن بين الفلاسفة من لم يعبأ بتفسير وجود الشرّ ومنهم من عدّه عدماً ومنهم من عدّه نقصاً لازماً لوجود الخير)) [٢]، ومنهم من رأى أن الشرّ ينشأ عن الجهل فلا يرتكب الخطيئة أحد وهو عالم بأنه شرّ، أما إفلاطون فقرّر أن الشرّ قسم من الوجود الواقعي وهو موجود ومبرر وجوده هو الخير.

وليس لأرسطو موقفٌ واضح في معنى الشرّ، فهو يربطه بين الإفراط والتفريط في الأعمال الأخلاقية تبعاً لنظريته في الفضيلة [٣]، فيُعرِّف الإنسان الشرّير: ((بإنّه ذلك الذي يفعل الفعل بإرادته، أي عن علم وقصد من جانبه وهو ما من شأنه أن يجعله أسوأ من ذلك الذي يقوم بالشرّ دون إرادة منه، أي دون أن يقصد ذلك)) [٤]، وهذا يعني أنّ الشرّ من منظور أرسطو يكون عمداً وعن قصد لإحداث ضرر.

ب- الشرّ من منظور عربي:

تُعرِّف المعتزلة الشرّ: ((إنّه الضرر القبيح وما يؤدّي إليه، وفي ذلك بمقابله تُعرَّف الخير بأنه النفع الحسن وما يؤدي إليه)) [٥]، وأشار القاضي عبد الجبار المعتزلي(٤١٥هـ) إلى مصطلح (الشرّ) بأنه الضرر القبيح ويتعالى الله عن فعله [٦] .

ويضع ابن سينا للشرِّ أنواعاً[٧]:

النوع الأول: يُقال شرّ لمثل النقص الذي هو الجهل والضعف والتشويه في الخلقة.

النوع الثاني: يُقال شرّ لما هو مثل الألم والغمّ.

النوع الثالث: يُقال شرّ للأفعال المذمومة.

النوع الرابع: يُقال شرّ لمبادئها من الأخلاق.

النوع الخامس: يُقال شرّ لنقصان كل شيء عن كماله وفقدانه ما من شأنه أن يكون له.

(١) ينظر: مفهوم الخير والشرّ في الفكر الإنساني عند بعض الفلاسفة ، د.سمية الطيب الطاهر عمران مجلة كلية الاداب، جامعة الزاوية ، العدد ٢٩، ج/ الأول ، يونيو ٢٠٢٠ : ٢١٢-٢١٣.

(٢) الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي العقليون أو الذوقيون أو النظر والعمل، د.أحمد محمود صبحي:٥٢.

(٣) ينظر: موسوعة الفلسفة ، عبدالرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط/١ الملحق:١٨٧ .

(٤) مدخل الى الميتافيزيقيا مع ترجمة للكتب الخمسة الأولى من ميتافيزيقيا أرسطو، د.عبد الفتاح إمام،ط/١: ٣٩١.

(٥) مفهوم الخير والشرّ في الفكر الإسلامي عند بعض الفلاسفة (بحث):٢١٩.

(٦) ينظر: قضية الخير والشرّ لدى مفكري الإسلام :٣٩.

(٧) ينظر: المعجم الفلسفي :٦٩٥/١.

النوع السادس: يُقال الشرّ بالذات هو العدم ولا كلّ عدم، بل عدم مقتضى طباع الشيء من الكمالات لنوعه وطبيعته ، أي أن الشرّ من منظور ابن سينا ((هو نقص وحرمان من كمال ما)) [١].

وبهذا يحدّد ابن سينا الحدود التي يُقال عنها الشرّ وهي الجهل والضعف والتشويه في الخلقة ويقال

لما مثل الألم والغمّ، كما يقال للأ فعال المذمومة وكذلك الأخلاق الرديئة والمفاسد [٢] .

٨/الشرّ في الدلالة القرآنية :

تبيّن من الدلالة المعجمية لمصطلح الشرّ أنه النقيض لمصطلح الخير، فالخير ((عبارة عمّا يُختار ويُنتخب والشرّ ما يكون مرجوحاً، ولا يتمايل في اختياره وانتخابه)) [٣]، وقد ورد في القران الكريم بلفظه، وبألفاظ ترادفه تكشفها سياقاتها التي وردت فيها عن معانيها .

<u>ما ورد بلفظه</u> :

قال تعالى: ﴿ وقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴾ [٤]، فالمعنى القرآني للأشرار في الآية الكريمة هم الأشقياء الذين كان الكفّار يصفون بها من آمن مع الرسول وهم في الجنّة، فيطلبهم أهل النار فلا يجدونهم [٥]، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [٦]، يقول الطبرسي(ت٤٦٥هـ): ((الشُّر: الضرر القبيح، وهذا هو الأصل، ثم يستعملان في غير ذلك توسُّعاً، يقال : شرَّ يشِرّ شرارة، وشرار النار وشررها: لهبها)) [٧]، فالمعنى الأصلي للفظ الشرّ في القرآن يقترب كثيراً من المعنى المعجمي فيكون مضمونه القبح ، والظلم والفساد ومن تلبّس بهذا المفهوم فهو شرّير لا يصدر منه شيء خارج عن هذا، وفي معنى البؤس والشدّة

(١) الخير والشرّ في الفلسفة الإسلامية دراسة مقارنة في فكر ابن سينا ، د. منى أحمد محمد أبو زيد ط/١ :١٤.
(٢) الخير والشر في الفلسفة الإسلامية :١٢.
(٣) التحقيق في كلمات القران الكريم :٤١/٦.
(٤) سورة ص : ٦٢.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٩٢/٢٣، والميزان في تفسير القرآن:٢٢١/١٧.
(٦) سورة البقرة :٢١٦.
(٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار العلوم ،ط/١ : ٥٩/٢ .

والعذاب جاء قوله تعالى : ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴾ [١]، فشرّ ذلك اليوم بأسُه وشدته وعذابه[٢]، وفي معنى الفقر والبؤس والشدة [٣] جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـوسٗا﴾ [٤]، وقد جمع الطبرسي(٤٦٨هـ) دلالات الشرّ في مورد الآية القرآنية المباركة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [٥]، فقال: ((الشرّ إظهار السوء الذي يبلغ من صاحبه وهو نقيض الخير، وقيل: الشرّ الضرر القبيح، والخير النفع الحسن، وقيل الشرّ: الضرر الشديد، والخير: النفع الكثير. وهذا ليس بالوجه؛ لإنه قد يكون ضرراً ما لا يكون شرّا، بأن يعقب خيراً وأصل الشر الإظهار)) [٦]، وفي هذه المقارنة بين لفظي الخير والشرّ تنبّه الطبرسي على دلالة الإظهار في معنى الشرّ يعني أن الشرّ فضلاً عن صفة الضرر، وأن يكون قبيحاً وسيئاً يكون ظاهراً، وبه ذمّ سبحانه وتعالى الكفّار بأن جعلهم شرّ من دبّ على وجه الأرض من الحيوان [٧] .

وفي معنى العمل خلاف نظم التكوين والتشريع في قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾[٨]، أي أن مراتب التكوين والخلق في أنفسها حق وخير،لا باطل فيها ولا شرّ، والخروج عن مجرى التكوين والتشريع إنما توجّب الخروج عن الخير، والفلاح والنظم الطبيعية [٩]، ويأتي الشرّ بمعنى العذاب[١٠] كما في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴾ [١١]، ووصف الباري عزّ وجلّ أحوال القيامة وأهوالها بالشرّ؛ لكونها مضرّة بمن تنزل عليه، كما تُسمّى الأمراض وسائر الأمور المكروهة شروراً [١٢].

(١) سورة الإنسان: ١١ .
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤٦٨/٢١.
(٣) ينظر : المصدر نفسه :١٦٣/١٣.
(٤) سورة الإسراء :٨٣.
(٥) سورة الأنفال :٢٢.
(٦) مجمع البيان في تفسير القرآن :٣٣١/٤.
(٧) ينظر: المصدر نفسه الصفحة نفسها.
(٨) سورة الفلق :٣.
(٩) التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ٤٣/٦-٤٤.
(١٠) المعجم الموسوعي لألفاظ القران الكريم وقراءاته ، د.أحمد مختار عمر، مؤسسة سطور المعرفة ،ط/١ : ٢٥٦.
(١١) سورة الإنسان :٧.
(١٢) ينظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الرازي ، دار الفكر ، ط/١ :٢٤٢/٢١.

الألفاظ الدالّة على الشرِّ في القرآن الكريم:

١-الفساد:

أعظم الفساد الكفر بآيات الله تعالى والصدّ عن سبيله وخداع أوليائه، فكان من أسباب هلاك الأمم هو إفسادهم في الأرض [١]، فهو حامل لمضمون الشرّ، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢] قال ابن عاشور(١٣٩٣هـ): ((الفساد: إتلاف الأنفس والأموال، فالمُحارِب يقتل الرجل لأخذ ما عليه من الثياب)) [٣]، وقال الراغب الأصفهاني(٥٠٢هـ) : ((الفساد خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان أو كثيراً ويضادّه الصّلاح ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الإستقامة)) [٤]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ [٥] ، وهذا المفهوم يقترب من معنى (الشرّ) الذي تبين أنه الخروج عن سنن الكون والفطرة السليمة والانزياح عن الجادّة الحقّة [٦] .

٢-البأس:

يأتي البأس دالّاً على الشرّ، ففي قوله تعالى: ﴿وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾ [٧]، قال ابن عاشور(١٣٩٣هـ): البأس: هو القتل والشرّ[٨]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ [٩]، أي تقيكم أذى الحرب وما يعرض فيها من الجراح الناشئة من ضرب السيف والرمح والسهم [١٠] .

---

(١) ينظر: الآيات الواردة في الكفار دراسة عقدية تحليلة ، تمرة بنت ظافر بن محمد بن سعيد آل سلمان الشهري، إشراف د.علي حسين يحيى موسى، جامعة الملك خالد/ المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير، ٢٠٠٩ :١٨٦.
(٢) سورة المائدة:٣٣.
(٣) التحرير والتنوير:١٨٣/٦.
(٤) المفردات في غريب القرآن:٥٠٠.
(٥)سورة البقرة:١١ .
(٦) ينظر : التفسير البسيط، علي بن أحمد بن محمد الواحدي، تح/ محمد بن صالح بن عبدالله الفوزان، ١٤٣٠هـ، سلسلة الرسائل الجامعية، المملكة العربية السعودية:٣٥٤/٧.
(٧) سورة الأنعام:٦٥.
(٨) التحرير والتنوير:٢٨٤/٦.
(٩) سورة النحل:٨١.
(١٠)ينظر: البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ،تح/ عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض : ٥٠٨/٥.

٣-السوء:

السَّوْء: بفتح السين لغة تدلّ على الشرّ والانتقام[١]، والشرّ: السّوء كما قيل: (حسبك من شرٍّ سماعُه)[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِۚ ﴾ [٣]، فمطر السَّوء هنا الشرّ[٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾[٥]، أمّا السُّوء بضم السين فهو شدّة القبح والشرك [٦]، و هي أيضاً لا تنفكّ عن معنى الشّر منها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٧].

٩/الكافرون في اللغة والاصطلاح القرآني:

الكفر في اللغة :

يدور لفظ الكفر في المعجم العربي حول الستر والتغطية، أو اللباس، ولذا ورد الكافر في المعجم العربي بمعنى الليل، والبحر، ومغيب الشمس، وكلّ شيء غطّى شيئاً فقد كفره، والرجل يكفر درعه بثوبٍ كَفْراً، إذ لبسه فوقه، فذلك الثوب كافر الدرع [٨]، وهذا المعنى يتفق تماماً مع ما جاء عند ابن فارس(٣٩٥هـ)، إذ قال: ((كَفَرَ الكاف، والفاء، والراء: أصل يدلّ على معنى واحد وهو الستر والتغطية. يُقال لمن غطَّى درعه بثوبٍ قد كفر درعه)) [٩] ،ومنه قول لبيد في معلّقته :

حتى إذا ألقت يداً من كافر وأجنَّ عوارات الثغور ظلاما [١٠]

(١) المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته:٩٦٢.
(٢) ينظر: المكنز الكبير معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادات، د.أحمد مختارعمر، سطور،ط/١: ٨٣٢ .
(٣) سورة الفرقان :٤٠.
(٤) المعجم الموسوعي لألفاظ القران الكريم وقراءاته:٩٦٢.
(٥) سورة الفتح :٦.
(٦) المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته :٩٦٣.
(٧) سورة يوسف : ٥٣.
(٨) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي:٣٥٧/٥، مادة (كفر).
(٩)مقاييس اللغة :١٩١/٥، مادة (كفر).
(١٠) ديوان لبيد بن ربيعه شرح الطوسي ، تح/ د.حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ،ط/١ :٢٣١.

والكفر ضد الإيمان، سمّي كذلك؛ لأنه تغطية الحقّ، وكذلك كفران النعمة: جحودها وسترها [١]، ورجل كافِر جاحد لأنعم الله مشتق من الستر، وقيل لأنه مُغطّى على قلبه [٢]، ويأتي الكفر بمعنى البراءة[٣]، كقوله تعالى حكاية عن الشيطان إذا دخل النار: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [٤]، والكُفْران: سَترُ نعمة المُنعم بالجحود، أو بعمل هو كالجحود في مخالفة النعم [٥]، ولذلك ورد لفظ الكفّار بمعناه المعجمي وليس بالمدلول القرآني في قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ﴾[٦] والكفار هنا: الزرّاع؛ لأنّه إذا ألقى البذر في الأرض كفَرَه، أي غطّاه [٧].

الكافرون في الدلالة القرآنية:

الكُفْر: هو ستر الحقّ اعتقاداً ولساناً وعملاً، في مقابل الإيمان الذي هو اعتقاد بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان، فإنّ للكفر مراتب كما أنّ للإيمان مراتبَ، فقد يكون الإنسان كافراً إلى مرتبة ومؤمن بالنسبة إلى مرتبة أخرى [٨]، فعن الإمام الصادق –عليه السلام– قال: الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه [٩] : منها كفر الجحود وهو على وجهين، والكفر بترك ما أمر الله، وكفر النعم فأمّا كفر الجحود فهو الحجود بالربوبية وهو قول من يقول: لاربَّ ولا جنة ولا نار منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[١٠]، وصنف آخر وهو الجحود على معرفة، وهو أن يجحد الجاحد ويعلم أنه حقّ حتى استقرّ عنده، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[١١]، ووجه ثالث هو كفر النعم ومنه قوله تعالى المحكي عن سليمان: ﴿هَذَا مِن

(١) ينظر مقاييس اللغة :١٩١/٥، مادة(كفر).
(٢) ينظر: لسان العرب : ١١٨/١٢، مادة(كفر).
(٣) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، تح/ عبد العليم الطحاوي :٦١/١٤-٦٢، مادة (كفر).
(٤) سورة إبراهيم :٢٢.
(٥) معجم التعريفات :١٥٥.
(٦) سورة الحديد : ٢٠.
(٧) ينظر: تفسير غريب القرآن ، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، تح/ محمد صبحي بن حس حلاق ، دار ابن كثير، ط/١ :٢٦٥ .
(٨) ينظر:مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري ، دار التفسير،قم ، ط/٥ : ١٠٩/١
(٩) ينظر: الميزان في تفسير القرآن:٥٥/١-٥٦.
(١٠) سورة البقرة :٦.
(١١) سورة النمل : ١٤.

فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[١]، والوجه الرابع ترك ما أمر الله تعالى به، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[٢]، والوجه الخامس الكفر: البراءة وذلك منه قول قول إبراهيم-عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ ﴾ [٤] .

وأحيانا يُقال الكُفْر: كفر بالشيء، أي بسببه، وكفر بالشيطان كفر بسببه، ويقال إذا خالف الشيطان [٥]، كقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ [٦]، وفيها قال الزمخشري(٥٣٨هـ): ((اختار الكفر بالشيطان)) [٧]، و((أعظم الكفر جحود الوحدانية أو الشريعة أو النبوة، والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالا، والكفر في الدين أكثر، والكُفُور فيهما جميعا...، والكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية، أو النبوة، أو الشريعة، أو ثلاثتهما))[٨]، والكُفْر يأتي بمعنى التكذيب والاستهزاء[٩]، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ﴾ [١٠]، فالكفر هنا: التكذيب [١١]، ففي هذه الآية خطاب للمؤمنين أنْ لا يقعدوا مع المنافقين والكافرين وهم يكفرون بآيات الله ويستهزئون[١١]، وقد وصف الباري عزّ وجلّ (الكافرين) في مورد مَنْ امتنع عن أداء الزكاة بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا

(١) سورة النمل : ٤٠.
(٢) سورة البقرة :٨٥.
(٣) الممتحنة :٤.
(٤) سورة إبراهيم :٢٢.
(٥) المفردات في غريب القران : ٥٧١.
(٦) سورة البقرة :٢٥٦.
(٧) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، تح / عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط/١ : ٤٨٧/١.
(٨) المفردات في غريب القرآن :٥٦٩.
(٩) المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم : ٣٩٣.
(١٠) سورة النساء :١٤٠.
(١١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن :١٤/١٠.

بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [١]، يقول الشوكاني: فيها دليل على أن كلَّ كافر ظالم وفي معناها العام مانع الزكاة منعاً يوجب كفره لوقوع ذلك في سياق الإنفاق [٢] .

وإجمال ما جاء في معنى الكفر في المعجم العربي والقرآن الكريم يمكن القول: بأن الكفر: هو ما ينقض الإيمان من الأقوال، أو الأفعال، أو الاعتقاد.

١٠/الكافرون صفاتهم الشّريرة، و تمثّلاتهم في القرآن:

-الشرك بالله:

الشرك: هو ما ناقض التوحيد بمراتبه الثلاث وهي توحيد الذات والصفات و الأفعال[٣]، وهو أول أصول الكفر. قال ابن عاشور: ((فإنَّ أصول كفرهم ثلاثة : الإشراك، وتكذيب الرسول-صلى الله عليه وسلم- وإنكار البعث، والجزاء في الآخرة)) [٤]، لذلك حذّر تعالى منه في أكثر من موضع كقوله: ﴿ومَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [٥] ، فهو وجه من وجوه الكفر وصفة غالبة على الكافرين.

-الحسد:

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[٦] والاستفتاح: الاستنصار فكانوا يستنصرون على الأوس والخزرج بالنبي -صلى الله عليه وآله وسلم-قبل مبعثه فلمّا بُعث ولم يكن منهم كفروا به و جحدوا، فكان السبب الرئيس في العناد والحسد هو زوال سلطتهم ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ ﴾، أي النبي محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-عرفوا صفته فكفروا طلباً للرئاسة [٧].

(١) سورة البقرة :٢٥٤.
(٢) ينظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تح/ يوسف الغوش، دار المعرفة، ط/٤ : ١٧٤.
(٣) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم:٥٨/٦.
(٤) التحرير والتنوير:٢١٠/٢٣.
(٥) سورة النساء:١١٦.
(٦) سورة البقرة :٨٩.
(٧) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن :٢١٦/١-٢١٧.

-إنكار البعث:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [١]، وهنا يبغون أن تصير سبيل الله عوجاء فيريدون أن يتبع النبي دينهم ويغضبون من مخالفته إياه والضمير (هم) يفيد تقوية الحكم في إنكارهم البعث [٢].

- تكذيب دعوة الأنبياء:

تكذيب الأنبياء والاستهزاء بهم وإيذاؤهم سمة عامة للكافرين، فكانت من أسباب هلاكهم [٣]، فقال تعالى: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [٤]، فهم يعلّلون دائماً سبب الرفض للدعوة إلى الله بالتكذيب وإلصاق الأباطيل وهي حجة من حججهم الواهية، ففي قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[٥]، فالهمزة هنا بمعنى (بل)، وهنا تسوق الآية مقام تكذيبهم للنبي-صلى الله عليه وآله وسلم-وطلب المعجزات [٦]، ((والإضراب الإنتقالي في قوّة الاستئناف الابتدائي فللجمل حكم الاستئناف والمناسبة ظاهرة؛ لان الكلام في إبطال مزاعم المشركين فإنهم قالوا هذا كلام مفترى وقرعهم بالحجة)) [٧]، وبذلك يقول جل شأنه: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ﴾ [٨]، ففي كثير من سور القرآن جاءت الآية تمثّل خطاب الكافرين في تكذيبهم وهي: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ﴾[٩]، ((فوصفهم إياه بالسحر ينبئ بأنهم كذّبوا بكونه من عند الله ولم يستطيعوا هذياناً وباطلاً هرعوا إلى ادعائه سحراً))[١٠].

(١) سورة هود :١٩.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير :٣٤/١٢.
(٣) ينظر: الآيات الواردة في الكفار دراسة عقدية تحليلة:١٩٣.
(٤) سورة ق :١٤.
(٥) سورة هود :١٣.
(٦) ينظر: فتح القدير :٦٥٠/١٢.
(٧) التحرير والتنوير : ١٨/١٢.
(٨) سورة الحج :٥٥.
(٩) سورة يونس :٢.
(١٠) التحرير والتنوير : ٩/ ١١٣.

ومن ملامح التكذيب في خطاب الكافرين أنهم يقسِمون و يجهدون أنفسهم بالقسم تكذيباً منهم ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

– الجحود بعد معرفة:

ومن صفات الكافرين التي تمثّلت بأنهم جاحدون لنِعم الله فهناك جحود آخر: وهو الجحود بعد المعرفة واليقين. قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(٢)، يقول الزمخشري: بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم: هي من الله، ولكنّها بشفاعة آلهتنا، وقيل: إنكارهم قولهم ورثناها من آبائنا، وفي معنى النعمة هنا نبوة النبي محمد –صلى الله عليه وآله–كانو ينكرونها عناداً (٣).

– تجاوزهم حدّ الله:

وقد وصفهم القران الكريم بقوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾(٤) وقيل المعتدون هم الذين جمعهم أبو سفيان المجاوزون الغاية في الظلم والشرّ (٥)، والواضح أن خطاب الكافرين في مجمله من العناد والحسد و تجاوز حدود الله والجحود متأتٍ من سلطة اجتماعية متعالية تأبى أن تتنازل عنه، ويمكن أن نجد هذا التعالي في خطابهم في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (٦)، وهذه

(١) سورة النحل :٣٨.
(٢) سورة النحل :٨٣.
(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل : ٤٦٠/٣.
(٤) سورة التوبة :١٠.
(٥) ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل : ١٧/٣.
(٦) سورة البقرة :١١١.

من مزاعمهم، وهي دعوى باطلة واعتقاد خاطئ وفيها جحود وعناد أيضا [١]، ومنها قوله تعالى على لسانهم: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ ﴾ [٢].

– التسلُّط :

من الصفات التي اتصف الكافرون بها: التسلط، والخطاب المتعالى الذي يلف جميع الصفات في إطار واحد وهو السلطة، لذا عند تتبع الخطاب القرآني المتمثل في الكافرين عند اعتمادهم استراتيجية توجيهية مبطّنة بشيء من التهديد وذكر العواقب، ويمكن تلمّس مظاهر السلطة بوصفها مجموع الدوال التي تتمحور حولها المرتكزات السلطوية وترسم أبعاد المواقف وتوضح حقيقة الأهداف، فالمظاهر السلطوية تمثل مرتكزات للسيطرة على الجماعة، فهي تعدُّ بتنوعاتها وتشكيلاتها المختلفة تجلياً تكشف عمّا تضمره من حقيقة سلطوية متمثلة بمجموعة من المظاهر منها الإلوهية، والربوبية، والطاغوتية، والأكابرية [٣] ، وكلّها أدوات فاعلة في تكوين الخطاب السلطوي، فالسلطة والقوة التأثيرية آتية من مجموعة مصادر، وفي مقدمتها المُرسِل بوصف الفاعل الرئيس في الخطاب [٤]، مضافاً إلى ذلك تضخُّم صوت الأنا متمثلاً في خطاب الملأ في أغلب الحوارات معهم في الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك.

(١) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن :١ /٥٤٦.
(٢) سورة البقرة :١٣٥.
(٣) ينظر: خطاب السلطة في القرآن الكريم، د.رياض كريم العمري، دار الخليج ، ط/١ ، ٢٠٢١: ٣٦.
(٤) ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط/١ ، ٢٠١٤ :٨٨.

الفصل الأول

الاستراتيجية التوجيهية

مفهوم الاستراتيجية التوجيهية (Directing strategy):

المبحث الأول

الاستراتيجيات الطلبية

أولاً: التوجيه بالأمر:

ثانياً: التوجيه بالنهي:

ثالثاً: التوجيه بالتحضيض:

توطئة:

مفهوم الاستراتيجية التوجيهية (Directing strategy):

تُعرَّف الاستراتيجية التوجيهية بأنّها الاستراتيجية التي يرغب فيها المُرسِل تقديم توجيهات ونصائح وأوامر يُفترض أنها لصالح المُرسَل إليه، ولا يُعدُّ فعلاً لغوياً، فحسب وإنّما وظيفة من وظائف اللغة التي تعني بالعلاقات الشخصية بحسب تصنيف هالداي[١]، فالمُرسِل قد يتلفظ بخطابه مراعاة لعلاقته الحسنة مع المُرسَل إليه أو بقصد تأسيسها، ولكنَّه قد يعمد إلى استراتيجية أخرى فلا يكترث إلى هذه الاعتبارات في خطابه فيتلفظ على وفق ما تقتضيه الاستراتيجية التوجيهية التي لا تناسبها الخطابات المرنة التي تمنح الأولوية لمبدأ التهذيب والتخلُّق؛ لأسباب تتعلق بأولوية التوجيه على التادُّب في خطابات النصح والتحذير، فيكون همُّ المُرسِل التبليغ وتحقيق غرضه الخطابي بإغفال جانب التأدُّب، ومن هذا يكون التوجيه ضغطاً وتدخلاً بدرجات متفاوتة على المُرسَل إليه [٢]، فهناك من العناصر التي تعطي التوجيه قوّته الإنجازية [٣] :

-سلطة المرسل.

-جهة المنفعة الإنجازية، إمّا باتجاه المُرسِل، أو باتجاه المُرسَل إليه.

فتكون نتيجة الفعل التوجيهي مُلزمة للمُرسَل إليه عبر سلطة المُرسِل، إذ إنّ استعمال الاستراتيجية التوجيهية نابعٌ من علاقة سلطوية، فتوافر السلطة لدى المُرسِل تعدُّ شرطاً أساساً في استعمال معظم آليات استراتيجية التوجيه، حتى لو كانت السلطة مختبئة وراء المُرسِل كالسلطة الدينية التي تسوّغ استعمال مثل هذه الاستراتيجية[٤] .

تقوم الاستراتيجية التوجيهية في أغلب آلياتها على مفهوم نظرية الفعل الكلامي (speech act) التي تعدُّ النواة المركزية في كثير من الأعمال التداولية، وفحواه أنّ كلَّ ملفوظٍ

---

(١) ينظر: الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية ، د.إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإنسانية، مج/٨ العدد/١٥، ٢٠١٤: ٥٤٩.

(٢) ينظر: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، د.يوسف تغزاوي، عالم الكتب الحديث، ط/١ ، ٢٠١٤ :١٩٧.

(٣)ينظر :استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، د.عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار كنوز المعرفة، عمان- الأردن، ط/٢، ٢٠١٥م:٨٥/٢.

(٤) ينظر: المرجع نفسه/٨٦/٢.

ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، فضلاً عن أنّه يُعدُّ نشاطاً مادياً يتوسل أفعالاً قولية(Actes Loutoires)؛ لتحقيق أغراضٍ إنجازية (Actes illocutoires) كالطلب، والأمر، والوعد ...إلى غير ذلك، وغايات تأثيرية(Actes Perlocutoires) تخصّ ردّ فعل المتلقي كالرفض والقبول[١]، فأفعال الكلام التوجيهية تمثّل محاولة المُرسِل لتوجيه المُرسَل إليه للقيام بعمل ما، ومن أمثلتها أفعال الطلب والسؤال التي يؤدي غياب القصد إلى إخلالٍ تواصلي[٢]، ومن الآليات اللغوية في الاستراتيجية الطلبية ضمن استراتيجية التوجيه الأفعال الكلامية الدالّة على الطلب[٣]، وهي أنواع من أفعال الكلام التي يستعملها المُرسل؛ ليجعل شخصاً يقوم بشيء ما وهي تعبِّر عما يريده، وتتخذ أشكال أوامر وطلبات ومقترحات سلبية كانت أم إيجابية [٤]، ويتضمن مجالات فرعية كطلب الفهم والمعرفة كالاستفهام والاستيضاح، ومجال الطلب كالإقبال بالنداء والاستغاثة، ومجال الطلب أو الترك كالأمر والنهي[٥].

(١) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي :٤٠.
(٢) ينظر: التداولية البعد الثالث في سيموطيقا موريس، د.عيد بلبع، كنوز المعوفة ، ط/٤، ٢٠٢١ :٢٥٤.
(٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د.محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر ،٢٠٠٢ :١٠٠.
(٤) ينظر: التداولية ، جورج يول، ترجمة قصي العتابي ، دار الأمان ، ط/١، ٢٠١٠ :٩٠.
(٥)ينظر: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، د.علي محمود الصراف، مكتبة الآداب،٢٠١٠ :٢١٦.

المبحث الأول
الاستراتيجيات الطلبية

أولاً: التوجيه بالأمر (Imperative):

الأمرُ من الإنشاء الطلبي كما صُنِّف من الأفعال التوجيهية بحسب تصنيف سيرل[١] ، فيعرِّفه العلوي(ت٧٤٥هـ): ((صيغة تستدعي الفعل، أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على وجه الاستعلاء))[٢]، فالأمر في لغة العرب: استعمال فعل الأمر، وفعل المضارع المقترن بلام الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر، واسم فعل الأمر على وجه الاستعلاء وهي (حقيقة فيه) كما قرّر ذلك السكّاكي(ت٦٢٦هـ) [٣]، غير أنّ الأصوليين لم يشترطوا الاستعلاء[٤]، والأصل فيه أن يكون من الأعلى إلى الأدنى وقد يخرج لغرض بلاغي يقتضيه السياق[٥]، ومن المحدَثين من يرى ((أنَّ الأصل في صيغة الأمر تُستعمَل في طلب حصول الفعل على سبيل التكليف والإلزام من الأعلى للأدنى، وقد تُستعمل في غير هذا الأصل بمعونة السياق وقرائن الأحوال))[٦]. يقول سيبويه في فعل الأمر: ((واعلم أن الدعاء بمنزلة الأمر والنهي، وإنّما قيل (دعاء)؛ لأنّه استعظم أن يقال: أمر ونهي، وذلك قولك اللّهم زيداً فاغفر ذنبه)) [٧]، وقد جعل المُفسِّرون أيضاً الأمر والدعاء بمنزلة واحدة؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما طلب [٨].

---

(١) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد هاشم الطباطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤: ٣١ ، ينظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، د.قدور عمران، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط/١، ٢٠١٢: ٦٠.

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز، يحيى بن حمزة بن إبراهيم العلوي، دار الكتب الخديوية، ١٩١٤: ٢٨١-٢٨٢.

(٣) ينظر: مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكرمحمد بن علي السكّاكي، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، ط/١، ١٩٨٣: ٣١٨.

(٤) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، قيس إسماعيل الأوسي، بيت الحكمة جامعة بغداد: ٨٧.

(٥) ينظر: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د. محمد سمير نجيب اللبدي:١٢.

(٦) علم المعاني دراسة بلاغية ونقديه لمسائل المعاني، د.عبد الفتاح فيود بسيوني، مؤسسة المختار،ط/١،٢٠١٥: ٣٥٦.

(٧) الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبرسيبويه، تح/ د.عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط/٣، ١٩٨٨: ١٤٢/١.

(٨) ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل :١٢١/١.

فصيغة الأمر تندرج ضمنها ظاهرة الأفعال الكلامية عند التداوليين المعاصرين[١]، وهي من التوجيهات غرضها إنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء مُعيَّن واتجاه المطابقة فيها من العالَم إلى الكلمات وشرط الإخلاص يتمثل في الرغبة الصادقة ويدخل في إطاره: الأمر، والنصح والإشارة والاستعطاف، والتشجيع [٢]، وقد درس (سيرل) الأفعال اللغوية فصنّفها خمسة أصناف منها الأفعال التوجيهية، وحدّدها بالمحاولات الخطابية التي يقوم بها المُرسِل، بدرجات مختلفة، للتأثير في المُرسَل اليه؛ ليقوم بعمل معيّن في المستقبل، إذ تندرج هذه الأفعال من درجة التواضع واللين بوصفها محاولات مثل الاقتراح والدعوة حتى تصل الى درجة الإكراه والفرض بالقوة لعمل شيء ما، ويكون محتواها القضوي دلالةً على إرادة عمل في المُستقبل، وتشتمل هذه الأفعال على السؤال، والطلب، والالتماس أو الاستجداء، والتضرُّع، والتوسُّل أو الاستعطاف، والتشجيع، والإذن، والنصح، والتحديات[٣]، و لعلّ أشهر صيغ الأمر(صيغة الفعل) كونه يجعل التلفُّظ بالصيغة دلالة على الوجوب لمعانٍ متعددة تُفهَم من السياق، كما في قولنا: (اغلقْ البابَ) ليفهم من سياقها الحضّ، أو التهديد، أو الإباحة...إلى غير ذلك [٤]، وعندما تخالف ألفاظه مبادئ الحوار وقواعد التعاون التي أقرّها غرايس تُفهم دلالاتها عند تحليلها تداولياً [٥] .

وقد وظّف الكافرون آلية التوجيه بالأمر في خطاباتهم في مقامات تخاطبية مختلفة حملت مضمون الشرّ، ومنها:

أ-التوجيه بالأمر السلطوي:

ما ورد من الأوامر التوجيهية في خطاب الكافرين من قوم لوط-عليه السلام-بعدما نهاهم عن القبائح و الفواحش، فكان جوابهم لدعوة نبيهم توجيه بالأمر بإخراجه من مدينتهم في قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[٦]، فـ (أخرجوهم): فعل أمر طلبي مباشر غرضه الإنجازي الحرفي إخراج

(١) ينظر:التداولية عند العلماء العرب ، د.مسعود صحراوي:٤٩.
(٢)ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د.محمود أحمد نحلة :٤٩-٥٠.
(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٢/٩٧-٩٨.
(٤) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة أوستين، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، ١٩٩١ :٩١.
(٥)ينظر: استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي مقاربة تداولية : د.باسم خيري، مؤسسة علوم نهج البلاغة،٢٠١٧: ١٣٣.
(٦) سورة الأعراف: ٨٠-٨١-٨٢.

لوط–عليه السلام– أمّا قوته الإنجازية غير المباشرة فهي التهديد، وقد استلزم هذا المعنى؛ لأنّه لم يكن جواباً عمّا كلّمهم من إنكار الفاحشة، بل أجابوا بكلام آخر لا يتعلق بنصيحته وهو إخراجه ومن معه من المؤمنين، ضجراً بهم وبما يسمعون من وعضهم ونصحهم(١)، ووفقاً لمبدأ الملاءمة(principe de pertinence) لم يكن ملائماً لمفوظه، والأمر صادر من سلطة عليا، فقد صدر من علية القوم إلى عامّتهم والسبب في طلب الإخراج إنهم نُزلاء ليسوا منها، وهم يتنزّهون عمّا تأتونه ويتطهرون، فجاء الأمر بالإخراج بسبب ضعفهم فليس لهم عدّة وشدّة(٢)، زيادة على اعتماد المُرسِل إلى صيغة الأمر المُباشرة ولم يراعِ مبدأ التأدُّب(٣)، فالكافرون هنا لم يجيبوا عن قول لوط–عليه السلام– بل المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ ﴾، أي لم يجيبوا عمّا قال(٤)﴿ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ ﴾، فعمدوا إلى الصيغة المباشرة؛ لعدم مراعاتهم التأدُّب، وهو دليل على الإنكار والتسفيه فإعراض من جهةٍ وأمر بشدّةٍ وغلظة من جهة أخرى.

واستعمال المُرسِل للإشارية الشخصية (Personal deictics) منها واو الجماعة التي تحيل إلى المأمور هم جماعة وليس واحداً، فقد زاد من قوة السلطة في تنفيذ الفعل وهو الإخراج، ثمَّ علّلوا لفعل الطلب بفعل كلامي تقريري ﴿ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾، أي يتنزهون عن الفواحش على سبيل السخرية(٥).

ولأهمّية فعل الأمر في الاستراتيجية التوجيهية يُلحظ هذه التقنية في خطاب الكافرين، حاملة خطاب الشرِّ المتأتي من سلطة اجتماعية، وفي هذا المعنى تكرّر الخطاب التوجيهي عند الكافرين فنجد في سياق آخر قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾(٦).

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل :٤٧٠/٢، وينظر: الحوار في القرآن الكريم قواعده – أساليبه - معطياته ، محمد حسين فضل الله :٣٠٠.
(٢) ينظر: الميزان :١٨٨/٩ .
(٣) ينظر: نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، د.هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، ط/١، ٢٠٠٧ :١٥١.
(٤) ينظر:مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي :٢٢٢/٤.
(٥) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمرو بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تح/ عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٨ :٢٠٦/٩.
(٦) النمل :٥٦.

وتأتي توجيهات أشدّ من الإخراج متحققة بصيغة (فعل الأمر) الصريح في استراتيجية التوجيه عند الكافرين من قوم إبراهيم–عليه السلام–عندما وجّهوا بحرقه، فجاءت التوجيهات(Dierctives) متساوقة لتنفيذ الحرق، فأول التوجيهات الأمر بإتيانه ﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ﴾ [١]، فجاء الأمر من سلطة عليا؛ لتنفيذ العقاب وتشهد الناس منظر العقاب، أو يشهدوا على ما ارتكبه بحقِّ أصنامهم[٢]، وقوله تعالى على لسانهم: ﴿عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ ومعناه الاستعلاء المجازي؛ لشدّة تحديقهم إليه، و ليُنظَر إليه نظراً لا خفاء معه حتى كأنه ماشٍ على أبصارهم متمكِّنا منهاً؛ ليشهدوا ما يحلّ به من عذاب وهم ملؤه وخاصّته، و أن استعمال(لعل) لا تناسب حضور جميع الناس ساحة العقاب؛ لأنهم إذا حضروا حتماً سيشاهدون المنظر[٣]؛ لأنّ بعضاً منهم سمعه يذكر الأصنام بسوء ومن هنا طلبوا إحضاره أمام الناس [٤]، ولتحقُّق شرط الإخلاص في الإرادة والرغبة الصادقة من المُرسِل وشرط المحتوى القضوي من المُرسَل إليه تحقّقت إنجازية الفعل، فأتوا به لمحاكمته﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾[٥] بعد ما دفعتهم الحجّة وعجزوا عن معارضته عدلوا عن الركن الأخلاقي للمناظرة التي يجب أن تكون في الخلوة بدل المحافل لما فيها من فائدة نظرية وأخلاقية [٦]، ثم أتت المواجهة المباشرة مع الخصم التي سلكها إبراهيم–عليه السلام– فدعتهم لاتخاذ أحد الموقفين: موقف الاعتراف بالحقيقة مع اكتشاف الخطأ وموقف العناد والمكابرة التي افقدتهم احترامهم لأنفسهم واحترامهم الآخرين[٧]، فاختاروا الموقف الآخر، ليأتي التوجيه بالإحراق بفعلي أمر في قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[٨]، فجاء الجواب متمحوراً ﴿ اقتلوه أو حرّقوه ﴾، فلم يتردّدوا في جوابه وكانت كلمتهم واحدة في تكذيبه وإتلافه[٩]

(١) سورة الأنبياء:٦١.
(٢) ينظر: الأمثل في تفسير الكتاب المُنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث بيروت، ط/٢، ٢٠٠٥ :١٣١/١٠.
(٣) ينظر: المرجع نفسه:١٣٢/١٠.
(٤)ينظر: القصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق، ط/١، ١٤٢٧هـ :٢٢٨/٢ .
(٥) سورة الأنبياء:٦٢.
(٦) ينظر:الحجاج والمخالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديد المتحدة، رشيد الراضي، ط/١، ٢٠١٠ :٨٨.
(٧) ينظر:الحوار في القرآن الكريم، محمد حسين فضل الله :٢٥٩.
(٨) سورة العنكبوت :٢٤.
(٩) ينظر:التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور :٢٤٣/٢٠.

حتى تتحقق الخاصية التوجيهية بفعل الطلب؛ لأنَّ من مسوغات اللجوء إلى الاستراتيجية التوجيهية هي ((حصول تحدٍّ واضح للمرسِل أو لتعليماته، أو تحدٍّ ضدّ الأنظمة والتعليمات العامة، أو بالإساءة اليه رغم سلطته))[١].

فالقوه الإنجازيه لفعلي الطلب، هي: القتل أو الإحراق بعد حصول تعدٍّ على آلهتهم وتسفيهها ودعوتهم إلى الله تعالى ثم اتفقوا على تحريقه [٢] ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾[٣] نصرةً لتلك الآلهة؛ لأنها مُهدّدة بالخطر، والآمر بذلك إمّا بعضهم لبعض وإمّا كبراؤهم قالوا لأتباعهم أقتلوه لتستريحوا منه عاجلاً [٤]، ومن تقنية التوجيه يرجّح الباحث القول الثاني؛ لأنّ الأمر الصادر بالإحراق أمر لا يصدر إلا مَنَ امتلك السلطة التي تجيز له إصدار أمر كهذا، وقد تكرّر هذا الطلب (الإحراق) الدالّ على الشدّة والكثرة. حرَّق تحريقاً إذا أكثر الإحراق[٥]، فأرادوا بهذا قوة الفعل المُنجَز، إذ ترى (هولمز) سببين يدفعان المتكلم لتعديل قوة إنجازية الفعل أولهما تعديل لنقل المعنى المرتبط بسلوك المتكلم، والآخر تعديل مرتبط لمعنى تأثيري(Afecttive meaning)[٦]، أرادوا به ترهيبه؛ لأنّ الإحراق أشدُّ حالات الإعدام .

وقد اعتمد النمرود استراتيجية التوجيه (بفعل الأمر)عندما قُرِعت حجته وافتضح أمره[٧]، وهذا أسلوب اعتاده الكافرين عندما يفشلون في أسلوب الحوار يعتمدون أسلوب القوة[٨]، فبعدما ألزمهم إبراهيم–عليه السلام– الحجّة وأسكتهم بالبرهان وناقشهم بمنطق العقل وأمرهم، تبيَّن ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [٩]، بعدما واجهوه بأسلوب التخويف من قوة أصنامهم وشركائهم وأرادوا منه أن يكفَّ عن تحدي الأصنام والشركاء وعقيدتهم

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربه تداوليه :٩٠/٢.
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن :٣٥٣/١٦.
(٣) سورة الأنبياء :٦٨.
(٤) ينظر: تفسير البحر المحيط :١٤٣/٧-١٤٤.
(٥) التحقيق في كلمات القرآن الكريم :٢٣٤/٢.
(٦) ينظر: تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، د.محمد العبد، مجلة فصول، العدد/٦٥، ٢٠٠٥ :١٤٥.
(٧) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٢٨٦/١٧.
(٨) ينظر: أدب الخطاب في القران الكريم، د.عبد الرحمن سعود إبداح، دروب للنشر والتوزيع، ٢٠١٦ : ٢٠٩.
(٩) سورة الأنبياء :٦٥.

بشكل عام بحجة الخوف عليه من انتقام تلك الآلهة التي يعتقدون بقدرتها على الإساءة لمن يتحداهم [١]، وبعدما كسَر أصنامهم وبطلت الحجة لديهم لم يبقَ لهم الّا التوجيه بإحراقه بالنار، وعلى أتباعه الإذعان والالتزام بالتوجيه، وهذا ما يسعى إليه مُستعمِل الاستراتيجية التوجيهية، لذلك نرى مقدمات لهذا الإحراق عبارة عن توجيهات بأوامر ألزمت أتباعه التنفيذ والطاعة .

فالمُرسل في كامل سلطته(In full authority) لإصدار التوجيهات وهي بناء جدران للاستعداد للحرق ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ [٢]، وقد تحققت إنجازية فعل التوجيه أو الغرض الإنجازي للأمر من الفعلين (ٱبۡنُواْ)، و(أَلۡقُوهُ) اللذين يشتركان في القوه الانجازية في حرق إبراهيم–عليه السلام– لكنّ الافتراض السابق يختلف، ففي الفعل الأول يفترض إنّه ليس هناك بنيان أصلاً، أمّا الإلقاء فيُفترض أن البناء قد تحقّق الذي تقول عنه كتب التفسير إنه جدار عظيم والنار قد أضرمت فيه ﴿فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ﴾: وهي النار العظيمة[٣]، فالمُرسِل حين يوجّه خطابه يُفترض إنّه معلوم له [٤]، لهذا وصفت النار (بالْجَحِيمِ) التي يفترض أنها معلومة لدى المُخاطَب وهم عامّة الناس بأنّها نارٌ عظيمةٌ مُسجَّرةٌ .

يُلحظ أنّ أفعال التوجيه في تهديد إبراهيم–عليه السلام (ائتوا، اقتلوا، حرّقوه، انصروا) كلّها موجّهة للجمع وهذا يدلّ عن أن الجميع مشاركون في إحراقه [٥]، واستعمل الكافرين من قوم لوط– عليه السلام– فعل التوجيه (أخرجوهم) وهو الأمر الذي يدعو إلى القول إنَّ المُنفِّذ لفعل التوجيه هو جمع من الكافرين، إلّا إنَّ الفرق بين التوجيهين هو أنّ قوم لوط–عليه السلام–قد علَّلوا سبب التهديد، أمّا قوم إبراهيم فسبب التهديد معلوم عند الجميع وهو تسفيهه لأصنامهم.

وكأن الحكم بالقتل عُرف جرت عليه العادة عند الكافرين تحقيقاً للسلطة، وتثبيتاً لها، وإضعافاً للخصم، وتعطيلاً لمشروع الأنبياء الإصلاحي، فقد وظّفه فرعون ضمن هذه آلية التوجيه في خطابه في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ [٦]، فجاء هنا التوجيه بفعل الأمر(ٱقۡتُلُوٓاْ)، الذي يعد مصاديق الشرّ في خطاب الكافرين فأراد فرعون إعادة القتل كالذي كان بعدما أمسك عنه بعد أن

(١) ينظر: الحوار في القرآن الكريم: ٢٦٠-٢٦١.
(٢) الصافات :٩٧-٩٨.
(٣) ينظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب :١٥٠/٢٦.
(٤) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر :٢٦.
(٥) ينظر: القصص القرآنية:٢٣١/٢.
(٦) سورة غافر :٢٥.

بعث الله موسى–عليه السلام– ليصدّهم ذلك عن متابعة موسى ومظاهرته [١]، وبعد أن أعيته الحجّة وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ [٢] ، والسلطان هنا هو الحجّة أو البرهان الواضح [٣]، وهذه الحدّة والشدّة في خطاب التوجيه بالقتل وهو أشد أنواع الشرّ خوفاً منه على عرشه وملكة [٤]، لكنّ القتل هنا يختلف عنه في قصة إبراهيم، فالقتل هنا قتل الأبناء وليس قتل المؤمنين به وهو أسلوب طاغوتي لم يقتصر على المدّة التي سبقت ولادة موسى–عليه السلام–وإنَّما تكررت في إثناء نبوته وهي خطة لإبادة الطاقات الفعّالة [٥]، ويؤيد هذا قول بني إسرائيل في سياق آخر: ﴿أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ [٦]، فالقوة الإنجازية المباشرة لفعل التوجيه (ٱقۡتُلُوٓاْ) القتل وهو فعل توجيهي نتيجته إلزامية؛ لأنه خاضع لسلطة المُرسِل؛ لأنّ العلاقة علاقه سلطوية بين المُرسِل والمُرسَل إليه، والسلطة و هي مؤشر نجاح هذه الأفعال[٧]، والمأمورون بهذه التوجيه حتماً حاشيته وملؤه[*]، أمّا القوة الإنجازية غير المباشرة فأراد به قتلاً غير هذا القتل كما يذهب الزمخشري، أي((أعيدوا عليهم القتل كالذي كان أولاً))[٨]، والفعل التأثيري (Act perlocutoire) هو الفعل الناتج عن القول فأراد به توهين قوة موسى–عليه السلام–وبحسب تصنيف (أوستن Austin) لأفعال الكلام يمكن تصنيف خطاب (المُرسِل) في الآية المباركة من (أفعال الأحكام) التي تتمثل في حكم يصدره قاضٍ أو حكم بالقتل هو بمثابة حكم يُعاقَب به من لم يمتثل لأوامر السلطة ويخرج عن أرادتها [٩]، ولم يتحقق شرط المحتوى القضوي لفعل التوجيه، أي لم يقع ما أمروا به ولا تمّ ولا أعانهم الله عليه ﴿وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾.

---

(١) ينظر: التفسير البسيط، الواحدي: ٣٧٧/١٩.
(٢) سورة هود:٩٦.
(٣)ينظر: البحر المحيط :٤٤٠/١٧.
(٤)ينظر: المرجع نفسه:٤٤٠/١٧.
(٥)ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:١٧٨/١٥ .
(٦) سورة الأعراف:١٢٩.
(٧) ينظر:استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، دليلة قسيمة(رسالة ماجستير مخطوطة)إشراف، د. محمد بو عمامة، كلية الآداب واللغات ، الجمهورية الجزائرية، ٢٠١٢ :١٨١.
(*) يؤكد هذا الكلام أن أوامر القتل كانت تصدر بمعية ملئه ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ﴾ خاطب به ملأه . ينظر: الميزان:٣٢٧/١٧.
(٨)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:٣٤٠/٥.
(٩) ينظر: آفاق جديده في لبحث اللغوي المعاصر:٤٦.

تمثل التوجيهات السابقة من أوامر القتل والإخراج وقتل الأبناء مظاهر للطغيان السياسي وهو طغيان السلطة في الهيمنة وفرض القوة والسيطرة، وممارسة الحكم بصورة تحكمية قهرية، فهو مظهر للتسلُّط المهيمن، أي فرض القوة والهيمنة على الجماهير بلحاظ السلطة [١]، ولدوام هذه السلطة الطاغوتية يحرصون على دوامها بكلِّ الأساليب، فيشدّدون على بقاء الناس على الوثنية وعبادة غير الله تعالى، فالملأ يسلك مسلكين يمثّلان خطاب الشرّ [٢]:

الأول: المحاربة المباشرة لدعاة الحقّ، وهذا ما تبين في التوجيهات السابقة.

الثاني: التحريض على دعاة الحقّ، وهذ ما يُلحظ في خطاب الملأ من مشركي مكة في مواجهة النبي– صلى الله عليه وآله وسلم– في قوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾[٣]، فالتوجيه هنا(امشوا واصبروا) من الملأ بعد أن ضعُفت حيلتهم موجّهين أتباعهم بالصبر على عبادة الآلهة والتمسُّك بها [٤]، فإنجازية الفعل المباشرة هي البقاء على عبادة الأصنام، والفعل التأثيري تضليل الناس وتحريف الحقيقة في نفوسهم، فهم يعلّلون لهم أسباب التوجيه بأنَّ هذا الأمر ظاهرياً دعوة إلى الله، ولكنّه يهدف إلى الرئاسة والسيادة عليهم وهذا معنى قولهم: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾ [٥]، فدواعي التحريض دواعٍ سلطوية بالدرجة الأساس، القصد منها الحفاظ على سلطتهم من الزوال.

ب– التوجيه بالتوسُّل:

تأتي ضمن استراتيجيات التوجيه بآلية الأمر عند الكافرين بطلب آلهة يتقربون بها إلى الله في قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ [٦]، فجاء التوجيه بفعل الأمر(اجعل) بإنجازية مباشرة(Direct) تتمثل في طلبهم أن يعين لهم اصناماً يتقربون(*)بها إلى الله تعالى[٧]، ففعل

(١) ينظر: خطاب السلطة في القرآن:٨٢-٨٣.

(٢) ينظر: الملأ في القرآن الكريم ودوره في فساد المجتمعات وصلاحها، ومنهج القرآن في إصلاح هذا الفساد، آمال خميس عبد القادر حمّاد، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث، العدد/٣٥، ٢٠١٥ :٣٣٣.

(٣) سورة ص:٦.

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل:٢٤٤/٥.

(٥) ينظر: الأمثل:٣٣١/١٤.

(٦) سورة الأعراف :١٣٨.

(*) تخبرنا قصة موسى–عليه السلام–عن جانب مُهِم وهو عقب انتهاء قصة فرعون أثيرت مشكلة داخلية وهي مشكلة الوثنية وهم جهلة بني إسرائيل والمعاندون، فهي أشدُّ وأثقل على موسى من مواجهة فرعون والملأ . ينظر: الأمثل:١٢٨/٥

(٧)ينظر: مفاتيح الغيب :٢٣٢/١٤-٢٣٣.

التوجيه هو فعل التلفظ والمُتلفظ بعض بني إسرائيل والمُتلفَظ له موسى–عليه السلام– يتحول بعد إلى متلفظ؛ لأن المقام مقام حوار والأمر هنا توسّل مفاده أنّ بني إسرائيل أصيبوا بالعدوى التي تصيب الأرواح والأجسام وانسلخوا من عقيدتهم التي جاءهم بها موسى –عليه السلام– بل نسوا حتى لحظة انقاذهم من فرعون وملئه وخروجهم سالمين من مصر[١]، فالسياق يُخبِرنا عن جهل بني إسرائيل، إذ توهَّموا أنه يجوز عبادة غير الله بعدما رأوا الآيات التي توالت عليهم حتى غرّقهم الله بكفرهم فلم يردعهم ذلك[٢]، وطلبهم هذا يستلزم إنه لم يكن ذلك شكاً من بني إسرائيل بوحدانية الله، وإنّما (اجعل لنا شيئاً نعظّمه ونتقرب بتعظّيمه إلى الله)، وكان ظنهم أن هذا لا يضرّ بديانتهم [٣] .

أمّا فعل التوجيه المباشرة (direct) (اجعل) يستلزم التوسّل، الذي يحمل شحنة ترابطية علائقية يتطلب ردود فعل إيجابية أو سلبية، فالأمر لم يصدر من سلطة عليا، لذا كان جواب موسى–عليه السلام–﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾، الذي يسمّى التفاعل الخطابي ووصفه إياهم بالجهل كون الجهل صفة ثابتة لهم[٤]، وطلبهم هذا هو كفر وعناد وارتداد كما جروا على عادتهم في تعنتهم مع أنبيائهم[٥]، لذلك اختاروا هذهِ الاستراتيجية؛ لأنَّ بني إسرائيل كانوا ماديين يجرون في حياتهم على أصالة الحسّ ولا يعتنون بما وراءه، لذا طلبوا من موسى–عليه السلام– أن يجعل لهم إلهاً ماديّاً[٦].

ثانياً: التوجيه بالنهي(Prohibition):

يُعدّ النهي من آليات التوجيه وهو من الأمريات (Les directifs) في تصنيف سيرل للأفعال الكلامية التي يُمثِّل محاولة المُرسِل لتوجيه المُرسَل إليه للقيام بعمل ما، والغرض منه غرض أمري (طلبي)[٧]، وهو الغرض الإنجازي Peformative في محاولة التأثير في المخاطَب .

(١)ينظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، قدور عمران، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط/١، ٢٠١٢ :٨٢-٨٣.
(٢)ينظر: التفسير البسيط الواحدي: ٣٢٤/٩.
(٣) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل المسمّى تفسير الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، ضبط وتصحيح/عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، ط/١، ٢٠٠٤: ٢٤/٢.
(٤) البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني :٨٣.
(٥) ينظر: البحر المحيط:٣٧٧/٤.
(٦) الميزان في تفسير القرآن :٢٣٩/٩.
(٧) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب:٣١.

فهو طلب الكفّ عن الفعل استعلاءً، ويتحقق عادة بصيغة معروفة وهي (لا) الجازمة مع الفعل المضارع في نحو قولك: (لا تفعلْ)، وهو كالأمر في الاستعلاء [١]، ويُتحَمَّل عليه مجازات من الالتماس، والدعاء، والتهديد، والإرشاد، والتمني، ويؤكِّد الدكتور مسعود صحراوي أنَّ النهي فيه فعل كلامي أصلي، وإنَّ المعاني المجازية المتضمِّنة في النهي المنبثقة عن الأصل لدى اللغويين والنحاة إنّما هي أفعال كلامية تؤدي أغراضاً خطابية ووظائف تواصلية معيَّنة يحكمها مبدآن: الأغراض، والقصد الذي يبتغيه المتكلِّم من الخطاب[٢]، وهذه الأغراض أضيق من الأمر، لذلك فإن نسبة النهي الحقيقي المُقيَّدة بالاستعلاء تحتمل مفهوماً عاماً للنهي يتضمن الالتماس (لا تردّ هديتي)، والتضرُّع ((ربنا لا تؤاخذنا)) وربّما أفادت ضرباً من الالتماس والنصح (لا تذهبْ فالطريق غير سالكة)، ولكنّ من العسير أن نجد عمل نهيٍ يحمل دلالة التمني إلّا اذا كان المنهي عنه (المخاطَب أو المأمور) غير عاقل[٣]، غير أنَّ أغراض النهي التي ذكرت في الفكر اللغوي القديم بتسمياتٍ كالأغراض الأصلية، والأغراض الفرعية، أو يستعملون مصطلح (معاني الكلام) للإشارة إلى (أفعال الكلام) عامّة، يُعَّبر عنها في مفهوم التداولية أفعال اللغة المباشرة وأفعال اللغة غير المباشرة [٤] .

ويُفهم من هذا بأنَّ غرض النهي تُحدّده طبيعة العلاقة بين طرفي الخطاب وسلطة كل منها، فضلاً عن ظروف إنتاج الخطاب وسياقه.

وقد يستعمل المُرسِل النهي (لا الناهية) مع نون التوكيد في الفعل المضارع فيكون ذلك مؤشراً تداولياً على أنَّ النهيَ يعلو النهي في الخطاب السابق؛ لأنَّ فيه تأكيداً نتيجةً لمعرفة المرسِل بالمُرسَل إليه، ونوع العلاقة بينهما، وبعناصر السياق، وفي هذا نجد أنّ النهي طبقات بناءً على السياق التداولي، ومعرفة المُرسَل وخصائصه من حيث الضعف والقوة [٥] .

(١) ينظر: مفتاح العلوم :٣٢٠، مختصر المعاني، سعد الدين التفتزاني، دار الفكر، قم ،١٤١١هـ: ١٤١، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد القزويني :١١٧.
(٢) ينظر: التداولية عند العلماء العرب :١١١ .
(٣) ينظر: دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات، د.شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط/١ :٢١١ .
(٤) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني. العياشي أدواري: ٦٧، ونظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي: ٤٤٤.
(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٣٥٠-٣٥١

ومن التوجيهات التي جاءت بآلية النهي عند الكافرين ينهون أتباعهم من سماع القرآن والتمسُّك بآلهتهم منها قوله تعالى على لسانهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [1]، فخطاب الكافرين هذا قاله رؤساؤهم لأتباعهم، أو قاله بعضهم لبعض وهم كفّار قريش حال إعراضهم عن الدعوة المُحمدية، عندما أيقنوا أنَّ كلَّ مَنْ يسمعه وتداخل نفسه جزالة ألفاظه قضى له فهمه أنه حق إتباعه أدركوا ذلك، ولكنَّهم غالبتهم محبّة سيادة قومهم (سلطتهم)، فمنعوا الناس استماعه [2]، ففي فعل التوجيه الكلامي ثلاث إنجازيات ذكرها الماوردي(ت٤٥٠هـ) في قوله تعالى: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ أحدها: لا تتعرضوا لسماعه، والثاني: لا تقبلوه، والثالث: لا تطيعوه من قولهم السمع والطاعة [3]، ويمكن الاستدلال على إنجازية ضمنية تقتضي(اسمعوا كلامَنا)؛ لأنّ المتكلِّم حين ينهى المُخاطَب عن فعل شيء فإنه يتوخّى من ذلك إقدام المخاطَب على فعل شيء آخر [4]، وهذا ما أكّده سيبويه بقوله: ((لأنك إذا نهيت، فأنت تزجّيه إلى أمرٍ آخر))[5] ، وقد أتبع فعل الطلب وهو النهي بفعل توجيهي آخر وهو(ألغوا) وهذا ما يُسمّى (بالتوجيه المركّب)[6]، وقد جاء التوجيه بالنهي على افتراض سابق وهو أن المُرسَل اليهم الخطاب قد سمعوا القرآن، وقد يكون سماعه مُبرِّراً لتوجيه الخطاب في النهي عن سماعه، ومن آمن به أو قارب إلى الإيمان به، والمتكلم هنا في منزلة الآمر[7]، فهو صاحب المبادرة والسلطة، و((الافتراضات المسبقة من العناصر التي تُسهم في اختيار استراتيجية الخطاب)) [8].

ومن جانب آخر أنّ التوجيهين (لا تسمعوا، ألغوا) يؤدّيان إلى فعل تأثيريActe perlocutoire واحد وهو عدم الإيمان بالدعوة، فيتحقّق الثاني بتحقّق الأول، أي لا يمكن قيامهم باللغو والضوضاء إلا بعد توقفهم عن سماعه، ولتحقق شرط الإخلاصCondition de sincerite من المُرسل، والشرط الأساس Condition essentielle في محاولة التأثير في السامع ونوع الإجبار الذي

(١) سورة فصلت: ٢٦
(٢) ينظر: مجمع البيان: ١٦/٩، والتحرير والتنوير :٢٧٦/٢٤-٢٧٧.
(٣) ينظر: النكت والعيون، الماوردي :١٧٨./٥
(٤) ينظر: الأفعال غير الواجبة في كتاب سيبويه الأمر- والنهي إنوذجاً، د.نعيمة الزهيري،ضمن التداوليات علم استعمال اللغة، تقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث الأردن، ط/١، ٢٠١١ :٤٩٤.
(٥) الكتاب، سيبويه، تح/ د.عبدالسلام محمد هارون، ط/٣ ، ١٩٨٨ :٢٨٩.
(٦) التوجيه المركب: آلية من آليات الاستراتيجية التوجيهية وهو أن يستعمل المرسل في توجيه المُرسَل إليه أكثر من آلية في خطاب واحد، وقد يجمع بين الآيتين أو أسلوبين متضادين حيث يدعم أحدهما الآخر في تحقيق التوجيه، ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٣٦٣.
(٧) ينظر: مفاتيح الغيب :١٢٠/٢٧، وآفاق جديده في البحث اللغوي المعاصر :٢٦.
(٨) الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، د.نادية رمضان، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع :١٢٣.

يخضع له المُرسَل إليه [١] ، فقد أحدث التوجيه أثراً effe وهو امتناع السماع الذي يكشفه السياق القرآني وهو حالهم يوم القيامة ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾ [٢] بأن سبب غوايتهم أولئك الذين كانوا ينهونهم عن سماع قول النبي– صلى الله عليه وآله وسلم – ويكثرون من اللغو حتى لا يسمعوا صوت كلامه [٣] .

إنَّ الأفعال الكلامية المباشرة للنهي في خطاب الكافرين من الأساليب التي دأبوا عليها في صدِّ الناس عن دعوات الرسل بآلية التوجيه التي خرقوا بها قواعد التأدُّب في الخطاب واعتبار جانب التهذيب وما تفرّع عن هذا المبدأ قاعدة التعفف الذي أخلّ بنظامها خطابهم، فقد فرضوا أنفسهم على المخاطب إكراهاً، وقاعدة التشكيك أيضاً لم يجعلوا المرسَل يختلي، بنفسه، وقاعدة الودّ التي لم تبدُ في خطاب التوجيه مطلقاً [٤]، ويعدّ ((إنتاج الخطاب من خلال تجاهل قواعد (لاكوف) أو الخروج عليها مؤشراً لاستعمال استراتيجية التوجيه)) [٥] .

وفي جانب آخر من التوجيه نجد دعوة إلى التمسُّك بآلهتهم ورفض تركها قبال التوجيه بالنهي عن سماع ما يقوله النبي محمد– صلى الله عليه وآله وسلم – وهذا التوجيه في حقيقته إرهاب فكري يهدف إلى إفساد المعتقد والسلوك و يخلّ بالأمن العام، ويضع له الدارسون تعريفاً دقيقاً بأنه فعل حقيقته وهدفه الإفساد لا الإصلاح، أي ما يؤمن به الإنسان ويعتقد إنه صواب والأقرب إلى الحقيقة [٦]، فكما نهى أكابر الكافرين أتباعهم عن سماع القرآن، نهى أكابر الكافرين من قوم نوح–عليه السلام– أتباعه عن ترك الآلهة في قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ [٧] جاء هذا القول من بعضهم لبعض وهو توصية منهم بالتمسك بآلهتهم ورفض ترك عبادتها [٨]، وهذه الصيغة (لا تفعلْ) تدلّ على الترك سواءً أكانت

(١) ينظر: نظرية الأفعال اللغوية من التأسيس إلى التنظير(جهود أوستن وسيرل)، عاشور جميلة، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، مج/٥، العدد/١٢ ، ٢٠١٧ :٢٣١.
(٢) سورة فصلت:٢٩.
(٣) ينظر: الأمثل:٢٨٧/١٥.
(٤) اللسان والميزان والتكوثر العقلي: ٢٤٠-٢٤١.
(٥) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٣٣٥.
(٦) ينظر: الإرهاب الفكري(مفهومه.. بعض صوره.. سبل الوقاية منه)، خالد بن عبد الرحمن القريشي، دار الحضارة، ط/١ ،٢٠١٩ :٣٥.
(٧) سورة نوح :٢٢-٢٣.
(٨) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٠٨/٢٩-٢٠٩، والميزان في تفسير القرآن :٣٧/٢٠.

من الأعلى إلى الأدنى أم من الأدنى الى الأعلى أم من المثل وإن خرجت إلى معانٍ أخرى [١]، وقد دلّ هنا التوجيه بفعل النهي على النصح بعدم ترك عبادة أصنامهم ثم خصّوا أصناماً لهم معروفه تعظيماً لها [٢]، ومن المُفسِّرين من قال إنَّ الخطاب صادر من كبرائهم لأتباعهم فخرج من المعاني المُستلزِمة السابقة فيستلزم هنا الأمر وليس النصح والالتماس[٣]، وهذا ما يتفق مع المقام؛ لأنَّ رؤساءهم حريصون على بقاء سلطتهم بهذا التوجيه، فهم أصحاب أموال وأولاد، وهذه الامتيازات سبب في خضوع العامّة لهم، لذلك يشير السياق القرآني لهذه التبعية بأنها سبب عصيان كثير منهم﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [٤] .

ويُلحظ هنا أنّ النهي جاء هنا مؤكداً بنهي آخر﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾، وتوكيد النهي بنون التوكيد يعدّ من الوسائل المباشرة في توكيد الطلب زيادة الى تكرار الطلب بلفظه جعلا الطلب والإلزام أقوى وأشدّ بتوكيده [٥]، فقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ وهو مبالغةٌ في الكبير، فهم منعوا القوم من التوحيد وأمروهم بالشرك ولمّا كان التوحيد أعظم المراتب فالمنع يكون من أعظم الكبائر[٦]، فنون التوكيد اللاحقة للطلب هي مؤشر تداولي على أن النهي بها أعلى من الخطاب من دونها، ولهذا نجد أن النهي تِبعاً للسياق التداولي، ولمعرفة المُرسِل خصاص المُرسَل إليه من الضعف والقوه و أهمية الأمر المنهي عنه [٧] وهذه الأهمية تكمن في ذكر أسماء الآلهة للتعظيم، والافتراض السابق أنهم كانوا يعبدون الأصنام وهم مداومون على عبادتها بدلالة فعل الطلب (لا تذرُنَّ) الذي ارتبط به الافتراض وهو أحد مولّدات الافتراض المُسبق [٨].

بما أنّ التوكيدات هي مؤشرات تقوية إنجازية الفعل الكلامي فلابدّ أنها تُحمَل قصد Intent، والقصد هنا حرص الكافرين على آلهتهم ومداومة أتباعهم على عبادتها، لذلك جاء النهي عن تركها أشدّ من النهي عن سماع الدعوة؛ لأنَّ من ترك الأصنام لا أمل من عودته، وكلّها تعود إلى عامل السلطة فهو المحرّك الرئيس في هذا التوجيه.

(١) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٤٦٧.
(٢) ينظر: مجمع البيان :١٠ /١٠٥.
(٣) ينظر:البحر المحيط :٣٣٥/٨، وينظر: النحو الوافي، عباس حسن :٣٤٥/٤.
(٤) سورة نوح:٢١.
(٥) ينظر: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة :٢٣٦ .
(٦) ينظر: مفاتيح الغيب :١٤٢/٣٠.
(٧) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٣٥٠-٣٥١.
(٨)ينظر:الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، د.هشام الخليفة :٤٧.

ثالثاً: التوجيه بالتحضيض :

تستعمل أدوات التحضيض في الخطاب التوجيهي بوصفهما إحدى آلياته، ومعناها طلب الشيء بحثٍّ وإزعاج وأدواته: (لولا، لوما، هلا، ألا) [١]، ومنهم من يرى أنَّ التحضيض بمعنى الأمر فهو يفيد ما تفيده صيغة الأمر؛ لأنه استفهام فيه معنى العرض[٢]، وفي (لولا) يقول الجرجاني(ت٤٧١هـ): إنه لا يفيد الأمر المجرد ففيه جنوح إلى جانب الحثّ والتحضيض[٣]، وإنّما جعلت دلالتها على الأمر من قبيل الدلالة الأسلوبية لا من قبيل الصيغة، وأن دلالتها على التحضيض هو طلب الفعل بحثٍّ، أو العرض الذي هو طلب الفعل بلين هو دلالة سياقية تختلف باختلاف السياق[٤]، وتدخل على الفعل الماضي فيكون معناها التوبيخ والتنديم كقولك: (لولا ضربت زيداً) [٥]، ومن بين هذه الأدوات (لولا) التحضيضية فقد كثُر استعمالها في القرآن فهي بمعنى (هلّا) [٦] .

وهذا ما يُلحَظ في خطاب الشرِّ عند الكافرين في القرآن الكريم بآلية التوجيه بهذه الأدوات، والدافع من ذلك التوجيه هو أن المُرسَل إليه سبق أن قام بفعل في الماضي ولكنه كان يشوبه النقص من وجهة نظر المُرسِل أو قد يكون قاصراً عن الدرجة المطلوبة فيعمد الى هذه الآلية التي تُسمَّى التحضيض وهي الطلب بشدِّة كما تبين وتظهر غالباً في صوت المتكلم في اختيار كلمات جزلة وقوي' [٧]، وقد قيل في التحضيض إنّه قسم قائم بنفسه، ومنهم من يرى أنّه معنًى مُتفرع من الأمر أو من الاستفهام، إذ يرى فيه آخرون أنّه إذا قيل: (هلّا فعلت كذا) فقد أمر بذلك المحضوض كما يُرى أن (هل) منقولة من الاستفهام إلى التحضيض [٨] .

---

(١) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، دار الكتب العلمية، ط/٢، ٢٠٠٧: ١٤٠ .
(٢) ينظر:الكتاب: ٥١٤/٣.
(٣) ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، تح/ د.كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد،١٩٨٢ :٨٦/١ .
(٤) ينظر:صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم/ د.محمود توفيق محمد سعد، مطبعة الأمانة مصر، ط/١٩٩٣ :١١٦.
(٥)ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح :٢٢١/١، رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي :٢٩٢.
(٦) المفردات في غريب القرآن: ٦٠٠، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين :٤٩٩.
(٧)ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، د.عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط/٢، دار كنوز المعرفة :١٢٢/٢.
(٨) ينظر: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل الى تحليل الخطاب النبوي الشريف، د.حسام أحمد قاسم: ١٨٠

تتجلى آلية التوجيه بالتحضيض والعرض في خطاب الكافرين في مقامات تخطابية لم تتباين كثيراً، فهي إما للتعجيز وإمّا لطلب حقيقي تثبيتاً لسلطة شعروا بأنَّ أركانها تتقوض، فيكون طلبهم تعجيزياً أيضاً، وما جاء ضمن هذه الآلية قولهم: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴾ [1]، فجاء التوجيه بأداة الطلب (لولا) توجيه رؤساء مكة من قريش يطلبون من النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–أن ينزل عليهم المال والذهب أو يأتيهم بالملائكة يكونون شاهدين على رسالته، فكأنهم يقولون إن كنت صادقاً وتصف الإله بالقدرة فهلّا يُنزّل عليك ما تستغني به عن الكدّ والعناء فإذا لم يفعل إلهك ذلك فأنت غير صادق [2]، وإنّما عبّروا بالإنزال وليس الإعطاء؛ لأنَّ غايتهم التعجيز بكون ذلك خلاف العادة، فالكنوز مصدرها من الأرض[3]، وهذه مقالتهم كانت تؤذي النبي؛ لانّهم كانوا يقترحون عليه آيات تعنُّتاً لا استرشاداً فلو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة كافية في رشادهم، ولسبب عنادهم أيضاً ولجهلهم بحقائق الأمور[4] ، وبهذا المعنى تكون قوة الفعل الانجازية في إبراز صفة العِناد والجهل لهؤلاء وإلقاء حجة من حججهم في سبيل تعجيز النبي لإثبات دعوته، فأزعج النبي قولهم هذا؛ لذلك سُبقت الآية بخطاب تهدئة وإلهاب همّته لدفع الفتور عنه بقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ ﴾، ويقدر الفعل في (لعلّ) استفهام يستلزم بلوغ الحالة حدّاً يوجب توقع الأمر المُستفَهم عنه وهو كناية عن ذلك [5].

إنّ طلبهم التوجيهي كان يؤذي النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–وغرض التحضيض الأساس هو تحقيق الفعل، فكونه فعلاً قولياً يحتاج إلى إنجاز واقعي وسلوكي، وهذا يقع على عاتق المتلقي الذي ينتظر منه الاستجابة وتنفيذ المطلوب [6]، فطلب إنزال الكنز ومجيء الملائكة طلب تعجيزي لم يكن لطلب التصديق بنبوته وإنّما هو عناد ولجاجة.

(١) سورة هود :١٢.
(٢) ينظر : مجمع البيان :١٩٢/٥ ، ومفاتيح الغيب :٢٠١/١٧.
(٣)ينظر :روح المعاني :١٩/١٢.
(٤)ينظر :الكشاف :١٨٤/٣ ، التحرير والتنوير: ١٨/١٢.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢ /١٨.
(٦) ينظر: جهود الرماني التداولية في كتابه(معاني الحروف)، د.إيمان مطر مهدي السلطاني، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مج/١٩ ،العدد/٢ ، ٢٠١٦ :٤١.

وقد تكرّر عندهم هذا التوجيه في أكثر من مقام، إذ نجد توجيهاً آخر بطلب آية ظاهرة في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ [١]، فقوة الفعل الانجازية في الطلب هي حرصهم ورغبتهم في نزول آية غير القرآن ليؤمنوا بها، لكن خطابهم يضمر تكذيباً وعناداً، إذ لو نزلت آية كما يقترحون لكفروا بها [٢]، يؤكد ذلك قوله تعالى بأن التكذيب سمة غالبة لهم: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ ﴾ [٣].

إنَّ استعمال التوجيه في خطابهم الذي جاء به ملفوظهم بشكل اقتراحات لا تغير من اعتقادهم سواء أظهرت هذه المعجزات أم لم تظهر، وبين مقام الآية أن مطلبهم لم يتحقق لهم، إذ لو تحقق مطلبهم لطلبوا معجزة أخرى [٤]، فهو إصرار على الكفر والتكبُّر من جهة، وإعراض عن الدعوة من جهة أخرى، ويبرر هذا مكانتهم الاجتماعية وسلطتهم؛ لأنَّ الكلام يستمد سلطته من المُرسِل وما يتمتع به من موقع اجتماعي[٥] الذي يمكن عدّه من مولّدات الاقتضاء وهو العمل خلاف ما يتقرحون لهذا الاقتراح وهو التكذيب والعناد، والقرينة السياقية في النص القرآني تكشف ذلك؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى عندما ذكر صفات الموفين بعهد الله أعقبه بذكر حالهم [٦] في قوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾[٧]، ويقتضي ملفوظهم أنهم أرادوا أن يطلبوا أكثر من ذلك على وفق قانون التلطيف(Loi de litote)[٨]، لذلك جاء التوجيه بالتحضيض عندهم في مقام آخر بطلب أكثر وهو نزول الملائكة ورؤية الله تعالى وهو استكبار أشدّ من سابقه في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴾ [٩]، إذ تحكي هذه الآية خطابهم الموجّه إلى الرسول الأعظم محمد– صلى الله عليه وآله وسلم – في صورة التحضيض، وقوة الفعل الإنجازية المُستلزمة هي الاعتراض على رّسالة الرسول[١٠]، فالسياق سياق تكذيب،

(١) سورة الرعد :٢٧.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير :٩٥/١٣.
(٣) سورة الإسراء :٥٩.
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب :١٤/١٩.
(٥) ينظر: الخطاب والنص المفهوم –العلاقة – السلطة، عبد الواسع الحميري :٢٠٩-٢١٠.
(٦) مجمع البيان :٢٦/٦.
(٧) الرعد :٢٥.
(٨) ينظر: الاقتضاء وانسجام الخطاب، د. ريم الهمّامي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط/١ ،٢٠١٣ :٩٢.
(٩) سورة الفرقان : ٢١.
(١٠) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٥ /١٩٨.

وفي طلب إنزال ملائكة للتصديق من دون إنزال ملَك إشارة إلى أنهم بلغوا حدّاً في التكذيب لا ينفع معه تصديق مَلَك واحد إذا اعتبرنا (ال) في الملائكة للاستغراق فتكون الإشارة إلى قوة تكذيبهم إذا كان المعنى في (علينا) معنًى كلّ واحد منا ولم يعدْ توزيع، فضلاً عن الفعل المضارع الدالّ على التجدُّد [١]، وفي قولهم :(ربنا) نوع من التهكُّم، فإنهم لم يرونه ربّاً لهم، بل عندهم أرباب يعبدونها من دون الله تعالى، فكأنما قالوا للنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – إنك ترى أن الله خصّك بالمشافهة و التكليم، وإنه ربنا وليشافهنا بالرؤية كما فعل بك [٢] .

إنّ الدافع لهذا الخطاب من دون شكّ هي السلطة؛ لأنّ إنزال الملائكة ورؤية الله هو تشريف ومنزلة عظيمة وحقّ هذا التشريف أن يكون لهم لا أن يكون لرجل بسيط كمحمدٍ– صلى الله عليه وآله وسلم – لذا فإن باعث الاعتراض هو السلطة، فالخطاب هو دالة السلطة كما يعبّر عنه الدّارسون[٣]، وهي أيضا قوة مؤثرة في الخطاب[*]، فالآية تصف تكبُّرهم وتعظيمهم لأنفسهم ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾، فأعظموا أنفسهم بسؤال رؤية الله تعالى وليسوا هم أهل لها ووصف القرآن الكريم تكبرهم ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ مبالغة في إفراطهم فلم يجرؤوا على القول إلّا لأنهم بلغوا غاية في الاستكبار[٤].

يُلحظ من التوجيهات Les directifs السابقة من اقتضاءات التلفُّظ أنّ طلبهم في إنزال كنز وإنزال آية أنهم يريدون أكثر، فكان الطلب الأول بالإنزال على الرسول، ثم وجّهوا بإنزال الملائكة عليهم، إذ كان الطلب طلب إنكار وحجود حتى لو تحقّق لهم ما أرادوا، فالقصد ينبئ عن هيمنة الذات وسلطة الأنا، فنزول الملائكة على النبي– صلى الله عليه وآله وسلم – ليس كافياً للتصديق، إذ لابدّ أن يكون النزول عليهم لا عليه، وإبلاغ الدين يكونّ من مسؤوليتهم حصراً.

فانتهوا إلى نتيجة مفادها أنَّ الرسالة النبوية هي من حقّهم وباعث الاعتراض هو السلطة، فملفوظهم يصوّر جانباً من سلطتهم، فهم يرون أن رتبة الرسالة لا تليق الّا برجلٍ عظيمِ الجاه

(١) ينظر : روح المعاني : ١٩/ ٢-٣.
(٢) ينظر : الميزان في تفسير القرآن :١٩٨/١٥.
(٣)ينظر: النص والخطاب المفهوم العلاقة السلطة، د.عبد الواسع الحميري :١٨٩.
(*) يعرفها (فوكو) بأنها ((عَرْض العلاقات القوى الخاصة بتشكيلة معينة، توزيع سلط التأثير والتأثُّر، تجسيد الوظائف الخالصة غير المتقمصة للشكل وامتلاؤها بمواد خالصة غير ذات شكل)) . المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، جيل دلوز، تر/ سالم يفوت، المركز الثقافي العربي بيروت، ط/١: ٨٠.
(٤) ينظر: البحر المحيط : ٦/ ٤٥٠-٤٥١.

وكثير الأموال[١]، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ﴾ [٢]، فهذا خطاب قريش، والضمير في قالوا يحيل إليهم، وفي ملفوظهم استبعاد أن يرسل الله تعالى من البشر رسولاً، فلمّا رأوا أنّ الرُسُل لم يكونوا إلّا رجالاً من أهل القرى جاؤوا بإنكار من وجه آخر وهو تحكمهم أن يكون أحد الرجلين منهم ومن القريتين وهما مكة والطائف[٣]، والسبب في قولهما هذا؛ لأن الرجلين(*)عظيما قومهما، وذوا أموال جسيمة فدخلت الشبهة عليهم حتى اعتقدوا أن من كان كذلك كان أولى بالنبوة [٤]، فقوة فعل الطلب الإنجازية إنزال الرسالة على رجل منهم، وقوته التأثيرية إنكار الرسالة والاعتراض عليها، ولكن القرآن أبطل شبهتهم بقوله تعالى: ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ ﴾ [٥] ،أي النبوة فيضعونها حيث شاؤوا[٦]، فهي حجة من حججهم أريد بها إنكار الدعوة لأنها منزلة لا يستحقها إلّا رجل منهم، ودعوتهم هذهِ دحضها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [٧] .

إنَّ تخصيص الرجل بالعظمة في خطابهم أوضح قصدين:

الأول: إنكار الدعوة الإسلامية ورفض الخضوع لأوامر القرآن.

الثاني: إنَّ الرجل الذي تنزل عليه الرسالة يجب أن يتمتع بالسلطة والأموال.

---

(١) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢١٠/٢٧.

(٢) سورة الزخرف : ٣١ .

(٣) ينظر الكشاف ٤٣٨/٥ ، والبحر المحيط : ١٤/٨.

(*) الرجلان هما الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم عم أبي جهل من مكة ، والآخر من الطائف وهو أبو مسعود عروة بن مسعود الثقفي وقيل عُمَير بن ياليل الثقفي من الطائف والآخر عتبة بن ربيعة من مكة وروي أن الوليد بن المغير كان يقول: لو كان ما يقول محمد حقا لنزل على أو على أبي السعود، الجامع لإحكام القرآن ٣٦/١٩.

(٤) ينظر: مجمع البيان : ٦١/٩.

(٥)سورة الزخرف :٣٢.

(٦) ينظر: النكت والعيون تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري: ٥/ ٢٢٣.

(٧)سورة الزخرف :٣٢.

المبحث الثاني

التوجيه بذكر العواقب وألفاظ المعجم

أولاً : التوجيه بذكر العواقب:

١-عاقبة الخُسْران

٢-عاقبة الإخراج:

٣-عاقبة السجن:

٤-عاقبة الرجم:

٥-عاقبة التعذيب:

ثانياً: التوجيه بألفاظ المعجم:

المبحث الثاني

استراتيجية التوجيه بالعاقبة وألفاظ المعجم

أولا: التوجيه بذكر العواقب:

تُصنَّف الاستراتيجيات التوجيهية على وفق معيارين هما: معيار التأدُّب، الذي يمثّله (ليتش، وروبين لاكوف)، والآخر وهو كيفية التلفُّظ بالخطاب وانتاجه و يمثّله (غرايس، وسيرل، وليفنسن، وباخ)؛ ولأنَّ المُرسِل يعمد إلى توجيه المُرسَل إليه بدرجاتٍ مختلفة، فإنه يتوخى توظيف آلياتٍ مختلفة لتحقيق أهدافه [١]، وعلى هذا الأساس تُقسّم أفعال الكلام الانجازية على نوعين[٢]:

١-إنشائيات صريحة أو ما تُسمّى منطوقات أولية أو(ضمنية) وهي التي تخلو من الأفعال الأدائية (performativ) في المنطوق مثل: (افعلْ).

٢-إنشائيات ضمنية أولية وهي منطوقات أدائية ثانوية أو صريحة وهي التي تشتمل على فعل أدائي في صيغة المضارع المبني للمعلوم المسند إلى المفرد المتكلم كقولك: (آمرك أن تفعل) [٣]، ((فالأدائيات الضمنية تعتمد اعتماداً أساسياً على المقام؛ إذ به تكون أدائية أو لا تكون، ولا كذلك الأدائيات الصريحة ومن ثم كان إدراك الأدائيات الصريحة أيسر لأنها تعلن عن نفسها في كل سياق تقال فيه)).

يذكر وليم (داونس Downec) هناك ست طرائق للطلب مرتّبة بحسب درجة وضوح المغزى الكلامي فيزداد الفعل إبهاماً ويقلّ وضوحاً، فهو يبدأ بالإنجازية الصريحة ثم ينتهي أخيراً حتى لا يذكر الفعل المطلوب إنجازه [٤]، لذا اختلف في تنميط ظواهر أسلوبية في التراث العربي، إذ منهم مَنْ عدّها من الخبر وفريق آخر عدّها من الانشاء ومن تلك الظواهر (الوعد ، والوعيد) ومنهم من ألحقها بالإنشاء غير الطلبي [٥] ، فمن المعلوم أنَّ الإنشاء في البلاغة ينقسم على قسمين[٦] :

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب :٣٣١-٣٣٢.

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٦٧.

(٣) ينظر:تعديل القوة الإنجازيه دراسة في التحليل التداولي للخطاب، د.محمد العبد، مجلة فصول العدد/ ٦٥، ٢٠٠٤ :١٣٧. ، النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ٢٠١٤ :٢٢٠ .

(٤)ينظر: نظرية الفعل الكلامي،هشام عبدالله الخليفة :١٥١.

(٥)ينظر: التداولية عند العلماء العرب :١٠٣ .

(٦) ينظر: الأساليب الانشائية في النحو العربي :١٣-١٤.

١-طلبي وهو ما يستدعي مطلوباً حاصلاً وقت الطلب وهو ما عُني به البلاغيون((فقد قسّموه تسعة أقسام: أمر، ونهي، واستفهام، ودعاء، وعرض، وتحضيض، وتمني، وترجي، ونداء))[١] .

١-غير طلبي وهو ما لا يستلزم مطلوباً حاصلاً وقت الطلب ومن هذا القسم: (أفعال المقاربة، وأفعال التعجب، والمدح والذم، وصيغ العقود، وربّ، وكم الخبرية)، ويدخل فيها القَسَم على الرغم من أن النُحاة العرب لم يدرسوا القَسَم بوصفه (معنًى) من المعاني ولكن بوصفه أسلوباً من الأساليب، وعلى الرغم من اختلاف خبريته وإنشائية فإن منهم من حاول دراسة بنيته وتقصّي آثاره في معنى التركيب، فعرّفوه بأنه: ((الحلف أو اليمين)) وقسّموه على قسمين:

- قسم الطلب وهو ما كان جواباً متضمّناً طلباً مثل: (بالله لنفعلنّ كذا).

-قسم الإخبار وهو ما قصد به توكيد جوابه مثل: (والله ما فعلت كذا) وغرضه توكيد الخبر[٢].

إنَّ دوافع السلوك الاتصالي متنوعة من حالة الى أخرى، فقد يضع المُرسِل عرضاً أو التماساً، تهديداً أو احتجاجاً فالغرض هو الذي يحدِّد الطريقة التي يتكلم بها[٣]، وقال الدكتور عبدالهادي الشهري: ((ذكر العواقب من الآليات المباشرة، وبالتالي الصريحة، وهذا ما يستعمله المُرسِل ليوجّه المُرسَل إليه على وفق مايريد غير مكترث بمنفعته)) [٤] .

وبهذا يمكن عدّ التوجيه بذكر العواقب آلية يلجأ إليها المُرسِل عندما يستدعي الحدث التواصلي لهذه الاستراتيجية التي جاءت على هيأة أفعال كلامية صريحة من الإنشاء الطلبي، و قد جاء التوجيه بذكر العواقب على وفق هذه الآلية في خطاب الشرّ عند الكافرين، وقد توزّع بعواقب مختلفة منها ما جاء على التهديد، ومنها ما جاء على الترغيب، وقد اعتمدت هذه الآلية على صيغة القَسَم وبعض المؤكِّدات مثل نوني التوكيد، وحرف (إنَّ) الدالّ على التأكيد، ويمكن حصر العواقب بموضوعات منها:

(١) ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي :١٤.

(٢)ينظر : التداولية عند العلماء العرب : ٢٠٨، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، د.عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي: ١٦٢.

(٣) ينظر: تعديل القوه الانجازيه دراسة في التحليل التداولي للخطاب .مجلة فصول. د.محمد العبد :١٣٤.

(٤) ينظر، استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية:١٢٧/٢.

١-عاقبة الخُسْران:

يتردد معنى الخَسَارة في الغالب على معانٍ منها: الهلاك، والضلال، والضياع، فجاء في لسان العرب:((الخَسَار والخَسارة والخَيْسري: الضلال والهلاك...، والخاسر الذي ذهب ماله وعقله، أي خسرهما)) [١]، ويُتُحمَّل على المعنى المعجمي دلالات أخرى في القرآن الكريم، فيعني الخُسْر والخُسْران، زيادةً على ضياع رأس المال، فيستعمل في المقتنيات النفسية كالصحة، والسلامة، والعقل، والإيمان، والثواب [٢]، وهذا المعنى بمجمله جعله الكافرون عاقبة لمن يُخالِف أوامرهم وتعليماتهم، وبمقارنة هذه العاقبة مع العواقب الأخرى فهي أقلُّ ضرراً وشرّاً عن غيرها، فهي ليست إيقاع ضررٍ كالقتل والرجم والتعذيب والإخراج وإنّما تحذير من وقوع خسارة، و قد وظّفها قوم شعيب -عليه السلام- في التحذير من اتباعه في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾[٣]، فالخطاب في الآية المباركة للملأ من الكافرين وهم أشرافهم والمُرسَل إليه هذا الخطاب هم من دونهم ليثبطوهم عن الإيمان، والعاقبة التي حذّروهم منها استبدال دينهم بالمعنى المجازي وقيل إنّ الخسارة: البخس والتطفيف؛ لأنه ينهاهم عنها [٤]، ومنهم من فسّر الخسارة بالغُبن، أوالجهل[٥]، فجاءت آلية التوجيه مؤكدة بالقَسَم مع الشرط لتهديد من أراد أن يؤمن أو من آمن مع شعيب-عليه السلام-[٦]؛ لأن بعد تهديدهم بعاقبة الإخراج أو العودة إلى الكفر كان جوابهم﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم﴾ [٧]، وإنْ كان الافتراض المُسبَّق لقولهم أنّ المُرسَل إليهم الخطاب لم يؤمنوا بعد بدلالة (إنْ الشرطية)، والسياق يُفسِّر المعنيين بالخطاب، وهم عامّة قوم شعيب-عليهم السلام-الباقون على الكفر حذّروهم من أضرار تحصل لهم جراء غضب الآلهة[٨]، وأكّدوا العاقبة بـ (إنَّ) التي يقول عنها ابن هشام(ت٧٦١هـ) في المغني: (إنَّ) المكسورة تكون على وجهين أحدهما حرف توكيد، والآخر

(١) لسان العرب:٨٩/٤.
(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن:٢٠٠.
(٣) سورة الأعراف :٩٠.
(٤) ينظر: الكشاف :٤٧٦/٢.
(٥)ينظر: البحر المحيط :٣٤٧/٤.
(٦)ينظر : الميزان في تفسير القرآن :١٩٦/٨.
(٧) سورة الأعراف: ٨٨.
(٨)ينظر : التحرير والتنوير :١٣/٩.

حرف جواب بمعنى نعم[١]، فالمُرسِل أراد أن يجعل المُرسَل إليه بمنزلة المُتردِّد المُتحيِّر، فتضمن ملفوظهم هذا التأكيد لتزيل الحيرة وتجعل النتيجة مؤكدة، يقول(أوستن): ((إنّ حال الاثبات كوني مثبتاً stating مُشعِرة بكونها مُنطبِقة على سبر عيار جميع أنواع مقاربة الوقوع على سبيل التجربة...، ففي حال قولي: إنَّ السماء مُمطرة لم أكن مُراهناً ولا مُجادلاً ولا مُحذراً وإنّما كنت فقط مُثبتاً لهذه الحالة كواقعة))[٢]، فضلاً عن (إذاً) في جملة جواب الشرط ـ إنّكم إذاً لخاسرون ـ التي معناها هنا التوكيد [٣]، أي توكيد الجزاء، فقد حشّدوا خطابهم بجملة مؤكدات أرادوا منها إثبات عاقبة الخسران التي حذروا مَن اتبع شعيباً–عليه السلام–منها، ولا نغفل إنَّ السلطة هنا ليست بالقوة التي تمنع الذين اتبعوا شعيباً من البقاء معه، أو من أراد الالتحاق بهم، لذا عمدوا إلى آليات لتأكيد فعل التوجيه بعاقبة الخسران بجانبيها المادية خسارتهم بلدهم وديارهم بالقهر والمعنوية التي تعني أنَّ طريق النجاة في اتباع الوثنية لا في دين شعيب[٤]، فهم يصرّحون في موضع آخر ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [٥]، فهو تبرير في امتناعهم عن استخدام القوة الجسدية والمعنوية [٦] بسلطة مضادّة .

إنَّ أسباب تباين استراتيجية التوجيه بالعاقبة تعود إلى قوة سلطة، فالخطاب أداة للسلطة؛ لإدارة القوة، ولدوره في تيسير الأمور وتوجيهها [٧]، وهذا ما انعكس على هذهِ الآلية، فنلحظ السلطة في التوجيه بعاقبة الخُسْران غير مُهيمنة إلى حدِّ الإكراه، فيُلحظ هذه العاقبة أنها جاءت بعد تهديد بعاقبة أشدّ؛ لضعف سلطة التوجيه، و تأتي بعد تقديم حجّة كتوجيه قوم صالح–عليه السلام–بعاقبة الخُسْران أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [٨]، وفي ملفوظهم[*]تحذير من عاقبة

(١)ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت، ١٩٩١ :٤٦/١-٤٧.
(٢) نظرية أفعال الكلام كيف ننجز الأشياء بالكلمات :١٥٦.
(٣) ينظر : البحر المحيط:٣٤٧/٤، إرشاد العقل السليم:١٣٣/٦.
(٤) ينظر: الأمثل:٨١/٥.
(٥) هود :٩١.
(٦) ينظر : الحوار في القرآن الكريم قواعده واساليبه ومعطياته : ٣٠٨.
(٧) ينظر: تمثلات اللغة في الخطاب السياسي، عيسى عودة برهومة، عالم الفكر، مج/٣٦، العدد/١، ٢٠٠٧ :١٣٠.
(٨) سورة المؤمنون :٣٤.
(*) أحتج كثير من المفسرين على أنَّ هؤلاء قوم هود-عليه السلام-بقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ سورة الأعراف:٦٩ ومجيء قصة هود عقب قصة نوح في سورة الأعراف وسورة هود وسورة الشعراء، وقال بعضهم قوم صالح–عليه السلام–لأن قومه كذبوه فأهلكوا بالصيحة فذكره في هذه السورة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءًۢ﴾سورة المؤمنون:٤١، وبما أن عقاب قوم هود كان ريحاً شديداً، فيُرجَّح التفسير الثاني. ينظر: مفاتيح الغيب:٩٨/٢٣، والأمثل:٣١٢/١٠.

يؤول إليها أمرهم إذا امتثلوا بأوامره تكون عاقبتهم الخُسران وهو الغبن في الرأي واذلال النفس[١]، وقد وصف القرآن الكريم في آيات سابقة المتصدُّين لهذا التوجيه وهم الملأ بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ [٢]، فهم أصحاب ثروة وجاه وسيادة فلم يتقبلوا ما دعاهم إليه رسولهم[٣] بحجّة بشريته، فقالوا: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، بعامل لغوي (النفي والاستثناء) نلمح فيه سلطة التعالي التي تتمثل بالتعصب والتطرف والتزمت للأشياء وتطريف الخطاب[٤]، وقد وظّفوا آلية إقناعية أخرى وهي تسمية الرسول (بشراً)، فنهوا عن إطاعته بكونه بشراً ليس له فضل، وطاعته خُسران، وبطلان السعادة في الحياة التي لا حياة غيرها ولا سعادة إلّا في الحرية وفي طاعته زوال لتلك الحرية [٥] .

لقد وظّف الكافرون آليات أضافت قوة إنجازية (Force peformative) لفعل التوجيه بذكر العاقبة، التي استعملها قوم شعيب–عليه السلام–في قوله تعالى: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾، ومن هذه الآليات فعل القسم وجوابه المؤكد بـ (إنَّ) الدالّة على التوكيد (وإذاً) الفاصلة بين جملة الجواب الدالّة على توكيد الجزاء، إلّا أنّ قوم صالح–عليه السلام–استعملوا وسيلة إقناعية مع العاقبة التي تبين شدّة كفرهم وعنادهم، وأنّ الخطاب هنا موجّه إلى قومهم، وليس إلى رسولهم خشية منهم أن تؤثر دعوة رسولهم في عامّتهم، فبدل أن يجيبوا رسولهم عدلوا إلى قومهم[٦]، لذلك نرى تساوق الإقناع مع العاقبة، أمّا عند قوم شعيب–عليه السلام–فالخطاب موجّه إلى من آمن، أو قارب على الإيمان، فلا حاجة لوسيلة إقناعية مع العاقبة.

وبهذه الآليات وما لهم من جاه وثروة سيطروا على خطاب الآخرين، والسيطرة على خطاب الآخرين هي إحدى الوسائل الموضّحة لعلاقة السلطة بالخطاب، فيكون الآخرون مسلوبي الحرية جزئياً أو كلياً بسبب سطوة المسيطر [٧]، لذا وظّفوا كلَّ التقنيات التي من شأنها أن تجعل خطابهم تأثيرياً .

(١)ينظر : روح المعاني :٣٠/١٨.
(٢)سورة المؤمنون :٣٣.
(٣)ينظر : التحرير والتنوير :٥٢/١٨.
(٤)ينظر : خطاب السلطة في القرآن الكريم :١٣٢..
(٥)ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٣١/١٥.
(٦) ينظر: التحرير والتنوير:٥١/١٨.
(٧)ينظر : الخطاب والسلطة .تون فان دايك :٤٤.

١-عاقبة الإخراج:

تمثِّل عاقبة الإخراج صيغة إقصائية معروفة يمارسها الطغاة في جميع العصور، وقد واجهت دعوات الأنبياء هذه المظهر السلطوي الذي يكشف عن خوف الفكر، فهناك ارتعاب يعيشه الطاغية من الفكر المُخالِف، فيقابله بنفي صاحبه أو حامله خارج الوطن باعتقاد أن نفي الجسد يعادل موضوعياً نفي الفكر الآخر[١]، فعاقبة الإخراج من الوطن وسيلة يتوسّل بها الطُّغاة دائماً وأبداً لإرغام المُصلحين والدُّعاة والمعارضين بصورة عامة على التنحي عن مسرح الحياة السِّياسيّة، وفي حال امتناعهم عن ذلك يتمُّ تنحيتهم وذلك بإبعادهم ونفيهم [٢]، وهو من الأساليب يعتمد عليها الكافرون في كلِّ زمان، إذا ينقطع معهم أسلوب المناقشة والجدال، فيكون التهديد والوعيد واستنزال العذاب هو الحلّ الأمثل لديهم [٣] .

وتظهر آلية التوجيه بذكر العواقب عند قوم لوط-عليه السلام- بعد ما خيّروه بين الانتهاء عن الدعوة أو الإخراج في قولة تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ [٤] ، فالخطاب التوجيهي بذكر العاقبة هذا صدر عنهم عندما أمرهم بالانتهاء عن الفاحشة، فقال تعالى على لسانه: ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾[٥]، أي متجاوزون الحدّ في الظلم وتصدّرت الجملة بضمير الخطاب تعظيماً لقبح فعلهم وتنبيهاً على أنهم مختصّون بذلك فلمّا نهاهم توعدوه بالإخراج وهو النفي من بلده[٦]، وكأنهم كانوا مَنْ غضبوا عليه بسبب من الأسباب، وقيل: بسبب إنكار تلك الفاحشة، ولهذا هدّدوه بالإخراج [٧]، وقد اشتمل الفعل على أن الإخراج يشمله ومن معه [٨] .

إنّ الفعل الكلامي في تهديده بعاقبة الإخراج ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ أبلغ من قولهم : (لنخرجنّك)، لذا جاء جواب لوط-عليه السلام-على وعيدهم مستخفّاً به، إذ أعاد الإنكار، فقال: ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم

(١) ينظر: الآخر في القرآن، غالب حسن الشابندر، مركز دراسات فلسفة الدين بغداد، ٢٠٠٥ :٥٢-٥٣.
(٢) ينظر: الطغيان السياسي وسبل تغييره من المنظور القرآني، د.عبدالرحمن عمر اسبيندار، مركز البحوث والدراسات في الجامعة الإسلامية ماليزيا، ط١، ٢٠٠٥ : ٢٢٠.
(٣) ينظر: الحوار في القرآن الكريم:٣٠٠.
(٤) سورة الشعراء : ١٦٧.
(٥) سورة الشعراء :١٦٦ .
(٦) ينظر :البحر المحيط :٣٥/٧.
(٧) ينظر : روح المعاني : ١١٦/١٩.
(٨) ينظر: على طريق التفسير البياني، د.فاضل صالح السامرائي، كلية الآداب والعلوم جامعة الشارقة، ٢٠٠٢: ٦٤/٢.

مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ [١]، أي المُبغضين وهو أبلغ في الوصف من قوله:(إني لعملكم قالٍ) [٢]، فعدل في الخطاب من التعبير بالفعل إلى التعبير بالصفة والسرُّ في ذلك ((أن التعبير بالفعل إنَّما يُفهَم وقوعه خاصة، وأمّا التعبير بالصفة ثمّ جعل الموصوف بها واحداً من جمع فإنه يُفهَم أمراً زائداً على وقوعه، وهو أنّ الصفة المذكورة كالسمة للموصوف ثابتة العلوق به كأنها لقب))[٣]، ويمكن أن نعدّ هذا العدول تعديلاً للقوة الإنجازية لفعل الطلب (التهديد)، مع اللاحقة نون التوكيد التي يُراد منها التأكيد ولها أثر في المعنى [٤]، وقد حدّد الدارسون لهذا التعديل سببين [٥] :

الأول: التعديل لنقل المعنى المرتبط بسلوك المتكلم وتصرفاته تجاه القضية التي يُعبّر عنها (model mening) .

الآخر: التعديل لمعنًى تأثيري (affective mening)، أو عن سلوك المتكلم إزاء المخاطَب، لذلك جاء الخطاب مُحمّلاً بقيم تعبيرية زادت من قوة ملفوظهم بتوجيه التهديد بفعل كلامي غير مباشر.

فالإخراج كما تبيّن لغة إقصائية تساومية، فهي عادة لغة الطغاة التي تمثّلت في خطاب الشرّ عند الكافرين، وهو لغة جادّة للخلاص من الفكر المُضاد، ويمثّل الإخراج الجبري وسيلة تعامل للطغاة مع الفكر المخالف[٦]، وهذا ما نجده عند قوم شعيب–عليه السلام–أيضاً، فيضعون عاقبة الإخراج خياراً آخر مع الدخول في ملّتهم، ((والمعادلة بكلا طرفيها تعبِّر عن سياسة الإقصاء، الإقصاء الفكري والروحي والثقافي)) [٧]، وهو مظهر سلطوي طاغوتي صادر من الملأ، فهم آخر من يؤمن بدعوة تجرّدهم من السلطان في الأرض[٨]، فهم يرون في الدين هدماً لسيادتهم وانتقاصاً من نفوذهم وقيادتهم، إذ إنّ أبرز ما تدعو إليه الأديان المساواة بين الناس وهذه أبغض الأشياء إلى السادة [٩]، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ [١٠]، فهنا أيضاً يتصدى الملأ بالتهديد والوعيد يتبين منها عُقدة الحاكمية

(١) سورة الشعراء :١٦٨
(٢)ينظر : التحرير والتنوير :١٨٠/١٩
(٣)اعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، كمال الملك ، قم، ط/١، ١٤٢٥هـ : ٤٤٤/٥
(٤)ينظر : شرح المفصل ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي :٣٧/٩
(٥) ينظر : النص والخطاب والاتصال : ٢٣٥
(٦) ينظر: الآخر في القرآن:٥٣
(٧) المرجع نفسه :٥٣-٥٤
(٨) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط/٣٢ ، ٢٠٠٣ :١٣١٣/٨
(٩) ينظر: أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، د.عبد الحليم حفني، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ط/٣ ، ١٩٩٥ :٢٢٦
(١٠) سورة الاعراف : ٨٨

والسلطة، فإن الألوهية الواحدة تعني نزع السلطان المُغتَصب من أيديهم، وهذا ما كانوا يقاومون في سبيله [١]، وقد جاء فعل التوجيه الكلامي مُعزّزاً بقوه إنجازية وهو القسم المقدّر مبالغةً واعتناء بالحكم[٢]، وهو بمعيار (سيرل) مندرج ضمن درجة الشدّة في الغرض الإنجازي المتضمن في القول وهو تأكيد للطلب ويندرج مع الأمريات [٣]، وتوسّط النداء باسمه بين معطوفين زيادة في التقرير والتهديد الناشئين عن الوقاحة والطغيان[٤]، وقد رفض نبي الله –عليه السلام–الخيارين معاً بجملة إنشائية مبنية على الاستفهام الذي يستلزم التوبيخ: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ وفيه إشعار بأنه ظلم [٥] .

إنَّ المفهوم من سياق التخاطُّب إن مُرسِل الخطاب –وهم أشراف القوم– لهم سلطة مكنتُّهم من هذه العقوبة وهي الإخراج ولولا رهطه الذين آمنوا معه لكانت عقوبته الرجم فكان مبرراً لهم بعد رجمه[٦] ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ [٧]، فأضعف الذين آمنوا معه سلطة الكافرين فخفّفوا عليه العقوبة فصدر القرار من الملأ بالإخراج أو العودة، وهذا يؤكد بأنَّ التوجيه السابق أشدّ، فقد جاء بصيغة ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾، أمّا هذا التوجيه فقد جاء بصيغة ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ﴾ الذي هو أقل شدّة من سابقه، ويُصنَّف هذا الفعل بحسب قوته الإنجازية من أفعال الإقرارات(Exercitives) التي يقول عنها (أوستن) إنها تتعلق بممارسة السلطة والقانون والنفوذ [٨]، وهذه من أهمّ معززات سلطة الخطاب التوجيهي الذي يراد به التهديد والوعيد والإنذار بالعواقب والاستراتيجية الاوفق لهذا الغرض .

ويُلحظ الآلية التوجيهية نفسها لبعض المتمردين في الكفر من أولئك الأمم الكافرة التي نقلت مقالاتهم كقوم شعيب–عليه السلام– وهم أهل الحلّ والعقد الذين يمتلكون سلطة [٩]، وقد رجّح ابن عاشور بأنّهم كفّار قريش جاء خطابهم على طريقة التوجيه بالعاقبة، والرُسُل المُخاطَبون في قوله تعالى: ﴿لِرُسُلِهِمْ﴾ هو النبي محمد–صلى الله عليه وآله وسلم–أجريت على وصفة صيغة الجمع مجازاً وأيّد هذا القول بقوله تعالى:

---

(١) ينظر: في ضلال القرآن:١٢٠٦/٨
(٢)ينظر: روح المعاني :٢/٩
(٣)ينظر: التداولية عند العلماء العرب :٢٠٩
(٤) ينظر: روح المعاني :٢/٩
(٥)ينظر: خطاب الأنبياء في القرآن الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية، عبد الصمد عبدالله محمد(رسالة ماجستير مخطوطة)إشراف، د.عبد اللطيف خليف، كلية اللغة العربية المملكة العربية السعودية،١٩٩٥ :١٤١
(٦)ينظر :الحوار في القرآن الكريم قواعده واساليبه ومعطياته :٣٠٨
(٧)سورة هود :٩١
(٨)ينظر: في البراجماتية الأفعال الإنجازيه في اللغة العربية دراسة دلالية ومعجم سياقي، :٤٦
(٩) ينظر : روح المعاني :١٩٩/١٣

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ﴾ [١] بامتلاك النبي الأكرم-صلى الله عليه وآله وسلم-أرض مُكذبيه، فلا يُعرَف أنّ رسولاً من الأمم السالفة دخل أرض مكذبيه بعد هلاكهم غيره [٢]، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣]، ويتفق هذا التوجيه مع التوجيه السابق عند قوم شعيب-عليه السلام- في قولهم: ﴿أَرْضِنَآ﴾، ﴿قَرْيَتِنَآ﴾، فكأنهم يعدّون ما الأرض ملكهم، حتى أنّهم لم يمنحوا رسلهم حقّ المواطنة[٤]، لكن كلا التوجيهين يضعان العاقبة خياراً آخر مع تغيير دينهم إلى دين الشرك.

فالفعل الكلامي التوجيهي يستلزم التهديد بعاقبة الإخراج وقد أُكدّ بلام القسم ونون التوكيد، أي حتى تعودوا، أو التخيير بين الإخراج والعودة [٥]، وهذه الأدوات التي صاحبت الطلب (لام القسم ونون التوكيد) قد أدّت وظيفة عن طريق إسهامها في تحديد درجة إرادة الطلب ومدى إصرار المتكلم على تنفيذ طلبه [٦]، فتعاضدت وسائل التوكيد مع السلطة لتنفيذ الغرض المُراد تحقيقه وهو التهديد بالإخراج وجعله عقوبة لمن يخالف عقيدتهم، فالقصد من الإخراج هو إنّه لا يوافق عقيدتهم؛ لأن السلطة لا تمارس من دون أهداف ومقاصد [٧]، ولا خطاب من دون سلطة، بل هو علاقة تلازميّة معها [٨]، لذلك كانت قوة الخطاب المُتسلط مؤشراً للسلطة التي منحتهم الحقّ في التهديد والوعيد، كما أن توظيف(العودة) في ملفوظهم يوحي بأنَّ خطابهم لم يكن موجّهاً للرسل فقط، بل لهم ولمن آمن بالله تعالى ممن كان على ملة الكفر كون العودة بمعنى الرجوع، فهو من باب التغليب [٩]؛ لأنّ الرُسُل لم يكونوا على ملتهم، فيكون التوجيه هنا متفقاً مع ما جاء عند الكافرين من قوم شعيب-عليه السلام-بإخراجه ومن آمن معه﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ﴾ [١٠] .

---

(١)سورة إبراهيم :١٤.
(٢)ينظر : الحرير والتنوير : ٢٠٥/١٣-٢٠٦.
(٣) سورة إبراهيم : ١٣.
(٤) ينظر: الأمثل:٣٤١/٧.
(٥)ينظر : الجامع لأحكام القرآن :١١٦/١٢.
(٦)ينظر :تحويلات الطلب ومحددات الدلالة : ٢٣٠.
(٧)ينظر :إرادة المعرفة ، ميشيل فوكو، تر/ مطاع صفدي، جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٠ :١٠٣.
(٨)ينظر : الخطاب والنص (المفهوم –العلاقة-السلطة) :١٨٧.
(٩) ينظر: الميزان في تفسير القرآن:٣٢/١٢ .
(١٠) سورة الأعراف :٨٨

٢-عاقبة السجن:

كان السجن ومازال آلية إقصائية يلجأ إليها الطواغيت، فالسجن إجراء عقابي على موقف، أو حالة، أو فكر مُخالِف ظاهراً، لكنّ باطنه يعبِّر عن قمع، وإقصاء لذات الفكر المُتبنَّى [١]، ففي الدولة الطاغوتية يُجمَع في السجن الدعاة والمُصلحون[٢]، لذلك تُلحَظ عاقبة السجن إحدى آليات التوجيه بالعاقبة عند الكافرين بوصفها مظهراً سلطوياً مثّل خطاب الشرِّ عندهم، فجاءت آلية التوجيه بعاقبة السجن بسياقات مختلفة في حوارات الكافرين التي تضمّنت تهديداً صريحاً، منها قوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [٣]، تُصوّر الآية مشهداً من مشاهد الحوار في قصة موسى-عليه السلام- فالخطاب في الآية عن لسان فرعون لما عجز عن الحجاج عَدَل إلى أسلوب التخويف [٤]، والفعل التوجيهي جاء بهذه الصيغة ولم يأتِ بصيغة (لأسجنَّنك)؛ لأنّه أراد ترهيب موسى-عليه السلام-بأن يجعله واحداً ممن يعرف حالهم في السجن، فكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه في هوة في الأرض عميقةً فرداً لا يُبصر ولا يسمع، فكان ذلك أشدّ من القتل [٥]، وفي خطاب فرعون تجبُّر آخر فلم يكتفِ بصرفه عن الدعوة فحسب، بل أراده أن يتخذه اِله [٦]، وقد أكّد وعيده بالقسم في قوله: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى ﴾، فاللام موطئة للقسم فكأنما قال: عليّ يمين، أو أقسم، فضلاً عن دلالة الفعل (اتخذت) فهو للاستمرار، أي أصررت على أنَّ لك إلهاً أرسلك وأن تبقى جاحداً للإله فرعون، واتخاذ إله غيره كناية عن القول بربوبية ربِّ العالمين الذي يدعو إليه موسى-عليه السلام-ولم يصرِّح به استكباراً منه وعلواً[٧]، وقد أراد موسى-عليه السلام-أنْ يخفّف حدّة الحوار المتشنج المليء بالتهديد، فأراد أن يعيده الى شيء من التعقُّل[٨] بقوله: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ... ﴾ [٩]، فموسى-عليه السلام-أراد أن يُبقي الحوار هادئاً ولا ينحرف عن مساره ويكون بأسلوبٍ حكيم[١٠].

---

(١) ينظر: الآخر في القرآن:٥١.
(٢) ينظر: الطغيان السياسي وسبل تغييره من المنظور القرآني:٢٢٢.
(٣) سورة الشعراء : ٢٩.
(٤) ينظر : مفاتيح الغيب :١٣٠/٢٤.
(٥)ينظر :الكشاف :٣٨٧/٤ ،ومجمع البيان :٢٣٨/٧.
(٦)ينظر :روح المعاني :٧٣/١٩.
(٧)ينظر : التحرير والتنوير : ١٢١/١٩-١٢٢ ، والميزان في تفسير القرآن :٢٧٢/١٥.
(٨)ينظر : خطاب الأنبياء في القرآن الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية :١٥٣.
(٩)سورة الشعراء : ٣٠.
(١٠)ينظر : الحوار في القرآن الكريم قواعده وأساليبه ومعطياته :٢٧٩.

إنَّ فرعون في هذا الخطاب أصدر أوامر من سلطة الألوهية التي منحته إصدار الأوامر والتهديد التي تستند إلى رؤية مفادها أنّ الشخص في مقام يستحق في ضوئه أن يكون إلهاً؛ لأنَّ كلّاً من السلطة والألوهية تستلزم الأخرى، ولا فرق بينهما فالذي لا سلطة له لا يمكن أن يكون إلهاً، فالسلطة الألوهية تستند في مقام تنفيذها إلى رؤية مفادها أنَّ الشخص في مقام يستحقُّ في ضوئه أن يكون إلها[١]، وما يُعزّز قوة هذا الافتراض إنّ صاحب الخطاب كلمة (غير) التي دلّت على أن فرعون نفسة آية ألوهية وأثبت ألوهيته التي مكّنته من الخطاب بآلية التوجيه بذكر العاقبة، التي وُجِّهت إلى يوسف–عليه السلام– أيضاً عند امتناعه عن أمر امرأة العزيز في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [٢]، فالحوار في الآية المُباركة يصوِّر مشهداً من مشاهد قصة النبي يوسف–عليه السلام– بعد أن راودته امرأة عزيز مصر عن نفسها، فاستعصم[*]، فالنسوة لما قُلن في امرأة العزيز شغفها حباً في قوله تعالى: ﴿قَدۡ شَغَفَهَا حُبّٗاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [٣]، ثمَّ جمعتهن، فكانت النتيجة تقطيع أيدهن في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ ﴾ [٤]، فعند ذلك ذكرت أنَّهن باللوم أحق؛ لأنهن بنظرة واحدة لحقهن أعظم ما نالها مع أنه طال مكثه عندها فلمّا أظهرت عذرها عند النسوة في شدّة شغفها به كشفت عن حقيقة الحال، فقالت: ﴿ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ ﴾ [٥]، ثمّ قالت: ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾، أي إنْ لم يجبني إلى ما أدعو إليه ليُحبسنّ في السجن وليكون من الأذلاء، فلمّا رأى يوسف–عليه السلام–إصرارها على ذلك وتهديدها اختار السجن على المعصية [٦]، والضمير في آمره يحيل إلى الاسم الموصول، أي الذي آمره به فُحذِف الحرف واتصل بالفعل[٧]، وتهديدها هذا أشد وأهول مما في تهديدها الأول يوم المراودة بقولها: ﴿قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [٨]؛ فلأنها قامت هنا بالتهديد بنفسها ولم تسأل

(١)ينظر : خطاب السلطة في القرآن الكريم :٤٢-٤٣.
(٢) سورة يوسف :٣٢.
(*) الاستعصام : بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجهد ، فالمعنى امتنع امتناع معصوم، أي جاعلاً المراودة خطيئة عَصَمَ نفسه منها. ينظر: التحرير والتنوير:٢٦٤/١٢.
(٣) سورة يوسف : ٣٠.
(٤) سورة يوسف :٣١.
(٥) ينظر: مفاتيح الغيب :١٣٣/١٨.
(٦) ينظر: مجمع البيان :٣٠٨/٥.
(٧) ينظر: روح المعاني:٢٣٣/١٢.
(٨) سورة يوسف :٢٥.

زوجها، وخطابها ليس فيه تردّد ولا ترجُّع عما جزمت به[١]، لذا فإن قوة الفعل الإنجازية هي (التهديد) بالسجن، وقد ذكرت العاقبة التي يؤول إليها يوسف؛ لأنه لم يمتثل لأمرها وقد أكّدت فعلها الكلامي بمؤكدين هما :القسم، ونوني التوكيد ممَّا يعدّان من أدوات التوكيد[٢]، ولعزمها على عقوبة السجن أقوى من الصغار، فقد أدّت الأول بنون ثقيلة والآخر بنون خفيفة، كذلك الإبعاد من إهانته [٣]، فضلاً عمّا في فعل القول (آمرك) الذي أسهم في تقوية انجازية الفعل معجمياً[٤]، وقد أسهمت هذه الأدوات في تعديل قوة الفعل الإنجازية وهو الغرض الانجازي التوجيهي(directional illocutionary point) وهو التهديد بالعاقبة، فالفعل الكلامي الواحد تختلف قوته الإنجازية بحسب استعمالات مختلفة بحسب السياق والقصد [٥]، ويُلحظ بحسب الغرض الإنجازي نفسه للفعل الكلامي في التوجيهين: الأول توجيه فرعون﴿لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ أشدُّ من توجيه زوج عزيز مصر﴿لَيُسۡجَنَنَّ﴾ بالرغم أن العاقبة نفسها(السجن)؛ لأن الطلب باعتقاد بعض الباحثين كلّما زادت المخاطرة بالرفض ازداد كون التوجيه غير مباشر[٦]، فجاء توجيه فرعون بالصيغة غير المباشرة لهذا السبب، فموسى–عليه السلام–هنا في مرحلة التبليغ وهو في أوج قوته التي منحها الله له بمؤازرة هارون بطلب منه﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [٧]، فتنفيذ العاقبة ليس بالأمر السهل إنجازه.

أمّا التوجيه المباشر لزوج عزيز مصر، فليس بصعب الإنجاز؛ لأنَّ يوسف–عليه السلام–اختار السجن على الإغواء والفتنة عندما وجد نفسه مُقحماً فيها، فقال تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ [٨]، فكانت الاستراتيجية التوجيهية بحسب ما توافر لها من آليات وسلطة، ومقام تلفظي قد ناسبت الغرض الذي سِيقت له، وهو التهديد بعاقبة السجن، ويبدو أيضاً أنّ تهديد فرعون يقتضي أن هناك من وقعت عليهم عاقبة السجن بدلالة(مِن)، أمّا في قول زوج عزيز مصر، فيقتضي أنَّ تهديدها بعاقبة السجن لم تقع على أحد غير يوسف –عليه السلام–من قبلها.

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن :١٥٥/١١.
(٢) ينظر: دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم : ١٣٨.
(٣) ينظر: نظم الدرر:٧٤/١٠.
(٤) ينظر: الخطاب وخصائص العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، د.أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم ناشرون :١٥٧.
(٥) ينظر: تعديل القوة الإنجازيه، محمد العبد مجلة فصول ، العدد ٦٥ .٢٠٠٤ :١٣٨.
(٦) ينظر: التداولية البعد الثالث في سيموطيقا موريس، عيد بلبع، كنوز المعرفة، ط/٤ ، ٢٠٢١ :٢٥٥.
(٧) سورة القصص:٣٥.
(٨) سورة يوسف:٣٣ .

٣-عاقبة الرجم:

نقف هنا على مظهر طاغوتي آخر في خطاب الكافرين يتمثل بعاقبة الرجم لمن يخالف هواهم وفكرهم، والرجم في اللغة هو الرمي بالحجارة أو القتل بها، ويأتي أحياناً للشتم والطرد، أو القول فيما يُكرَه، أو الطرد من الخيرات[١]. فجاء الرجم آلية من آليات التوجيه بالعاقبة مثّلت خطاب الشرِّ، ويمكن عدّها صيغة من صيغ الاستئصال الوجودي تكشف عن موقف عدواني قاسٍ، وهي صيغة شائعة في الموقف من الآخر في استئصال وجوده أو القضاء عليه تماماً [٢]، وهي شكل من أشكال السلطة الفاسدة يكون فيها الطاغية فرداً يستغل السلطة لمصلحته الشخصية من دون التقُّيد بقانون ورغم إرادة المحكومين[٣]، وهذا ما نراه في شخوص الملأ الذي تتصدّى للمواجهة مع الأنبياء عادة فهو يمتلك وجهة نظرها الذاتية وتحاكم الوجود من خلاله، وقد استقرت واقع النبوة من منظورها الخاص من دون الانفتاح على الخطاب الجديد، ثمّ أخضعت هذا الواقع لبنياتها الفكرية الثابتة والإقصائية [٤].

وتطبيقاً لهذا المفهوم فقد وظّفه قوم نوح-عليه السلام-ضمن آلية التوجيه بالعواقب في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴾ [٥]، فالآية حوار النبي نوح-عليه السلام-مع قومه وقد وصل الحوار إلى ذروته عندما رفضوا دعوته بإلصاق التهم والاباطيل منها اتهامه بالجنون في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴾ [٦]، ومنها إتهامه بالسلطوية ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عليكم﴾[٧]، وهذا الإتهام يضمر حبّ الرئاسة والاستئثار، أي أن حديثه عن الدين والتوحيد والعقيدة مؤامرة لتحقيق أهدافه [٨]، وهو مظهر من مظاهر سلطة الكافرين التي يتشبثون بها، وعادة ما تكون سبباً في الاعتراض على أية دعوة توجّه إليهم، ثمّ وجّهوا سلاحهم بالتهديد، والقتل، والرجم بعد تلك الاتهامات والاعتراضات؛ لأنهم لا

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن:٢٥٦.
(٢)ينظر: الآخر في القرآن:٤٨ .
(٣) ينظر:الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، د.إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت١٩٩٠ :١١٣.
(٤) ينظر:خطاب الملأ في القرآن الكريم: قراءة في ضوء النقد الثقافي ونظرية الحجاج، دعد رشاش الناصر، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج/١٩، العدد/١ ، ٢٠٢٠ :٤٥١.
(٥) سورة الشعراء :١١٦.
(٦) سورة القمر :٩.
(٧) سورة المؤمنون : ٢٤.
(٨) ينظر: القصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف : ١٠١/١، والأمثل:٣٠٨/١٠.

يملكون الكلمة القوية التي تستند إلى إيمان ولا حجة يقاومون بها حجته [١]، لذلك مالوا الى أسلوب العصا(التخويف(بدلاً من سَوق الحجج والأدلة المناسبة، وهذا ما يُصطلَح عليه بالإرهاب الفكري [٢]، ويؤكد هذا ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور بقوله: ((ولمّا أعياهم الاستدلال صاروا إلى سلاح المُبطلين، وهو المناضلة بالأذى)) [٣]، فهدّدوه بالرجم، والرجم هو الرمي بالحجارة، أو توعدوه بالقتل [٤].

وقد جاءت آلية التوجيه بذكر العاقبة مشحونة بمؤكدات مثل القَسَم ونون التوكيد، وهي مؤشرات تكشف عن تقوية القوة الإنجازية للمنطوق الإنجازي، فضلاً عن سلطة المُرسِل التوجيهية، أو الحاكمية، أو التبليغية [٥]، وتوسُّط النداء بين الشرط وجوابه أُريد به لفت أنتباه المُخاطَب للاستماع إلى العاقبة التي سيؤول إليها أمره، فإن استراتيجية المُنادى مرتبطة بالمقام، إذ يلجأ المُتكلم إليها كلّما شعر أن مخاطبه شارد عنه أو في حاجه إلى تنبيه حتى يدخل معه في حوار تفاعل كلامي(Interaction verbale) مُنسجِم [٦]، فهو قد قطع التواصل الحواري معهم بالتوجّه إلى الله تعالى يشكوه قومه بعد ما تمّوا على تكذيبه وإصرارهم على رفض الدعوة [٧]﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٨].

وما يلفت النظر أنّ الفعل الكلامي التوجيهي (speech act Directing) جاء بصيغة غير مباشرة﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾، فمع قوة هذا الصيغة في إنجاز الفعل تعني أنه واحد ممن ناله الرجم، أمّا في قصة إبراهيم –عليه السلام–فإنه ليس هناك آخرون معه نالهم الرجم، أو سينالهم، فهو موجّه من أبي إبراهيم لولده [٩]، وهذا يعضّد فكرة الفعل الكلامي، بأن الصيغة المباشرة أقل قوةً من الصيغة غير المباشرة، لذلك ناسبت التوجيه بالعاقبة لصيغة المفرد، فالصيغة في الاستعمالين حدّدها القصد.

(١)ينظر: الحوار في القرآن الكريم قواعده أساليبه ومعطياته : ٢٣٧.
(٢)ينظر: الحجاج والمغالطة : ٣٢.
(٣)التحرير والتنوير :١٦٣/١٩.
(٤)ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ٢٩٧/١٥ ، وروح المعاني : ١٠٨/١٦.
(٥) ينظر: التداولية بين النظرية والتطبيق، د.أحمد كنون، دار النابغة، ط/١ ، ٢٠١٥ :٤٢٦.
(٦) ينظر: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي :١٦٧ .
(٧)ينظر: ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان :٢٥٥/٦.
(٨)سورة الشعراء : ١١٧-١١٨.
(٩) ينظر: على طريق التفسير البياني، د.فاضل صالح السامرائي، جامعة الشارقة، ٢٠٠٤ : ٦٤/٢.

والصيغة المباشرة للتوجيه بالعاقبة في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [١] في حوار إبراهيم-عليه السلام- مع أبيه عند دعوته إلى التوحيد فجاء التوجيه بآلية التوجيه بذكر العواقب من أبيه بعد أن وصل الحوار ذروته وجّه إليه الخطاب بالتهديد بالرجم، فقد حاول إبراهيم تبرير دعوته لأبيه بما جاءه من العلم ما لم يأتِ أباه وعِبر شعور عاطفي تجاه أبيه وخوفه أن يمسَّه عذاب الله، فكان ردُّ أبيه متأتياً من سلطة أبويه بالضغط على الابن ليسير على خطاه [٢]، فناداه باسمه أولاً (يا إبراهيم)، ولم يقابل (يا أبتِ): بـ (يا بني)، فقدّم الخبر وهو عنده أهم، فأقبل عليه بفظاظة، وكفر، وغلظة، وعِناد[٣]، وجاء الخطاب بتقنيات تتلاءم مع استراتيجيات التوجيه مع الفعل الكلامي غير المباشر من الاستفهام يدلّ على الانكار والتعجب الذي يحمل الإعراض عن حجة لا فائدة فيها [٤]، ثمّ جاء الخطاب بتقنية توجيهية أخرى وهو الشرط الذي يجمع بفعليه الشرط والجواب دلالة الأمر والنهي معاً [٥]، مع أن الأمر قد عُدِّلت قوته الإنجازية بتخصيص دالّ على الزمن الطويل (مليا) .

ومع هذا التصعيد في الخطاب بتقنيات توجيهية دعمّت فعل التهديد ، قابله إبراهيم (بالسلام) الذي فيه إحسان وإعطاء أمن ووعده أن يستغفر له ربه وأن يعتزلهم وما يدعون من دون الله تحقيقاً لرغبة أبيه[٦]، فقال: ﴿قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [٧]، وأبدى من جهة أخرى صراحة موقفه من الآلهه المزيّفة ومن عبّادها [٨] بقوله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[٩] .

إنَّ المتخاطبَين يقدّم كل منهما حجته حتى وصلت حدّة الخطاب إلى التهديد بعد أن بطلت حجته، وعلى الرغم من إنَّ الخطاب التوجيهي قد اعتمد المُرسِل فيه على آليات التهديد والوعيد، فعمد المُرسَل اليه إبراهيم-عليه السلام-إلى تحقيق الانسجام الحجاجي؛ لأنَّ ((إحدى وظائف الحجاج في المُبادلة

(١) سورة مريم :٤٦.
(٢)ينظر : الحوار في القرآن الكريم قواعده وأساليبه ومعطياته :٢٦٣-٢٦٤.
(٣)ينظر : الكشاف :٢٥/٤.
(٤)ينظر : مفاتيح الغيب :٢٢٨/١١ ، البحر المحيط :١٨٣/٦.
(٥)ينظر : استراتيجيات الخطاب :٣٦٣.
(٦)ينظر : الميزان في تفسير القرآن :٥٩/١٤.
(٧)سورة مريم :٤٧.
(٨)ينظر : القصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف :١٩٥/١.
(٩) سورة مريم :٤٨.

الحوارية إتاحة الإغلاق، أي الدفع باتجاه تحقيق الانسجام الحجاجي للمداخلتين الأخيرتين)) [١]، فعمد إبراهيم–عليه السلام– بإشباع هذا الشرط باستراتيجيات تمنع توسعة الحوار بدعائه والاستغفار بما يملك من وجاهة عند الله .

ويُلحظ التوجيه بعاقبة الرجم عند الكافرين(أصحاب القرية) لمن جاء إليهم من الرُسُل، قد تباين عن التوجيه السابق بأنَّ الإشارية (الضمير في نرجمنكم) تحيل إلى جمع، فيكون المُنفِّذ جماعة منهم، في حين توجيه والد إبراهيم–عليه السلام– تحيل إلى مُنفِّذ العاقبة شخص واحد، لكنَّهما يشتركان في القَسَم الذي يعدّ مؤشراً لقوة إنجازية (Force peformative) في فعل الكلام في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [٢]، والرُسُل المُخاطَبون في هذه الآية ليسوا أنبياء إنما مبعوثون من عيسى–عليه السلام–ولم يكن من الرُسُل إلّا الإعلان بأنهم لا يريدون الدخول في جدل مع أهل القرية واكتفوا بالقول إنَّهم مُرسَلون من الله، والله يعلم أنهم مُرسَلون إلى هذه القرية فتوقفت مهمتهم بالبلاغ والإبلاغ [٣]، فبدأ الحوار مع أهل القرية عندما قالو: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾[٤]، فقدَّم أهل القرية اعتراضاتهم بأن هؤلاء الرسل بشر﴿قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾ [٥]، ثمّ اتهامهم بأنَّهم شؤم قالوا: ﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ ﴾ وآخر اعتراض طلبوا منهم الكفّ عن التبليغ وإلّا كانت العقوبة الرجم بالحجارة واذاقتهم أشدَّ العذاب [٦]، فعمدوا إلى آلية التهديد بالعواقب قَطْعاً للمناظرة ورفض الإصغاء بسبب ما دخل فيهم من اختلاف الكلمة وافتتان الناس بعد ما رأوا منهم من آيات صادقة وعلامات تدلُّ على صدقهم [٧]، ثم عطفوا على الرجم العذاب الأليم. يقول الماوردي(ت٤٥٠هـ) عنه: إنه القتل أو التعذيب المُؤلم قبل القتل وقيل عنه الإحراق [٨]، أي جاؤوا بالواو التي تفيد الجمع مع إعادة اللّام الواقعة في جواب القسم؛ للدلالة على أنَّ التهديد بالعذاب مُؤكّد كالرجم [٩]، وكلُّها وسائل تقوية لإنجازية الفعل الكلامي التوجيهي، وعبّروا عن العذاب (بالمسّ)، فهو يقال في كلِّ ما يُقال للإنسان من

(١) بلاغة الاقناع في المناظرة، د.عبد اللطيف عادل، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط/١، ٢٠١٣ :١١٦.
(٢) سورة يس :١٨.
(٣) ينظر : الحوار في القران الكريم :٣٨٦ ، والقصص القرآني :٥١٨/٢.
(٤) سورة يس : ١٤.
(٥) سورة يس :١٥.
(٦)ينظر : القصص القرآني دراسة ومعطيات وأهداف: ٥٢٠/٢-٢٢٢.
(٧)ينظر : روح المعاني :٢٢٣/٢٢.
(٨)ينظر: النكت والعيون :١٢/٥ ، البحر المحيط :٣١٣/٧.
(٩) ينظر: على طريق التفسير البياني:٦٥/٢.

أذى [١] كقوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ [٢]﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ [٣] الذي أسهمت دلالته المعجمية في تقوية إنجازية الفعل التوجيهي ((فإن اللغات لهذا الغرض وسائل معجمية أو صرفية تركيبية إلى جانب الوسائل التنغيمية)) [٤].

والقصد من وراء التصعيد في الخطاب وتقويته أن يجعلوا الرسل يفقدون أعصابهم تحت ضغط التهديد، أو التحدي المباشر، فيجعلهم يتصرفون تصرُّفاً يبعدهم عن هدفهم ويجرّهم إلى مواقف جدلية عقيمة لا تخدم الرسالة بل تضرّها [٥]، فجاء الردُّ من الرسل ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُم﴾ [٦] ، أي تصيبكم من الخير والشرّ من أفعالكم ﴿ أَئِن ذُكِّرْتُمْۚ ﴾ استلزم استفهامهم التوبيخ وحُذف جوابه تلويحاً يُقدّر((أئن ذكرتم بالحق قابلتموه بمثل هذا الجحود الشنيع من التطيُّر والتوعد))[٧]، يُسمي (غرايس) هذا النوع من التلويح بالتلويح المُخصّص(particularized) [٨]، فحذف جواب الشرط لإطلاقه؛ لأنه غير مقيد بشيء معين، وإطلاق الإسراف أيضاً ولم يقيد ليشمل كلَّ إسراف بسوء [٩]، أي قرنوا مع الرجم عذاباً آخر، وتدلّ كثرة المؤكدات لفعل التوجيه بالعاقبة على مدى الإصرار على الكفر بالإسراف والتجاوز .

٥-عاقبة التعذيب:

قال ابن فارس(ت٣٩٥هـ): أصل العَذَاب الضَرْب، ثمَّ استعير ذلك في كلِّ شدّة [١٠]، فالتعذيب في كلام العرب الضَرْب، ويُستعمل في كلِّ عقوبة مؤلمة وشاقّة[١١]، ويعرِّفه جوكور ((بأنّه عقاب جسدي

(١)ينظر: المفردات في غريب القرآن :٦١٣.
(٢) سورة القمر :٤٨.
(٣) سورة البقرة :٨٠.
(٤)ينظر: الخطاب وخصائص العربي، د.أحمد المتوكل: ١٥٦.
(٥)ينظر: الحوار في القرآن الكريم قواعد وأساليب ومعطيات :٣٨٧.
(٦)سورة يس :١٩.
(٧) الميزان في تفسير القرآن :٧٥/١٧.
(٨)ينظر: نظرية التلويح الحواري، بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، د.هشام عبد الله الخليفة، الشركة المصرية للنشر لونجمان، ط/١، ٢٠١٣ : ٣٤.
(٩)ينظر: على طريق التفسير البياني:٦٦/٢ .
(١٠) ينظر: مقاييس اللغة:٢٦٠/٤.
(١١) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن المناوي، تح/د.عبدالحميد صالح حمدان، عالم الكتب، ط/١ :١٠١.

مؤلم يتفاقم إلى حدِّ الفظاعة نوعاً)) [١]، وهذه العقوبة جعلها الكافرون عاقبة ضمن استراتيجيات التوجيه، فهي تجمع كلّ عواقب الشرِّ بوصفها سلطة طاغوتية مُتجبِّرة تمثَّلت في خطاب فرعون في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٢]، فالخطاب أطلقه فرعون لتهديد السَحَرة بعاقبة أمرهم عندما آمنوا لموسى–عليه السلام–لتقوية حجته، فلمّا آمن السحرة على كثرتهم خشي أن تلتحق بهم الناس، فبالغ في التنفير منه أولاً، ثم التعريض بموسى بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾، ثم أطلق خطاب القتل والتصليب وهو تهديد شديد ووعيد[٣]، وقد فصَّل تفصيلاً دقيقاً في عاقبتهم التي تجسَّدت في العقوبة الجسدية، فالعقوبة عندما تكون تعذيبية لا تقع عشوائية وكتلة واحدة على الجسم، وإنّما تكون محسوبة على وفق قواعد مفصَّلة من الجلد، أو الكي بالحديد، أو طول النزع فوق محرقة [٤]، لذا فهو أجمل أولاً بقوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَۚ﴾، ثم فصَّل بقوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾، وهذا العقاب بهذه الآلية بوصفها استراتيجية لغرض الهيمنة والاخضاع من سلطة العقاب على الآخر، فهو تفنُّن في إدخال الرعب والخوف في عقول الناس قبل قلوبهم [٥]، وهنا يواجه مُرسِل الخطاب من الُمرسَل إليه من إصرار وإيمان بقولهم (لا ضير)، أي لا ضرر علينا فيما ذكرت من قطع الأيدي وما معه بقولهم: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [٦]، وهو تعليل لنفي الضرر، أي لا ضير في ذلك، بل لنا نفع عظيم لما يحصل لنا من الصبر لوجه الله من الثواب العظيم [٧]، ثم أعقبوا قولهم: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٨]، وهو تعليل لما يُستفاد من كلامهم السابق إنهم لا يخافون العذاب، بل يشتاقون إلى لقاء ربهم ولا يخافون ما هدّدهم به من عذاب شديد[٩].

(١) المراقبة والمعاقبة ولادة في السجن، ميشيل فوكو، تر/ علي مقلد، مركز الإنماء القومي، ١٩٩٠:٧١.
(٢) سورة الشعراء:٤٩.
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب :١٣٥/٢٤.
(٤)ينظر: المراقبة والمعاقبة ولادة في السجن، ميشيل فوكو، تر/ د.علي مقلد، مراجعة وتقديم، د.مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي ، لبنان، ١٩٩٠ :٧٢.
(٥)ينظر: خطاب السلطة في القرآن الكريم :١٢٠-١٢١.
(٦) سورة الأعراف :١٢٥.
(٧)ينظر: روح المعاني :٨٠/١٩.
(٨)سورة الشعراء :٥١.
(٩)ينظر :الميزان :٢٧٥/١٥.

فقد وظّف فرعون وسائل تركيبية (syntactic devices) ضاعفت قوة الخطاب الإنجازية، وهي المؤكدات المتتالية ابتداءً من اللام في سوف التي يقول عنها الآلوسي: ((إنّها دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة)) [١]، مع نون التوكيد في ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾، ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ مع صيغة التوكيد غير الصريحة (التوكيد المعنوي) التي جاءت لتقوية المنطوق وتأكيده مع سلطة فرعون الحاكمية التوجيهية [٢]، التي يمكن عدّها من وسائل تعديل القوة الإنجازية للفعل، ومؤشراً أو علامة على شدّة الفعل وقوته وهو التهديد .

وقد تكرّر خطاب فرعون في القرآن الكريم في موضع آخر بقوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ [٣]، يعلن فرعون هنا أيضاً سبب إيمان السحرة بأنهم تواطؤوا مع موسى–عليه السلام–فأظهروا العجز عن مناظرته، وهذا تلويح حواري أراد منه إقناع الحاضرين بأنَّ موسى–عليه السلام–لم يأتِ بما يعجز السحرة إدخالاً للشكِّ في نفوس الذين شاهدوا الآيات [٤]، وهذا التلويح يعدّ من التلويح المُخصّص (particularized) الذي يتطلب سياقا (سيناريو) خاصاً لكي يُتوصَّل إليه [٥] ، وقد وصل أيضاً خطابه الى غاية التكبُّر في هذا النص القرآني بقولة ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾ استفهام عن مشتركين في شدة التعذيب، وأراد بالمشتركين نفسه ورب موسى سبحانه وتعالى بعدما علم من قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ [٦]، أمّا الذي حملهم على هذا الإيمان ما قدّم لهم موسى–عليه السلام–من الموعظة فسمع قول موسى: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ [٧]، فأراد أن يقول: ستجدون عذابي أشدّ من العذاب الذي حذركم منه [٨] .

(١)روح المعاني :٧٩/١٩.
(٢) ينظر التداولية بين النظرية والتطبيق: ٢٢٥-.٢٢٦
(٣) سورة طه:٧١.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير:٢٦٤/١٦.
(٥)ينظر: نظرية التلويح الحواري : ٣٤.
(٦) سورة طه:٧٠.
(٧)سورة طه:٦١.
(٨)ينظر: التحرير والتنوير : ٢٦٥/١٦.

إنّ الموقف الحواري بين فرعون والسحرة إنما يمثل تهديداً لسلطته، وخطابه تأسّس على هذا المفهوم، فأراد أن يخفّف من حرج الموقف عندما صوّر أن إيمان السحرة لم يكن عن قناعة، بل هو مكيدة مُدبّرة من موسى و هؤلاء السحرة [١]، فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ﴾[٢] ، فلم يفلح خطاب التهديد الذي أطلقه فرعون وهو لازم فعل الكلام (perlocutionary act)، الذي يعني إنّما يحدثه الفاعل طبقاً لقوله شيئاً ما يكون إنفاذه تاما كالاعتقاد والاقناع والترك [٣] ، فلم يتحقق لازم الفعل الكلامي، فكان ردّ السحرة ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ﴾ [٤] .

يُخلَص إلى نتيجة في التوجيه بالعاقبة مفادها أنّ العاقبة تكون أشدّ عند إصرار المُرسَل إليه على الإيمان، أو يكون قد قارب على الإيمان، ففرعون بعدما أحسّ بخطورة الموقف وحرجه، وأنّ سلطانه في خطر، وأن السحرة آمنوا بموسى–عليه السلام–فهو يعرف مدى تأثير إيمان السحرة في قلوب الناس عمد إلى عقوبة شديدة وهي التهديد بالتعذيب وتفصيل العاقبة عليهم خير مثال، وهي تقطيع الأيدي والأرجل والصلب.

(١)ينظر: الحوار في القرآن الكريم قواعده واساليبه ومعطياته :٢٨٢.
(٢)سورة الأعراف :١٢٣.
(٣)ينظر: نظرية أفعال الكلام كيف ننجز الأشياء بالكلام :١٣١.
(٤) سورة طه:٧٢.

ثانياً: التوجيه بألفاظ المعجم:

من الآليات التي يوظفها مُرسِل الخطاب ضمن الاستراتيجية التوجيهية ألفاظ وصيغ يستعملها للتوجيه كالأمر والنهي والتحذير ... وغير ذلك، وهذه الألفاظ ليست بالصيغة المباشرة، وإنما الفاظ معجمية تدلّ على التوجيه، نصحاً، أو وصيةً، أو مناشدةً، أو اقتراحاً [١]، فعند قولنا:(أعدك، أنصحك)، فنحن أمام قوة إنجازية ظاهرة أو صريحة، أمّا قولنا: (في المدينة مرض مُعدٍ)، فقد يكون إخباراً(Constatif)، أي وصفاً للواقع، و يمكن أن يكون تهديداً أو تخويفاً عند ذاك يصبح قولاً إنجازياً أولياً (Primaire)، أو قولاً إنجازياً ضمنياً (Implicite)، فتأويل هذا الملفوظ يحدّده المقام أو السياق، فهو الذي يساعدنا في معرفة حقيقة القول وتأويله [٢] .

وقد جاءت في خطاب الكافرين هذه الآلية التوجيهية في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ قَالُوٓاْ أَوَ لَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [٣]، وفي الآية حوار النبي لوط–عليه السلام–مع قومه حينما جاؤوا مُستبشرين بعد سماعهم خبر أضيافه، فبدأ لوط–عليه السلام– بطلب بصيغة النهي ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴾، أي إذا قصدتموهم بالسوء كان ذلك إهانة لي[٤]، ثم أردف خطابه بطلب آخر بصيغة الأمر ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴾المُستلزم النصيحة والإرشاد، والعتاب في الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ [٥] فأراد بقوله: ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾، أي يهتدي إلى الحقّ ويرعوي عن الباطل [٦]، والاستفهام يستلزم الإنكار والتوبيخ؛ لأنَّ إهانة الضيف مسبَّة لا يفعلها إلّا أهل السفاهة [٧].

فلم يجد خطابه أذناً صاغية من القوم، بل أجابوا الطلب بطلب آخر، وهو التوجيه باللفظ المعجمي ﴿نَنۡهَكَ﴾ الذي يدلّ معجمياً على النهي وهي صيغة الفعل المضارع الذي يُفتَرض أنهم نهوه سابقاً عن

(١) ينظر : استراتيجيات الخطاب : ٣٦٠.
(٢) ينظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني:٥٢ ، وفي اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د. خليفة بوجادي، جامعة سطيف، الجزائر، ط/١، ٢٠٠٩ :٩٦.
(٣) ينظر : سورة الحجر:٦٨-٦٩-٧٠.
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب :٢٠٦/١٩-٢٠٧.
(٥) سورة هود : ٨٠-٨٧.
(٦) ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢٢٨/٤.
(٧) ينظر التحرير والتنوير: ١٢٩/١٢.

إجارة أحد، واستفهامهم استنكاري أضمر في تعدية النهي إلى ذات العالمين دلَّ عليه المقام، أي ألم ننهك عن حماية الناس وإجارتهم [١].

إنّ استعمالهم لفعل التوجيه الصريح (ننهك) أقوى من قولهم: (لا تجير أحداً، أو لا تحمِ أحداً)، إذ ليس للصيغة النحوية مغزى ثابت في كل حالات استعمالها، بل لها معنًى نحوي محدود يتساوق مع أفعال كلامية عديدة [٢]، لذلك يمكن القول بإنّ القوة الإنجازية هي نسبية في ضوء الاستعمال الفعلي المرتبط بالواقعة الكلامية أو المقام [٣]، فمجيء فعل التوجيه بعد الاستفهام الاستنكاري، فضلاً عن الموقف الكلامي الذي يوحي بأن المُرسل في كامل سلطته، وعلاقته بالمُرسَل إليه، زيادة على محتوى القضية التي عبّروا عنها، جعلت فعل التوجيه يأتي بصيغة صريحة وغير مباشرة أقوى من الصيغة الضمنية المباشرة.

ووظّف المُرسِل إشارية شخصية (personal deictic) وهو ضمير الجمع في الفعل المضارع (ننهك)، وتعدّ هذه الاشارية بمثابة حجر الأساس لبدء العملية التواصلية في حوارية ناجحة ناجزة[٤] زيادة لما فيه هذا الضمير من إشارة إلى الجماعة التي تكون عاملاً في تقوية سلطة الخطاب والهيمنة بآلية التوجيه على المُرسَل إليه وسلب رأيه التي دلّت عليه الإشارية الأخرى في ضمير الخطاب الدال على الواحد وهو الكاف الذي كانت تعوزه السلطة مقابل سلطتهم ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ فالخطاب كان تضامنياً وبتودد .

(١) ينظر: المرجع نفسه :٦٧/١٤.
(٢) ينظر: نظرية الفعل الكلامي، هشام الخليفة:١٥٣.
(٣) ينظر: تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، د.محمد العبد، ضمن التداوليات علم استعمال اللغة، تقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، ٢٠١١ :٣٢١.
(٤) ينظر: التداولية بين النظرية والتطبيق:٧٠

الفصل الثاني

الاستراتيجية التلميحية

مفهوم الاستراتيجية التلميحية (Off record strategy):

المبحث الأول

متضمنات القول (Implicites)

مفهوم متضمنات القول(Implicites):

أولاً/ الاستلزام الحواري (Conversational Implicature)

أ- خرق قاعدة الكم (The Maxim of Quantity):

ب- خرق قاعدة الكيف (The Maxim of Quality):

ج-خرق قاعدة العلاقة أو المناسبة(maxim of relevance)

ثانياً/ الاقتضاء التداولي (Presupposition Pragmatics)

توطئة:

مفهوم الاستراتيجية التلميحية (Off record strategy):

تتبني استراتيجية التلميح على معيار شكل الخطاب اللغوي للدلالة على قصد المُرسِل، إذ تعتمد على التلميح بالقصد وتضمينه في الملفوظ [١]، فلّلغة مواضعاتها للتعبير عن قصد المُرسِل، ومنها المستوى الدلالي، فيختار المُرسِل ما يتفق مع شكل اللغة الدلالي مباشرة بما يتطابق مع المعنى الظاهري للخطاب، فتُسمَّى الاستراتيجية المباشرة، وقد يعدل عنها، فيُلمِّح بالقصد عبر مفهوم الخطاب المُناسب للسياق، لينتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المُرسَل إليه[٢]، لذلك تُعرَّف الاستراتيجية التلميحية ((بأنها الاستراتيجية التي يُعبِّر فيها المُرسِل من طريق غير التصريح المباشر، والدلالة الظاهرة، بل يختار أن ينقل قصده عبر طرق دلالية غير مباشرة))[٣]، ويحتاج المُرسَل إليه معها إلى إعمال آليات الاستدلال للوصل إلى القصد، فهي استراتيجية يحتاج فهمها إلى الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المضمر الذي يدلُّ عليه عادة السياق بمعناه العام[٤]، وهذا يبيِّن أهمية السياق في منح الخطاب دلالته للتعبير عن القصد [٥].

وتقتضي هذه الاستراتيجية معرفة كاملة باللغة وبأساليب انتاج الخطاب، وهذا ما يُعَرف بالكفاءة اللغوية(Competence linguitstique)، و تستلزم هذه الاستراتيجية معرفة أخرى تتجاوز الكفاءة اللغوية إلى الكفاءة التداولية [٦] (Pragmatic Competence) التي تعني قدرة مستعمل اللغة على استيعاب العناصر غير اللغوية وتوظيفها في أثناء التخاطب سواء في توجيه الكلام أم في تأويله[٧]، فضلاً عن الكفاءة السياقية الحالية التي تمثِّل دعامة أساسية وركيزة ضرورية لإقامة التأويل [٨]، وهذا يعني أنّ العبارة اللغوية يجب التعامل معها على أساس أنها وسائل يستعملها المُرسِل للإبلاغ عن معنًى

(١) ينظر: المصطلح الإعلامي العربي دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، بوكلخة صورية، إشراف أحمد عزوز، رسالة ماجستير(مخطوطة)، جامعة وهران الجزائر٢٠٠٨: ٢٢٩.
(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:١٣٣/٢.
(٣) الاستراتيجية التخاطبية في السنة النبوية، إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج/٨، العدد/(٢/١٦)٢٠١٤ :٥٥١.
(٤) ينظر: المرجع نفسه: الصفحة نفسها.
(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:١٣٣/٢.
(٦) ينظر: المصطلح الإعلامي دراسة في ضوء اللسانيات التداولية:٢٣٠.
(٧) ينظر: الكفاءة التداولية قراءة في الأساس الاجتماعي للخطاب، فريدة موساوي، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية الجزائر، مج/٤، العدد/٤، ٢٠٢١ :٢٧٢.
(٨) ينظر: السيمولسانيات وفلسفة اللغة بحث في تداوليات المعنى والتجاوز الدلالي، عبد السلام إسماعيلي علوي، دار كنوز،ط/١ ،٢٠١٧ :٢٣٣ .

معين في إطار سياق تُحدّده العبارة، وموقف تُحدّده الوسائط الأساسية لموقف التخاطُب [١]، أمّا من جانب المُرسَل إليه فهناك مجموعة عناصر تُساعده على تفسير الخطاب وتأويله منها[٢]:

أ / الاسترجاع: وهو استحضار ما اختزنته الذاكرة مما له صلة بالرسالة ويمكن إحالة هذا الموضوع إليه، فهي عملية مركبة من استحضار مضامين معينة وافتراض علاقة بينهما وبين موضوع الرسالة.
ب/ الاستبصار: وهو تجاوز اللغة بوصفها نشاطاً عقلياً إلى اللغة بوصفها تفكيراً اجتماعياً، فالفرد الذي يمارس الاستبصار يخرج من إطار اللغة الفردي إلى اللغة بوصفها تفكيراً اجتماعياً فبغير التفكير الاجتماعي لا يحدث التواصل.
ج/ الحدس: وهو خبرة ذهنية يستطيع أن يتوصل بها إلى النتيجة نفسها التي تؤدي إليها المقدمات من دون النظر فيها أو استعماها، ويتحكم في هذه العناصر مجتمعة نسيج مشترك بين المُرسِل والمتلقي يطلق عليه سياق الاعتقادات المتبادلة.

إنَّ هناك كثيراً من الأسباب التي تدفع المتحدثين إلى اعتماد الطريق غير المباشر في الحوار ومن ضمنها مبدأ التأدّب(principle of politeness) والعلاقات الاجتماعية، ومن ضمن الدوافع في استخدام اللاحرفية و اللامباشرة هو أنها وسيلة جيّدة تمكِّنه من المراوغة والانسحاب والتراجع عند الحاجة [٣]، ومنها أيضا إعلاء المُرسِل لذاته وإضفاء التفوّق على الآخرين والانتقاص من أقدارهم بالتلميح، أو التعريض بتصنيفهم في طبقة أدنى، أو العدول عن محاولة إكراه المُرسَل إليه لإنجاز فعل قد يكون غير راغب فيه، والاستغناء عن إنتاج عددٍ من الخطابات والاكتفاء بخطاب واحد يؤدي معنيين: المعنى الحرفي والمعنى المستلزم، إذ يُعبِّر المُرسِل عن قصده بمعنى مباشر وآخر غير مباشر بخطاب واحد[٤]، أي يستعمل القول فيها بكيفية مركّبة يرمي منها المتكلمون التعبير بشكلٍ ضمنيٍ عن شيء آخر غير المعنى الحرفي في التلميحات والسخرية والاستعارة وحالات تعدد المعنى (equivocate) [٥].

(١) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، دار الأمان، ط/١، ٢٠٠٦ :٦٤
(٢) ينظر: اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، سمير شريف استيتية، أربد :عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨ :٧١٦-٧١٦.
(٣) ينظر: نظرية الفعل الكلامي، هشام عبدالله الخليفة : ١٦٥.
(٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :١٣٩/٢-١٤٠ .
(٥) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان :٦٨.

هناك كثيرٌ من النظريات التي تناولت التلميح(off record) لعدد من الباحثين منهم (غرايس)، و(سبيربر وولسون)، و(براون ولفنسون)، و(سيرل) وأشهرها نظرية الاستلزام الحواري Conversational Implicature ، طبقاً لما يقتضيه مبدأ التعاون (cooperative principle)، وقد وضعه (غرايس) في قواعد منطقية لمعرفة القصد فهو كفيل بتحديده [١] ، وهو مبدأ استلزامي ضامن للتواصل والتفاهم بين المتحاورين ومفاده: (لتكن مساهمتك في المحادثة موافقة لما يتطلبه منك في المرحلة التي تجري فيها، ما تمَّ ارتضاؤه من هدف أو وجهة للمحاورة التي اشتركت فيها، أي مناسباً للاتجاه والغاية المتوخاة من المحاورة)، وقد يخالف المتخاطبون بعض هذه القواعد مع محافظتهم على مبدأ التعاون، فإذا وقعت المخالفة، فإن الإفادة في المخاطبة تنتقل من ظاهرها الصريح إلى وجه غير صريح وغير حقيقي فتكون المعاني المتناقلة ضمنية وغير صريحة [٢] ، وتتفرع قواعد مبدأ التعاون على أربع قواعد[٣]:

١ – قاعدة الكم (Maxim of Quantity)

اجعلْ اسهامك في المحاورة مفيداً، لا تجعلْ اسهامك بالمعلومات أكثر من المطلوب .

٢ – قاعدة النوع(Maxim of Quality)

لاتقلْ ما تعتقده غير صادق، ولا تقلْ ما ليس عندك دليل كاف عليه.

٣ – قاعدة العلاقة (Maxim of Relation)

ليكن كلامك ذا صلة، أو مناسباً بموضوع الحديث.

٤ – قاعدة الأسلوب (Maxim of manner)

تجنَّب الغموض، تجنَّب اللبس، تكلَّم بإيجاز، ليكن الكلام مُرتَّباً.

وإطاعة هذه القواعد لا تولّد تلميحاً حوارياً، بل يكون المعنى صريحاً، أمّا مخالفة هذه القواعد واستغلالها لإيصال ما نعنيه مع الاعتراف بها ضمناً فهذا يعدُّ تلميحاً، متمثلاً بالاستراتيجية التلميحية التي تعتمد على متضمنات القول، ومجموعة من الآليات، والأدوات، منها: الآليات اللغوية والآليات البيانية وقد وظّفها الكافرون ضمن هذه الاستراتيجية.

---

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ١٤٢/٢-١٤٣.
(٢) ينظر: اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي:٢٣٩.
(٣)ينظر: المنطق والمحادثة، بول غرايس(مقالة)، تر/ محمد الشيباني، سيف الدين دغفوش ، ضمن كتاب إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية :٦١٢/٢، ينظر : نظرية التلويح الحواري :٢٨ -٣٠.

المبحث الأول

متضمنات القولLes Implicites

مفهوم متضمنات القول(Les Implicites):

من المفاهيم التي تقوم عليها التداولية متضمنات القول(implicates) وهو مفهوم إجرائي يتعلق بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة وسياق الحال [١]، إذ إنَّ لغة التخاطب الطبيعي ليست صريحة؛ لوجود قضايا لا يمكن التعبير عنها مباشرة، ولكن تُستنتج من قضايا أخرى عُبِّر عنها تعبيراً سليماً [٢]، فكثيراً ما يقصد المُتكلِّم أكثرَ ممّا يقول، بمعنى يضمِّن في كلامه أقوالاً لا يذكرها بصريح العبارة، إذ لاحظ (غرايس) أن بعض الأقوال تبلِّغ أكثر ممّا تدلّ عليه الكلمات التي تتكون منها الجمل، وهذا الجزء من دلالة الأقوال التي تنأى عن شروط حقيقة الجملة يطلق عليها [٣] (متضمنات القول Les Implicites) وهو مفهوم يتعلق برصد جملة من الظواهر المرتبطة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامّة مثل سياق الحال وغيره[٤].

فالكلام لا يعني دائماً التصريح، بل يعني أحياناً حمل المُرسَل إليه إلى التفكير في شيء غير مصرَّح به، وهو كلام مُتضمِّن في القول الصريح، كالقول: (انقطع زيدٌ عن تناول المخدِّرات)، فهذا يعني أن زيداً كان يتناول المخدّرات من قبل، وتدخل مثل هذه الأقوال تحت ما يسمِّيه علماء الدلالة بالاقتضاء، ويسعى المُرسِل إلى توظيفه لمتضمنات القول إذا قوبل بالردع والنفي وتخفّى وراء تصريحه مع نفيه لما اعتقده المخاطَب، أو يلجأ إلى استعمال متضمنات القول خشية من خرق عادات كلامية اجتماعية،

---

(١) ينظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني:٦٣.
(٢) ينظر: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، تر/ عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، بيروت- لبنان ٢٠٠٠ :١٥٦.
(٣) ينظر: عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواص والحجاج، د.عبدالسلام عسير،إفريقيا الشرق، ط/٢ :٤٧.
(٤) ينظر: التداولية عند العلماء العرب:٣٠-٣٣.

فتضمين القول في هذه الحالة يقوم على القصد و الحدس، أي قصد المُرسِل وحدس المُرسَل إليه[١]، فيحتاج لمعلومات متعلقة لفكّ ترميز المحتويات المضمرة منها:

-السياق الخارج عن الكلام (الكفاءة الموسوعية).

-طريقة عمل القواعد التحادثية، أو قوانين الخطاب (الكفاءة البلاغية، و التداولية التواصلية).

-بعض الآليات التي تميِّز المنطق الطبيعي (الكفاءة المنطقية) [٢].

فالتضمين(Implication)، والاقتضاء[*](Presupposition) من آليات الاستراتيجية التلميحية؛ لأن المُرسِل يعبِّر فيها بغير التصريح والدلالة الظاهرة، فهي طرائق دلالية غير مباشرة [٣]، فالدلالة الصريحة هي معنى العبارة الحرفي، وأمّا الضمنية فهي التي تستخلص من صيغة العبارة على وفق العرف اللغوي وهي ثلاثة أنواع: ((دلالة مفهوم، ودلالة اقتضاء، ودلالة إيماء)) [٤]، وسيقتصر البحث على الاستلزام والاقتضاء من متضمنات القول في هذه الاستراتيجية؛ لأنَّهما يُحدّدان على أساس معطيات لغوية، لاستعمال الكافرين لها، ولوضوح مقاصد الشرِّ فيهما.

أولاً/ الاستلزام الحواري (Conversational Implicature):

يُعدُّ الاستلزام الحواري من أهمِّ الجوانب التي تبحثها التداولية، فهو ألصقها بطبيعة البحث فيه وأبعدها عن الدرس الدلالي [٥]، فإذا كان اللزوم المنطقي (Logical Implication) هو محور علم المعاني، فالاستلزام الحواري من أهمّ المفاهيم التي تقوم عليها التداوليات، وهذا التقارُب دعا الفيلسوف الأمريكي بول غرايس (Paule Graice) إلى اشتقاق مصطلح جديد من المصدر(Implicate) وتخصيص عملية الاستدلال في التداول اللغوي باسم(Implicature) تمييزاً لها عن المصطلح المتعارف

(١) ينظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، دار الأمل، ط/٢ :٥٩-٦٠.

(٢) ينظر: المضمر، كاترين كيربرات أوريكيوني، تر/ ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، ط/١ ، ٢٠٠٨ :٢٤.

(*) ترجم هذا المصطلح بالافتراض المسبَّق، أو الافتراض، أو الضمني، أو الاقتضاء التداولي واختار طه عبد الرحمن مصطلح الاقتضاء، ورجّحه الباحث محمد بريم، وسار عليه أصحاب التداوليات علم استعمال اللغة بالإضافة إلى ترجمتهم مصطلح الاستلزامimplication:ص:٦١١. ينظر: الاقتضاء في سورة البقرة ووظائفه الحجاجية، محمد بريم، ضمن التحليل الحجاجي للخطاب بحوث محكمة:٩٤، و: تحليل الخطاب في كتاب سيبويه: ٢١٧، و:آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٢٦، و:التداولية، جورج يول :٥١، والافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، د. هشام عبدالله الخليفة:٢٧

(٣) ينظر: الاستراتيجية التخاطبية في السنة النبوية:٥٥١.

(٤) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد:١٩٤.

(٥) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٣٢.

(Implication)، فحاول غرايس أن يضع نحواً على أساس تداولية الخطاب آخذاً بعين الاعتبار الأبعاد المؤسّسة للتخاطُب، فهو يؤكّد أنَّ التأويل الدلالي للعبارات أمر متعذّر إذا نُظِر إلى الشكل الظاهري فقط، فكثير من الأحيان في إثناء عملية التخاطُب لا ينحصر معنى الجمل فيما تدلُّ عليه صيغها الصورية، الأمر الذي يتطلب تأويلاً آخر يُنتقل فيه من المعنى الصريح إلى المعنى غير المُصرّح به وهو المعنى المُستلزم حوارياً[١]، فالفكرة الأساس التي ذكرها غرايس في مقاله الشهير(المنطق والمحادثة)١٩٧٩ تتمثل في أنّ المتخاطِبين عندما يتحاورون إنما يتّبعون عدداً من القواعد الضمنية اللازمة للتواصل، والمبدأ الأساس هو مبدأ التعاون (cooperativ principle) [٢]، الذي يقوم على أربع قواعد حوارية (الكم، والكيف، والملاءمة، والطريقة) * ، ويعتمد الاستلزام الحواري في انتاجه على خرق أحد هذه القواعد؛ لكي يصل بكلامه إلى مقصده الذي لا يتبين من حقيقية الألفاظ المستعملة فيه، بل بالاستناد إلى ملابسات الموقف وقرائن السياق، زيادة على العرف لمعرفة قصد المُرسل [٣] .

والقصد من جملة الشروط التي يكون على المتكلم احترامها، فيظهر قصده حتى لا يفهم من القول خلاف القصد، لذا اتخذ مبدأ التعاون شرطاً لتحقيق الأهداف أن يتبادل المُرسِل والمُرسَل إليه المقاصد فيما بينهم، إذ إنّ المقاصد مراتب منها ما هو عام، وما هو خاص، ومنها ما هو صريح وما هو ضمني، فالآليات التأويلية التي يستعملها المُرسَل إليه لإدراك مدلول الخطاب الموجّه إليه تقوم على فرضية تتبني على مقاصده، إذ من دونها لن يتمكن من إعطاء تأويل ملائم لما يوجّه إليه، وعدَّ (غرايس) القصدَ مركّباً فقد عمد إلى تفريعه إلى مقاصد[٤]:

-القصد الأول: قصد المرسِل إبلاغ المُرسل إليه محتوى دلالي معين.

-القصد الثاني: قصده أن يتعرف المُرسَل إليه على القصد الأول.

-القصد الثالث: قصده أن يبلغ المُرسَل إليه أن القصد الأول يتحقق بتعرف المرسَل إليه على القصد الثاني.

---

(١)ينظر: الاستلزام الحواري، العياشي أدواري:١٧-١٨ .
(٢) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان:٨٤.
(*) سبق عرضها ينظر: ٨٣.
(٣) ينظر: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي:٨١.
(٤) ينظر: الاستلزام الحواري، العياشي أدواري:١٠١-١٠٢.

للاستلزام الحواري عند (غرايس) خواصّ يتميز بها من الاستلزام التقليدي الاصطلاحي الذي يرتبط بمعاني كلمات معينة [١] .

١-يمكن إلغاؤه، وإبطاله، فالمعنى ثانوي بالنظر إلى المعنى الصريح، لذا يمكن إلغاؤه بإضافة قول من المتكلم يمنع ما يستلزم، كقولك: لم أجد كلِّ الطعام قد يستلزم وجدت بعضه فتلغي الاستلزام بقولك، بل وجدت بعضه.

٢-إنه متصل بالمعنى فلا يقبل الانفصال (Non-detachable) عن المحتوى الدلالي ولا يتغير باستبدال مفردات بمرادفاتها لا ينقطع الاستلزام، كقولك لمن يرفع صوته: أنا أتأذى من صوتك العالي، فيقول: أنا أحب التكلم بصوت عال.

٣-إنه متغير بتغير السياقات التي يرد فيها، فالاستلزام غير ثابت، بل يخضع للطبقات المقامية، قد يؤدي التعبير الواحد استلزامات مختلفة، وتؤدي السياقات المختلفة إلى اختلاف دلالة العبارة.

٤-يمكن تقديره(Calculability)، أي أن المتكلم بإمكانه أن يقوم بمجموعة من الاستنتاجات، أو العمليات الذهنية بناء على ما سمعه من كلام وصولاً إلى الاستلزام المطلوب بعيداً عن المعنى التركيبي، مثل: فلان أفعى لا يراد حقيقة المعنى، بل يراد الغدر أو الدهاء.

يُعدُّ الاستلزام الحواري أحد الاستراتيجيات التلميحية التي يختارها المُرسل لدواعٍ سياقية تجعله يعدل عن اللفظ الصريح إلى استعمال اللفظ غير المباشر[٢]؛ لاهتمامه بالمعنى غير الحرفي، لذلك عدَّ كثيرٌ من الدارسين بأنّ خرق قواعد (غرايس) ينتج عنها تلميحٌ [٣]، فضلاً عن أنّ القصد في الاستراتيجية التلميحية، أو ما يُسمَّى مفهوم الخطاب بمعناه الواسع يواكب إلى حدٍّ ما مفهوم الاستلزام الحواري عند (غرايس) [٤]، لذلك صنّفه عبدالهادي الشهري من الآليات شبه المنطقية في الاستراتيجية التلميحية [٥]، وجعل آخرون الاستلزام الحواري قسيماً للاستراتيجية التصريحية، بأنْ عدّوه استراتيجية تلميحية [٦]، وقد أشار الدكتور هشام الخليفة بحسب (لفنسون١٩٨٣) الذي قال بوجود علاقة بين التلويح ونظرية غرايس

(١) ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ :٩٢-٩٣، ونظرية التلويح الحواري: ٣٨-٤٢.
(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي مقاربة تداولية، د. باسم خيري خضير، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء - العراق، ط/١ ، ٢٠١٧ :١٥١
(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب في صبح الأعشى للقشلقندي، موسى طهراوي، كاهنة دحمون، مجلة المحترف، مج/٨، العدد/١ ، ٢٠٢١ :٧.
(٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:١٤٩/٢.
(٥) ينظر: نفسه :٢٠٢/٢.
(٦) ينظر: الاستلزام الحواري في صبح الأعشى التصريح والتلميح/ موسى طهراوي، اشراف كاهنة دحمون، مجلة المدونة، مج/٨، العدد/ ٣ ، ٢٠٢١ :٢٣٢٨.

في المعنى أن التلويح الحواري هو نوع من الاستدلال التواصلي المقصود بالصورة الخاصّة التي يتطلبها المعنى اللاطبيعي [١] .

وينقسم الاستلزام الحواري بحسب ما قرّره غرايس على قسمين [٢] :

١-استلزام عرفي يقوم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفكُّ عنها مهما اختلف السياق وتغير التركيب، مثل: (لكن) تستلزم ما بعدها أن يكون مخالفاً لما يتوقعه السامع.

٢-استلزام حواري يتغير بتغير السياق التي يرد فيه، ويختلف فيه المعنى الحرفي عن القصد، أو من جانب المُرسَل إليه عند سماعه شيئاً وفَهْمه شيئاً آخر، فسمّى غرايس هذا النوع من الاستلزام بالتلويح المخصَّص Particularized الذي يتطلب أسلوباً خاصّاً لكي يتمُّ التوصُّل إليه [٣]، فوضع مبدأ التعاونcp-operative principle لمعرفة المعنى المُستلزم الذي يشتمل على مبادئ فرعيةmaxims إذ يشكِّل المعنى المستلزم فيها تلميحاً حوارياً.

أ-خرق قاعدة الكم (The Maxim of Quantity):

وتسمّى قانون الإخبارية الذي يقصد به تجنُّب الثرثرة عند المحادثة وقول ما هو مُفيد ليس غير، فإذا سألك أحدٌ كم الساعة؟ تجيب الحادية عشر والنصف، فهذا الإخبار كافٍ لمؤدّى المقصود[٤]، فينحصر هذا القانون-كما هو معلوم- في((الإمداد بمعلومات مضبوطة لا زيادة فيها ولا نقصان ويشكِّل البديلة النموذجية لما يتطلبه الحوار الاستلزامي))[٥]، إذ بمقتضى هذه القاعدة يتوجّب على المُرسِل أن يكون كلامه غير زائد عن الحاجة، فتمثِّل أكثر ما يمكن أن يفيده أو يبينه، ولا أقلّ من القدر المطلوب، بحيث لم يقدِّم المُرسِل المعلومات المُهمَّة [٦]، ومفادها: لتكن مساهمتك في الحوار على قدر من المعلومات

(١) ينظر: نظرية التلويح الحواري: ٢٦.
(٢) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٣٤.
(٣) ينظر: نظرية التلويح الحواري:٣٤.
(٤) ينظر: تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، د.محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط/٣، ١٩٩٢ :١٤١-١٤٢.
(٥) نظرية الكم الخطابي في البلاغة العربية من ثوابت اللغة إلى متغيرات الخطاب، د.بنعيسى أزابيط، ضمن التداوليات علم استعمال اللغة:١٩٦.
(٦) ينظر: المرجع نفسه:٤٦.

يساوي ما هو مطلوب للمقاصد، ولا تجعل مساهمتك تفوق قدر المعلومات المطلوبة [١]، وقد يخالف المتخاطبون هذا المبدأ مع حفظ مبدأ التعاون، فينتقل المعنى من ظاهره الصريح إلى وجه غير صريح وغير حقيقي[٢]، فالمُتحدِّث يتعمد الإخلال بالقواعد من الناحية الظاهرية حتى يحقّق ما يبتغيه من تعاون على المستوى العميق الذي يطلق على هذا النوع الاستهانة بالقواعد [٣]، ومن خطابات الكافرين التي خُرِق فيها مبدأ الكم في حوار إبراهيم –عليه السلام–مع قومه في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ [٤]، فافتتح إبراهيم–عليه السلام–المجادلة باستفهامه عن كنه عبادتهم، وهذا الاستفهام ليس حقيقياً وإنّما صورياً؛ لعلمه بعبادتهم فألقى إليهم السؤال؛ ليكونوا هم المبتدئين بشرح حقيقة عبادتهم، فتلوح لهم من الجواب فساد عقيدتهم[٥]، فاستفهامه كما هو واضح استفهام حجاجي، فالاستفهام له أثرٌ كبيرٌ في الإقناع ولاسيّما في الحجاج؛ نظراً لما يُؤدّيه في جلب المتلقي لفعل الاستدلال بحيث يشركه في حكمه وقوّته[٦]، فأجابوه عن سؤاله بجواب انتهكوا فيه قاعدة الكم، بإطنابهم بالإجابة، فأتوا بالفعل ﴿نَعْبُدُ﴾ مع أنّ الشأن الاستغناء عن التصريح به، فلا حاجة لتعيين جنس المعبودات، فيقولوا أصناماً، ثمَّ عطفوا على الفعل (نعبد) ما يزيد فعل العبادة تأكيداً بقولهم: ﴿ فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾، وإيراد (اللّام) لمعنًى زائد، أي نظل لها مقبلين على عبادتها مستديرين حولها [٧]، من هذا ندرك تحكُّم المِخيال الجمعي لهم في تحديد الموقف من الآخر الخارج عن النمط الثقافي السائد، ويحافظ هذا المخيال على انغلاق المجتمع على قناعاته ويقينه [٨]، فهو سلطة بحدِّ ذاته، فتضمن ملفوظهم الاثباتي بخرقه قاعدة الكم قوتين:

–حرفية وهي الإخبار بعبادتهم الأصنام.

– قوة إنجازية مُستلزِمة وهو شدّة الإنكار والافتخار بالفعل تلميحاً بالقصد مع استمرارهم على الوثنية وعبادة الأصنام.

---

(١) ينظر: المنطق والمحادث ، بول غرايس، تر/ محمد الشيباني ، سيف الدين دغفوش، ضمن إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين:٦١٩/٢.

(٢) ينظر:اللسان والميزان والتكوثر العقلي:٢٣٨.

(٣) ينظر: أساسيات اللغة، ر.ل. تراسك، تر/ رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، ط/١، ٢٠٠٢ :٧٩.

(٤) سورة الشعراء:٧٠-٧١.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير:١٣٨/١٩.

(٦) ينظر: الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام مقاربة تداولية، بوصلاح فايزة، إشراف د.بن عيسى عبدالحليم، رسالة ماجستير الجمهورية الجزائرية، ٢٠١٠ :١٤٢.

(٧) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:٢٤٧/٦.

(٨) ينظر: لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، د.عبد الفتاح أحمد يوسف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط/١، ٢٠١٠ :٢١٥.

ب-خرق قاعدة الكيف (The Maxim of Quality):

تنصُّ هذه القاعدة على منع ادّعاء الكذب، أو اثبات الباطل، ولهذا يُطلَب من المُتكلم أن يورد العبارات التي وقف على دليل يثبت صدقها، ويتفرع إلى قاعدتين: (لا تقلْ ما تعلم خطأه، لا تقلْ ما ليس عليه دليل) [١]، أي أنّ يكون عالَم النص مطابقاً لما يقابله من العناصر والكيفيات في أنماط المعلومات العامة [٢]، وقد بيّن غرايس ذلك بمثالٍ ذي صلة بهذه الفرضية ((أتوقع أن تكون مساعدتك فعلية وليست ماكرة، فإذا احتجت لمادة السكّر لإعداد كعكة حلوى تساعدني فيها فأنا لا أتوقع أن تعطيني مِلحاً)) [٣]، فالكذب المقصود هو انتهاك للشرط التداولي والقواعد العامّة للصدق التي تُمثِّل كلّ تفاعل إنساني، وهو ظاهرة معقَّدة يُتعامل معها فلسفياً، وأخلاقياً، ودلالياً، وتداولياً، واجتماعياً، ونفسياً، وسياسياً وثقافياً [٤]، ويشتمل على ظواهر مختلفة مثل المجاز والتهكم وأحد نوعي المبالغة والإفراط [٥]، ومن أمثلة خرق مبدأ الكيف في خطاب الكافرين سخريتهم من الرُسُل منها سخرية اليهود من عيسى-عليه السلام-وتبجحهم بقتله وتماديهم بالكفر ورميه بالفاحشة في قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾[٦]. يشير السياق القرآني إلى نماذج من انتهاكات بني إسرائيل وعدوانيتهم من الكفر والقتل حتى وصلت صلافتهم إلى تبجحهم بالقتل، فجاء ملفوظهم المحكي عنهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ تقريرياً من أفعال الاثبات(Affirmation) مؤكداً بإنّهم معلنون حالة النصر، وفي هذا الزهو والنشوة نلمح السلطة التي تميل بطبيعتها إلى الفساد[٧]، واعتماداً على المبدأ التداولي الأول للتحاوُر المُسمّى مبدأ التعاون (Co operative principle) الذي صاغه بول غرايس ومفاده أنَّ التفاعلات الحوارية تبلغ مقاصدها

(١) ينظر: الاستلزام الحواري، العيّاشي أدواري:٩٩.
(٢) ينظر: النص والخطاب والإجراء، روبورت دي بوجراند: ٤٩٦.
(٣) المنطق والمحادثة، بول غرايس (بحث):٦٢١.
(٤) ينظر: الاستلزام الحواري المخصّص في الخطاب القرآني (خرق قاعدة الكيف إنموذجاً)، جنان سالم محمد البلداوي، زينب عبدالحسين الملا السلطاني، الخطاب، مج/١٧، العدد/١، ٢٠٢٢ :٩١.
(٥) ينظر: نظرية التلويح الحواري:٤٥.
(٦) سورة النساء : ١٥٦-١٥٧.
(٧) ينظر: خطاب السلطة في القران الكريم :١٢٤.

بمقتضى التعاون القائم بين أطراف الحوار[١]، تبين أن ملفوظهم تجاوز حدَّ الإخبار والتبليغ بخرقه لمبدأ الكم الخطابي بالإطناب بذكر أسماء وكنًى عيسى–عليه السلام–فلم يكتفوا بذكر اسمه فقط، بل ذكروا أوصافاً أخرى (المسيح، وعيسى، وبن مريم، ورسول الله)، منها وصفين بخلاف الحقيقة وإنَّما كذب؛ لأنه مُخالف لشرط الصدق، ففي إطلاقهما خرق لقاعدة الكيف:

الأول قولهم: المسيح عيسى والآخر قولهم: رسول الله، أمّا الأول فلقّبه به اليهود تهكماً؛ لأن المسيح في العبرية بمعنى الملِك فقصدوا منه التهكم فصار له بينهم الذي قصدوا منه تحقيره، فقلبه الله تعظيماً له، أمّا القول الآخر(رسول الله) فإذا كان المحكي عنهم فمراد منه التهكم [٢]، وقال أبو السعود: ((نظم هذا في سلك جناياتهم التي نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذباً، بل لتضمّنه لابتهاجهم بقتل النبي والاستهزاء به، فإن وصفهم له بعنوان الرسالة إنما هو بطريق التهكم))[٣]، ويُصنِّف السكّاكي(ت٦٢٦هـ) هذه الآليات ضمن الاستعارة التهكمية وهي((استعارة اسم أحد الضدين أو النقيضين للآخر، بواسطة انتزاع شبه التضاد، وإلحاقة بشبه التناسب، بطريق التهكم أو التلميح))[٤]، فالسياق المقامي وقرائن الأحوال أخرجا المعنى الحرفي للملفوظ التقريري من الإخبار إلى قوة إنجازية مستلزمة وهي السخرية استعراضاً لقوة السلطة؛ لأنَّ السخرية سلاح نفسي فهي أشدُّ تأثيراً من غيرها من الأسلحة النفسية، فهي نقد أو طعن مصوغ في ثوب الفكاهة [٥]، فخطاب الكافرين أحياناً ينحو هذا المنحى.

عمد الكافرون إلى هذا السلاح بشتّى الطرائق والأساليب فسخّروا كلّ ما لديهم من فنون السخرية فنلحظ الكافرين من قوم لوط–عليه السلام– يسخرون به وبمن آمن معه من عفتهم وطهارتهم، فكانت نقاط القوة لدى أولئك الأطهار نقاط ضعف وعيب في نظرهم [٦]، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [٧] ، فالملفوظ وصفي تقريري (assertion)، يعني إنهم يتنزهون عن الرذيلة، أو يتنزهون عن أفعالهم وطرائقهم[٨]، والمُتلفظ هنا كبراء القوم وسادتهم قالوا ذلك لإتباعهم، وبما أنّ هذا اللفظ للمدح فنعت لوط–عليه السلام–وأتباعه به انتهاك لمبدأ الكيف؛ لأن الحوار بدأ عندما نهاهم نبيهم عن

(١) ينظر : الاستلزام الحواري في التداول اللساني :٩٧-٩٨.
(٢) ينظر :التحرير والتنوير :١٩/٦-٢٠ .
(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم :٢٥١/٢، ومواهب الرحمن في تفسير القرآن :١٣٢/١٠-١٣٣.
(٤) مفتاح العلوم : ٣٧٥.
(٥) ينظر: التصوير الساخر في القرآن الكريم، د.عبد الحليم حفني، الهيأة المصرة العلمية للكتب، ١٩٩٢ :١٧.
(٦) ينظر : الأمثل :٧٤/٥.
(٧) سورة الأعراف :٨٢.
(٨) ينظر : مجمع البيان : ٢٢٣/٤.

الفاحشة﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [1] باستفهام يستلزم الإنكار والتوبيخ، فيأتي جوابهم بالتهديد بالإخراج من القرية: ﴿ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[2]، فالمقام ليس مقام مدح، فالقوة الإنجازية المستلزمة هي السخرية، التي هي أيضاً نقض لمبدأ التأدب؛ لأن مبدأ التأدُّب الذي قالت به لاكوف (Robin –Lakoff) يُفضل مبدأ التعاون الذي اقترحه (بول غرايسGrice) على اعتبار أن هذا المبدأ(مبدا التأدب) يجمع بين الجانبين التبيلغي والتهذيبي [3] .

قال الزمخشري(ت٥٣٨هـ) في سبب إطلاقهم لهذه الصفة إنّها: ((سخرية بهم، وبتطهرهم من الفواحش، وافتخاراً بما كانوا يفعلون من القذارة كما يقول الشطّار من الفسقة لبعض الصُلحاء إذا وعظهم أبعدوا عنها هذا المتقشف، و أريحونا من هذا المتزهد)) [4]، والسلطة هنا في قوة التقليد التي تدعمها قوة العادة التي تنص على أنَّ أي مقاومة لها تعدُّ إثماً [5]، وقولهم هذا فضلا عن السخرية جعلوها علةً للأمر بالإخراج بدلالة قولهم: (إنهم)، أي هم لا يوافقونا على ما نحن عليه ومن لم يوافقنا وجب إخراجه [6]، فالإخراج لغة إقصائية تساومية، فهي في لغة الطغاة محاولة للخلاص من الفكر المُضاد [7]، فالأبعاد النسقية الاستهزائية علامة إشهارية بالآخر وإعلان عن خروجه عن النمط الاجتماعي السائد [8]، فالمُرسِل هنا استعمل التهكم للأفعال، فالسخرية تعدُّ شكلاً معروفا للنقد التهكمي، ففي حالة الانتقاد التهكمي يتشرب المعنى الحرفي الإيجابي بالمعنى السلبي فيكون تقويمه النقدي أقل[9].

ويُلحظ في خرق مبدأ الكيف سخرية الكافرين بعيسى–عليه السلام–وحده، أمّا سخرية قوم لوط–عليه السلام–جاءت به وبقومه في قولهم﴿ يَتَطَهَّرُونَ﴾، ويُعلّل هذا بأن القتل شمل عيسى وحده دون قومه،

(١) سورة الأعراف:٨٠.
(٢) سورة الأعراف:٨٢.
(٣) ينظر: الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني (مقاربة تداولية في آيات من سورة البقرة) ،عيسى تومي ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب ،مج/٨ ، العدد /١ ٢٠١٩ :٤٥.
(٤) الكشاف : ٤٧٠/٢ .
(٥) ينظر: في القوة والسلطة والنفوذ دراسة في علم الاجتماع السياسي، حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مركز الاسكندري للكتاب، ٢٠٠٧ :٥٥.
(٦) ينظر: البحر المحيط : ٤/ ٣٣٨ ، وروح المعاني :١٧١/٨.
(٧) ينظر : الآخر في القرآن :٥٣.
(٨) ينظر: خطاب السلطة في القرآن الكريم :١٩٧.
(٩) ينظر : استراتيجيات الخطاب : ١٨٧/٢.

أمّا من المؤمنون الذين آمنو به فقد وعدهم الله بأنه سيفّوقهم على الكافرين، وإنَّ هذا التفوق سيدوم إلى يوم القيامة [1] في قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ﴾ [2] .

ويُلحظ خرق مبدأ الكيف عند الكافرين من قوم موسى–عليه السلام–بعدما شاهدوا المعجزات مما أصابهم من جدب السنين وغيرها، فلم تنفع معهم، فجاءت بعدها مرحلة ثانية أنزل الله عليهم معجزات أخرى فلم تنبههم، بل بقوا على إنكارهم وعنادهم [3]، فجاء ملفوظهم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[4] تلميحاً استلزم السخرية من المعجزات التي جاء بها إشارة لإصرارهم على الكفر[5] المتحقق بـ(مهما) المتضمنة معنى الشرط [6] التي يقتضي صدق شرطها وصدق جزائه [7] ، أي اقتضاء الاتيان واقتضاء عدم الإيمان، وكونهم غير مؤمنين بآيات موسى–عليه السلام–فتسميتها (آية) خرق لمبدأ الكيف؛ لأنهم قصدوا اعتبار تسميته لها لا تسميتهم، فهم يسمّون ما جاء به سحراً؛ لأنهم غير مؤمنين بمعجزاته وآياته، لذلك استلزم ملفوظهم((الاستهزاء والتلهّي)) [8]، وبما أن موسى–عليه السلام–قدّم آياته ومعجزاته حجة ظاهرة فهم أيضاً استعانوا بالسخرية وسيلة حجاجية؛ لأن السخرية على حدِّ تعبير (بيرلمان وتيتيكا) تعدُّ وسيلة إقناعية ممكن استخدامها في كلِّ الحالات الحجاجية، إذ يسعى المُرسِل فيها إلى إقناع المتلقي فهو حجاج غير مباشر [9]يعتمد أسلوب المغالطة.

إنّ هناك طريقتين تجعلان المرسَل إليه تأويل القول على أنّه سخرية: أولهما طريقة الذكر التي نجد فيها شيئاً غير ملائم أو ينص على ما فيه مبالغة، أو مثار للتندر بإشارات حركية أو لغوية أو بلاغية، أمّا الآخر فهو أن تحدث السخرية بعبارات غير موسومة بأي شكل، ولكن القائل على ثقة من أن المُرسَل إليه لديه معلومات كافية تجعله لا يصدق القول حرفياً [10]، وقولهم: (لتسحرنا) إظهار لكمال الطغيان

(1) الميزان في تفسير القرآن:٣/٢٤٠.
(2) سورة آل عمران:٥٥.
(3) ينظر: الأمثل:٥/١٢٠-١٢١.
(4) سورة الأعراف :١٣٢.
(5) ينظر: مجمع البيان :٤/٢٥١.
(6) ينظر:مغني اللبيب:١/٣٣١.
(7) ينظر: التحليل الحجاجي للخطاب:١١٩.
(8) الكشاف: ٢/٤٩٦.
(9) ينظر: آليات الحجاج في الخطاب السياسي الرسائل السياسية للأمير عبد القادر نموذجاً، لعرباوي نورية، إشراف، د.مفلاح بن عبدالله، أطروحة دكتوراه(مخطوطة)، جامعة وهران، الجمهورية الجزائرية، ٢٠١٨ :١٦٨.
(10) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص ، د.صلاح فضل، عالم المعرفة ، ١٩٩٢ : ٩٥ .

والغلو؛ لأنهم جعلوا الإرشاد للحق سحراً [١]، فقد وضعوا أنفسهم في مقام أرفع وهو مقام المتسلط ووضعوا الآخر في مقام الضعف، فالسخرية تضمر حالة التضاد بين من يملك السلطة وبين من يعمل بالضد من كلّما من شأن السلطة الحاكمة والجماعات المتسلطة، لذا نلمس في هذا نسقين نسق السلطة المستهزئة ونسق الآخر الرافض لهذا النسق [٢]، وقد بالغوا في انتفاء الإيمان بتقوية إنجازية الفعل الكلامي: ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بتصدير الجملة بـ (نحن) والباء الزائدة للتوكيد، أي لا يكون إيماننا لك أبداً [٣] إنكاراً ومعاندة وتأكيداً لتلميحهم بالسخرية الذي يقتضيه ملفوظهم بأن ماجاء به من الآيات ما هي إلّا سحر.

ج/ خرق قاعدة العلاقة أو المناسبة (Maxim of relevance):

ترمي هذه القاعدة إلى أنْ يناسب القول ما هو مطلوب، أي وجوب تعلُّق الخبر بالمقام [٤]، وتتصل هذه القاعدة بمختلف ضروب المناسبة(ماله صلة بالموضوع)، ومثالها الذي صاغه غرايس لها: (إذا كنت بصدد خلط لإعداد كعكة، فأنا لا أتوقع مدّي بكتاب مُهم، أو حتى مدّي بقفّاز الفرن) [٥]، وفي خطاب الكافرين نقف على خرق هذه القاعدة في حوار لوط–عليه السلام–مع قومه فيكون جوابهم غير مناسبٍ لما يقول تلميحاً بمقاصدَ انطوت على مضمون الشرِّ في قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٦].

بدأ لوط–عليه السلام–حواره مع قومه مذكّراً إياهم بمعاصيهم وفواحشهم، وكون هذا الاتصال ثنائي الاتجاهLa communication bidirectionnelle يكون الجواب ذا أهمية أكبر من الإرسال[٧]، فإن جوابهم هو خرق لقاعدة العلاقة، أي ليس له صلة بما يقول؛ لأنه لم ينذرهم بالعذاب، لكن ملفوظهم

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم :٢٦٤/٣.
(٢) ينظر: خطاب السلطة في القرآن الكريم :١٩٨.
(٣) ينظر: البحر المحيط :٣٧٠/٤-٣٧١.
(٤) ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني:١٠٠.
(٥) ينظر: المنطق والمحادثة، غرايس(بحث):٦١٩-١٢١.
(٦) سورة العنكبوت:٢٨-٢٩.
(٧) ينظر:في التداولية المعاصرة والتواصل، أ.مولز-ك. زيلتمان-ك أوريكيوني، تر/ محمد نظيف، إفريقيا الشرق،٢٠١٤ :١٢.

اقتضى أنه أنذرهم في اثناء دعوته [1]﴿ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فاستلزم جوابهم السخرية والاستهزاء، وأيضاً العناد والجهل و التلميح ضمناً على كذب دعوته بأنَّ لا عذاب سينزل[2]، والإصرار في المداومة على الفاحشة باستراتيجية تلميحية هرباً من القول المباشر، فهو هروب من مناقشة قبائح أفعالهم لا غير.

-الضمني(المعنى المستلزم): باقون ومصرّون على ما نحن عليه وما دعوتك إلّا محض كذب.

ثانياً/ الاقتضاء التداولي (Presupposition Pragmatics):

للّغات الطبيعية لونٌ من المضمرات تستنبطها اللغات الإنسانية ويخفيها الخطاب اللغوي، لا تقلّ أهميةً بالنسبة لباقي المضمرات تفرزها البنيات اللغوية الصريحة، ويطلق على هذا اللون في الأدب اللساني المعاصر الاقتضاء (Presupposition)، فالعلاقة الإنسانية اللسانية تقتضي في حواراتها وأقوالها معانٍ مضمرة على جهة من الجهات التخاطبية، فالمتكلم اللغوي الطبيعي عندما يتحدث لمخاطبه يستطيع أن يضمن كلامه دلالات اقتضائية تفهم من عرض الكلام، ومن مقتضيات أدواته اللسانية من دون أن يصرِّح بها [3] .

والاقتضاء يعدُّ من أهمِّ المفاهيم التي تقوم عليها التداولية، ويستند إلى مبادئ عامة تقع خارج اللغة ويهدف إلى الاتصال القائم على التعاون، ومع ذلك له تأثير فعّال على بنية اللغة نفسها، ومن أهمّ ميزاته أنه يقدِّم تفسيراً صريحاً لقدرة المتكلم على أن يعني غير ما يقول بالفعل، أي غير ما يعبّر عنه بالمعنى الحقيقي، مثل القول: أ: كم الساعة؟ ب: لقد أذّن العصر، لكن من الظاهر لكل من يتكلم العربية، أن المراد بها التخاطُب يتجاوز المنطوق الحرفي، فالحوار يقصد:

أ: أرغب أن تقول لي (كم الساعة) بحسب التوقيت المتعارف عليه دولياً في اللحظة التي أتكلم فيها الآن إذا كان باستطاعتك ذلك.

(1) ينظر: التحرير والتنوير:٢٠/٢٤١.
(2) ينظر: نظم الدرر:١٤/٤٢٩ ، والأمثل: ١٢/٢٧٦.
(3) ينظر:الخطاب اللساني العربي هندسة التواصل الإضماري:٢/٥١.

ب: بالحقيقة أنا لا أعرف الوقت الدقيق الآن، لكنّي استطيع أن أفيدك بخبر يمكنك أن تستنتج الوقت على وجه التقريب و هو (أن آذان العصر قد مضى منذ مدة وجيزة)[١].

ظهر مصطلح الاقتضاء وتجلّت أبعاده أولاً عند الأصوليين، فعدّوه ضرورة للإشارة إلى المحتوى الدلالي المحذوف من الكلام وتقديره مهم جداً في طريق البحث عن الكلام الذي لا يبدو منسجماً مع الصحة العقلية والشرعية للنص[٢]، فعرَّفه التهانوي بأنه: ((جعل غير المنطوق منطوقاً لتصحيح المنطوق شرعاً أو عقلاً أو لغة)) [٣]، فيتضح من التعريف أنهم جعلوا المقتضى والمحذوف في درجة واحدة، فأطلقوا المقتضى على كلِّ ما أضمر لصدق الكلام وصحته فعلاً وشرعاً [٤]، ويعدُّ لالتقاء مجموعة من العلوم المعرفية المختلفة، فهو مفهوم منطقي فلسفي أصبح يوظَّف في ما بعد في سياق نظريات تداولية أعم[٥] ، فدخل في مجال البحث التداولي تأسيساً لمبدأ التأويل الصدقي للأقوال، فهو ذو وظيفة تأسيسية تسهم في بناء التواصلية وتؤثر في صدق الجملة وليست مجرد ظاهرة تداولية، فالاقتضاء الذي قدّمه غرايس أنه شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ولا يكون جزءاً مما تعنيه الجملة حرفياً[٦]، فيعرَّف في الدرس التداولي بأنه: ((المضمون الذي تبلَّغه الجملة بكيفية غير صريحة))[٧]، أي كلّ جملة(أو تعبير) "أ" تحتوي على تصوير لحالة معيّنة، تقتضي جملة (أو تعبيراً) "ب" إذا كانت القضية "أ" ونفيها يستلزم"ب" [٨]، أو هو نقل المعنى بغير الوجه الصريح بدلالات السياق والقرائن، واستعمال المُرسِل للآلية الإضمارية تدفع المُرسَل إليه إلى معرفة هذه الآلية بالاعتماد على القرائن المقالية والمقامية؛ لأنَّ استخراج المحتوى المضمر من القول ما يعيننا على تسييق جديد للكلام لفهم معناه الكلي، مع الاستعمال الدقيق لمدى ملاءمة المحتوى المضمر المستخرج من المحتوى الصريح[٩] .

(١) ينظر: الاقتضاء في التداول اللساني، د.عادل فاخوري، مجلة عالم الفكر، العدد/٣ ، (بحث منشور)١٩٨٩ :١٤١.
(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي:٤٨.
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون:١٦٢٤/٢.
(٤) ينظر: دلالة الاقتضاء بين الأصوليين والتداولية، دراسة في التأويل الصدقي للأقوال، لمين جمعي، إشراف، د.محمد بوادي، المعيار، مج/٩، العدد/١ ٢٠١٨ :٢١٨.
(٥) ينظر: التحليل الحجاجي للخطاب بحوث محكمة، إشراف وتقديم/ د.أحمد قادم، د.سعيد العوّادي، دار كنوز، ٢٠١٦ :٩٧.
(٦) ينظر: نفسه:٢٢١-٢٢٤.
(٧)التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول ، جاك موشلار، تر/ سيف الدين دغفوش، محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، ط/١، ٢٠٠٣ :٤٧ .
(٨) ينظر: هندسة التواصل الإضماري:٥٥/٢.
(٩) ينظر: المضمر: كاترين كيربرات أوريكيوني :٢٤ ، و تحليل الخطاب في كتاب سيبوية، د.رحيم مجيد راضي:٢١٦

ويُعرِّفه الدكتور باسم خيري بأنّه ما يعنيه المُتكلم ويوحي به ويقترحه ولا يكون جزءاً مما تعنيه الجملة بصورة حرفية [١]؛ لذلك عدّوه إحدى الاستراتيجيات الخطابية التلميحية التي يعتمدها المُرسِل عندما يكون موجِزاً اعتماداً على المعلومات المشتركة بينه وبين السامع، ويُفسِّر الاقتضاء المعلومات المشتركة بين المُرسِل والمُرسَل إليه، فالمُرسِل ينوع في استراتيجياته تبعاً للمخزون من معلومات في ذهن المتلقي[٢]، ويعدُّ ستالينكار المُمثّل النموذجي للاتجاه غير الشكلاني القائم على الأعمال المؤسسة لـ (غرايس)، فالاقتضاء لا يُحدَّد بالقضايا المعبَّر عنها، بل بالمقامات التي أنجزت فيها، وهي مقامات تضمُّ المواقف القضوية ومقاصد كل من المتكلم ومخاطَبه، فهي تحيل على الاعتقادات الخلفية، أي على القضايا التي يعدّها المتكلم صادقة [٣].

يتميز الاقتضاء بمجموعة من الخصائص[٤]:

١-قابلية الاقتضاء للإلغاء والنسخ Defeasible، إذ إنَّ معظم أنواع الاقتضاء تتمتع بهذه الخاصية، فالاقتضاء القابل للنسخ يمكن إلغاؤه بإضافة مقدمة أو أكثر إلى المقدمات الأصلية، فتقول: (لأحمد ثلاثة مؤلفات فحسب) يمكن إبطال المقتضى بإضافة جملة اعتراضية(لأحمد ثلاثة مؤلفات، إن لم تكن أكثر).

٢-عدم الانفكاكDetachable. يقصد غرايس أنَّ الاقتضاء يتعلق بالمضمون الدلالي لما هو مقول وليس بالصورة اللغوية، ومحال انفكاك المقتضيات عن التلفظ بإبدال الألفاظ بمرادف لها، وتعود هذه الخاصية إلى كل الاقتضاءات باستثناء عن الاقتضاء الذي ينجم عن قاعدة الجهة لكونه يرتبط بصورة التلفظ. (زيد عبقري)، إذ المقصود (زيد أبله)، فإن استعمال أي عبارة في السياق ذاته ستشارك العبارة في مقتضى التهكم، مثل: زيد نابغة. زيد دماغ كبير. زيد إنسان خارق.

٣-قابلية الحسبان. تعني هذه الميزة أنه بالإمكان إقامة دليل أو حجة على أي مقتضى من المقتضيات، وذلك بالانتقال من المعنى الحرفي للتلفظ إلى المقتضى المطلوب استناداً إلى مبدأ التعاون والقواعد.

---

(١) ينظر: تحليل الخطاب في كتاب سيبوية:٢١٨.

(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي مقاربة تداولية:٤٧-٤٩.

(٣) ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلار- آن روبول، تر/ مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، ٢٠١٠ :٢٤٩.

(٤) ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة، د.عادل فاخوري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط/١، ٢٠١٣ :٣٢-٣٧.

٤-اللاعرفية. يتميز الاقتضاء التداولي بكونه لا عرفياً، أي لا يشكّل جزءاً من المعنى العرفي للألفاظ، إذ الوصول إلى المقتضى لا يتمُّ إلّا بعد معرفة المعنى الحرفي، ومن بعد عدّ السياق وقواعد التخاطب.

وبهذه الخصائص يمكن عدّ الاقتضاء تلميحاً؛ لأن التلميحية تعني غير المباشرة، والإشارة إلى الشيء على سبيل المماثلة والمشابهة، وربما تعني الإخفاء والرمزية والمواربة، وهذا يحقّق بأن التلميح هو اقتضاء(*) خطابي في التواصل [١]، ويشمل أنواع الاستدلالات التداولية، ويتعلق بالملفوظ، أو بأفعال الكلام، ويتعلق بالإفتراض المسبق[٢] الذي يقترب من مفهومه كثيراً.

([١])ينظر: الاستراتيجية التلميحية في رواية الثلاثة دراسة في الوظائف التداولية، إبراهيم براهمي، اللسانيات واللغة العربية، العدد/٩ ، ٢٠١٤ .

([٢]) ينظر: الاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم، عماد عبد يحيى الحيّالي، أشواق إسماعيل محمد النجّار، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج/١٥، العدد/١ ، ٢٠٠٨: ٦٧.

(*) ينقسم الاقتضاء على أربعة أنواع هي:

١-الاقتضاء العام (Generaelized Presupposition):

يحصل هذا الاقتضاء من دون أن يكون بالضرورة سياق مُعيَّن، وتكتسب المقتضيات العامّة أهمّية خاصّة للنظرية اللسانية؛ لأنَّ من العسير تمييز هذه المقتضيات عن المضمون الدلالي للألفاظ(Semantical Content)، ومن قبيل هذا الصنف من المقتضيات تحصل بين العبارات التي تتدرج عن نحو سُلَّمي(Scalar) من الأكثر إلى الأقل بحيث السابق يستلزم اللاحق، ففي هذه الحالة يقتضي الأقل سلب الأكثر، فمثلا الزوج المُرتَّب بحسب الكثرة (كلّ، وبعض) يقتضي اثبات بعض سلباً للكل، فقول المتكلم: حضر بعض الأساتذة للندوة، فلو كان المُرسِل في حالة تسمح باثبات العبارة الأقوى بأن كلَّ الأساتذة حضروا لكان خالف قاعدة الكمية، حين قضى بأنّ بعض الأساتذة حضروا، لكن بما أن المُرسَل إليه يفترض تعاون المُرسِل معه، وعدم رغبته بخرق قاعدة الكمية من دون تنبيه على ذلك، فهو يعرف أن المتكلم يريد إبلاغه أنه ليس في حال تجيز له اثبات العبارة الأقوى، فهو يعرف أن ذلك اثبات غير صادق.

٢-الاقتضاء الخاص (Special Presupposition):

يُعرَّف الاقتضاء الخاص بأنّه الذي يحصل من سياق حالي معيَّن، ويفترض فيه استدلالات معروفة محلياً، وهذه الاستدلالات مطلوبة لفهم المعاني الموصلة المتأتية من التضمينات التحادثية المُخصَّصة Particularized conversational (Implicature) ويُعتمَد عليه في فهم النصوص وإدراك خفاياها ومكنوناتها بوعٍ تام؛ لأهميته من جهة، ولأن المُرسِل لا يمكنه قول كلِّ شيء من جهة أخرى فيتعمد الحذف، والإضمار، والإيجاز؛ للتعبير عن معانٍ كثيرة بعبارات قليلة؛ للتشويق أحياناً، أو لإسكات الخصم وإفحامه، أو إقناعه بأمرٍ ما، فالمخفي الضمني وهو ما اصطلح عليه (بول غرايس) بالاقتضاء الخاص يُعدُّ أكثر أنواع الاقتضاء التداولي ذيوعاً وفيه يعوَّل على السياق لفهم مضمون الخطاب الذي يُلمِّح به المُرسل تلميحاً.

٣-الاقتضاء العُرفي (Conversational Implicature):

يقوم هذا النوع من الاقتضاء على معاني الكلمات بدلاً من مبادئ المحادثة، أي لا ينجم عن مبادئ تداولية كلِّياً كحكم قواعد التخاطُب، بل يعود إلى مفردات معجمية بالعرف، أو بالاتفاق(by convention) ، فلا يُعوَّل في فهم هذا الاقتضاء على المبادئ التداولية، فلغتها المعجمية تفسِّر محتوياتها القضوية، من غير خروج إلى معانٍ مستلزمة تستدعي شروطاً تداولية لتأويل-

ومن أمثله تلك الأنواع الاقتضاء في خطاب الشرِّ عند الكافرين منها ما جاء عند أهل مكة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَ لَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ﴾ [1] في حوارهم مع النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–تكشف عن معاذيرهم واحتجاجهم بطلب المعجزات من النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–مثل معجزات موسى–عليه السلام–وهي اقتراحات تدلُّ على تعنتهم وعنادهم، فيسوق القرآن الكريم حجة تبطل مزاعمهم بأن كفرهم يشبه كفر قوم موسى–عليه السلام–بأن هذا من أصولهم؛ لأنّ للعرب أصلاً في أيام موسى وهم آباؤهم، فالملفوظ المحكي عنهم ﴿سِحۡرَانِ﴾ مبالغةً في وصفهما بالسحر[2]، ثمَّ قالوا: ﴿إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ﴾ الذي يقتضي أنهم لم يؤمنوا ببعض الأنبياء أيضاً على احتمال تنوين العوض عن المضاف إليه، بتقدَّير بكلِّ من ادّعى الرسالة، والمقصود موسى ومحمد–عليهما الصلاة والسلام–أو بكلٍّ من الساحرَين وهما

–محتواها القضوي، ومن ميزات هذا الاقتضاء إنّه غير قابل للنسخ(no cancellable)، فهو لا يعتمد على افتراضات حول طبيعة السياق يمكن إلغاؤها، وهي غير قابلة للإنفكاك(detachable)؛ لأنها تتعلق بمفردات معجمية مخصوصة، تزول بإبدال المفردات بألفاظ مرادفة لها، ولا يمكن حسبانها بقواعد تداولية ومعلومات سياقية؛ لأنها حاصلة بالعُرف والاتفاق.

٤–الاقتضاء التخاطبي (Conversational Presupposition):

يركِّز الاقتضاء التخاطبي على الحكم والقواعد التي وضعها غرايس، ويؤدي دوراً رئيساً في النظرية التداولية، إذ إنّه يتعلق بكيفية استعمال اللغة ودراسة بنية التركيب فيها، ويزيد من الحاجة إلى التواصل؛ لجعل التلفُّظات أكثر ملاءمةً ووضوحاً، فهو لا عرفي، بل خاضع لمبادئ غرايس(Grice) في التخاطب المعروفة بمبدأ التعاونprincipe de cooperation، فهي مبادئ مُهمَّة للتحقق بين المقتضيات في القول ومقتضيات استجابة الناس أو التأثير في نفوسهم، فهو يُعوِّل في تفسيره على مدى واسع من المعلومات السياقية بحسب المقتضيات التداولية، فهو وسيلة مهمَّة للتواصل، ويؤدي دوراً في معرفة كيفية استخدام اللغة في اثناء حصول العملية التخاطبية المقيَّدة بزمن الحدوث وانتهائه؛ لتكون متلفظات المتخاطبين أكثر وضوحا وترتيباً، ويركِّز–بوصفه لا عرفياً–على مبادئ غرايس المعروفة بمبادئ التعاون(The cooperative maxims)، ، وينجم عن الاستخفاف(flouting) بهذه القواعد عكس الاقتضاء النموذجي، أو المتعارف الذي ينجم عن احترام المتكلم للقواعد والحكم.

ينظر: الاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم، عماد عبد يحيى الحيّالي، أشواق إسماعيل محمد النجّار، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج/١٥، العدد/١ ، ٢٠٠٨ :٦٨–٧١، والاقتضاء اللغوي في الخطاب القرآني دراسة تداولية، سجية طبطوب، إشراف/ صلاح الدين رزال، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢، الجمهورية الجزائرية، ٢٠٢٢ :٤٣١- ٤٣٩-٤٤٤، ومحاضرات في فلسفة اللغة: ٣٩–٤٢، والتداولية:٧٥، والاقتضاء في التداول اللساني(بحث منشور):١٦٤–١٦٥

(١) سورة القصص:٤٨.

(٢) ينظر: الكشاف:٥١٢/٤.

موسى وهارون[١]، فـ((الاقتضاء علاقة بين جملتين، أو قضيتين يقتضي صدق الأولى منهما صدق الثانية)) [٢]، أي أن الكفر بالكل يقتضي الكفر ببعض بوصف صيغة (الكل) هي الأعلى في التدرُّج السلَّمي، فإن أساس التضمين المتدرِّج scalar implicature هو أنّه عند ثبوت أي صيغة في التدرُّج تضمّن نفي كلّ الصيغ الأعلى في التدرُّج [٣]، وأنَّ اثبات (بعض) يقتضي نفي الكل، واثبات (الكل) يقتضي الوثوق والتأكّدُ من صحة العبارة؛ لأنها تحتاج إلى الإحاطة والاطلاع والشمول بالشيء[٤]، فهو تأكيد لشدّة لكفرهم وتأكُّدهم من صحة ملفوظهم وتمادٍ في الكفر والطغيان.

إنّ إعطاء معنى لملفوظٍ ما–بحسب ما قاله ديكرو(Ducrot)– يعني القيام بمحاولة تفسيرية، أي البحث عن أسباب الملفوظ [٥]، الذي تبيّن هنا شدَّة الإنكار والعناد، مع سلطة مُهيمنة واضحة لإطلاق لفظ كهذا، وقطع الحوار بعد الحجّة ﴿أَوَ لَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ يفصح أيضاً عن القصد وهو الإصرار والتأكيد على الكفر.

ويندرج ضمن الاقتضاء بعض التعبيرات التي تُعبِّر عن قيمة واحدة من بين تدرُّج للقيم، وتعبير عن الكم المصطلح: (كثير) [٦] استعمله الكافرون من قوم شعيب–عليه السلام– بوصفها الأكثر إخباراً ومصداقية في التدرُّج، فعبّروا عن رفضهم الدعوة بالتهديد والقوة في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [٧]، ومعنى قولهم: ﴿مَا نَفْقَهُ ﴾: ما نفهم كثيراً مما تقول؛ لأنهم كانوا لا يلقون إليه أذهانهم رغبةً عنه وكراهيةً له، أو أنهم لا يقبلونه فكأنهم لا يفقهونه استهانة به[٨]، وما يبرّر امتناعهم عن رجمه بأن دور القوة الاجتماعية لرهطه؛ لأنه لا يمثل قوة ذاتية جسدية أو معنوية [٩]، فالاقتضاء تحقّق في﴿كَثِيرًا﴾ الذي يقتضي لم نفهم قليلاً، أو بعضاً مما يقول وهو تلميح بالاستهانة بأنّ قوله ليس ذا بالٍ يستحق السماع والإصغاء.

(١) ينظر: التحرير والتنوير:١٣٨/٢٠، و نظم الدرر٣٠٩/١٤-٣١٠.
(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٢٩.
(٣) ينظر: التداولية، جورج يول:٧٣.
(٤)ينظر: الاقتضاء اللغوي في الخطاب القرآني:٤٣٢.
(٥) ينظر:التأويل الدلالي-التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول، د.إدريس سرحان، ضمن التداوليات علم استعمال اللغة: ١٢٤.
(٦) ينظر: التداولية:٧٣.
(٧) سورة هود :٩١.
(٨) ينظر: الكشاف : ٣٣٠/٣.
(٩) ينظر الحوار في القرآن :٣٠٨-٣٠٩.

وهذا الاقتضاء لا يختلف عن سابقه عن الكافرين من أهل مكة ﴿ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴾ فإنهم اختاروا الالفاظ الأكثر قيمة وإخباراً في تدرُّج القيم، فهو من دون شكّ تحدٍّ في المواجهة وخرق سافر لمبدأ التأدّب، فضلا عن قاعدة التعفُّف التي أدرج الدكتور طه عبدالرحمن قواعد التعاون ضمنها؛ لأن القواعد التعاونية تتعارض مع القواعد التأدبية فيتقدم بها العمل بوصف قواعد التعاون مطالبة بوضوح المضامين ولا يمكن الوضوح إلّا إذا اقتصر بحاجة المخاطب مع الفائدة وهذا ما توجبه قاعدة التعفف [١]، وتكون قاعدة التعاون هي الأقوى حضوراً إذا كان الحوار جادّا ورسمياً، لذلك اقترحت (لاكوف) مبدأ التأدُّب الذي على المتخاطبين أن يراعياه مثل مراعاتهما لمبدأ التعاون [٢]، فالاستهانة به ورؤيته ضعيفاً وتهديده بالرجم هو انتهاك لمبدأ التأدُّب الحواري فضلاً عن اختيار الألفاظ المقتضية عن امتناعهم عن فهم القليل منه.

ونلحظ أنّ قوم شعيب–عليه السلام–مع إصرارهم على الامتناع عن فهم ما يقوله له كانوا ينوون رجمه لولا أن رهطه حال دون ذلك، لذا اقتضى ملفوظهم التلميح بلفظ (الكثرة) بأنهم لا يفهمون القليل أيضاً؛ لأن المخفي يحمل إيحاءات وتلميحات تؤثِّر أكثر مما يؤثر القول الصريح في المُرسَل إليه[٣]، أمّا عند أهل مكة فناسب قوة اللفظ (كل) قولهم: (سحران) التي عنت المبالغة في الإنكار.

ومن الاقتضاءات ما يتطلب سياقاً محدّداً وهذا ما يُلحظ في ملفوظ قوم لوط–عليه السلام – في حوارهم معه في حادثة نزول الأضياف عنده ومجيء قومه يتدافعون إلى الفاحشة، فبيَّن السياق القرآني مقام التخاطب في حال مجيئهم إليه ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾، فالسياق سياق خاصّ مستند إلى معرفة مشتركة بملابسات الخطاب وظروفه الخاصّة، فقال تعالى على لسان لوط–عليه السلام–بعد أن فهم مُرادهم من هيأة مجيئهم: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [٤]، فأجابوه في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ [٥]، فملفوظهم يقتضي تلك الفاحشة التي اعتادوها فأصبحت عندهم هي الحقُّ وإن ما يعرضه عليهم لوط–عليه السلام–هو الباطل مستشهدين بذلك في

(١) ينظر: اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي :٢٤٢
(٢) ينظر:استراتيجيات الخطاب :١٤٤/١
(٣) ينظر: الاقتضاء اللغوي في الخطاب القرآني:٤٣٦
(٤) سورة هود :٧٨
(٥) سورة هود ٧٩

علمه به؛ لذلك كان أول عرض قدمّه لهم بناته وهو مبالغة في تواضعه لهم[١]، فعرف على افتراض مبدأ التعاون والسياق الخاص بأن الحقَّ هو الرغبة؛ لأنَّ الحقَّ ما يجب لأحد، أو عليه، فاطلق هنا كناية عن عدم التعلُّق بالشيء[٢]، وكذلك الملفوظ الاثباتي(Representatif) الذي يلزم المتكلم بصدق القضية المُعبَّر عنها قولهم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ يقتضي أنّ لوطاً–عليه السلام–يعلم ما يريدون منه، فجاؤوا بفعل اليقين تأكيداً لما كان جارياً عندهم من السنة القومية وهو المنع من التعرض للنساء، أو اتيانهن بالمرة واستباحة التعرُّض للذكور[٣]، الذي هو بمثابة نسق ثقافي جرت عليه أعرافهم، ثمّ جاؤوا بملفوظ خبري آخر توكيداً لملفوظهم السابق، لذلك وجد لوط –عليه السلام–نفسه محاصراً في هذه الحادثة فتمنَّى قوة العشير أو الاتباع حتى يتغلب عليهم [٤]، فلم يجبهم على ما اقتضى ملفوظهم بقوله: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [٥]، فلجأ إلى طلب النجدة ؛لأن خطابهم مُستَمد من سلطة اجتماعية باطلة جعلت فعلهم مقبولاً ولا يحقُّ لأحد معارضته.

يُلحظ الاقتضاء في خطاب الكافرين في توظيفه للتلميح بنفي الرسالة عن النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– بأسلوب خبري في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [٦]، فاقتضى ملفوظهم نفي الرسالة عن النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– لنفيهم نزول الرسالة على بشر، ولأنّ الرسول بشر اقتضى انتفاء الرسالة ﴿قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾، والقائلون هم اليهود[*]، وهو مبالغة في إنكار إنزال القرآن على

(١) ينظر: الكشاف :٢٢٠/٣
(٢) ينظر: التحرير والتنوير:١٣٠/١٢
(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن :٣٢٩/١٠
(٤) ينظر: الأمثل :١٤/٧
(٥) سورة هود :٨٠
(٦) سورة الأنعام:٩١
(*) اختلفت أقوال المفسِّرين في القائلين هل هم المشركين من أهل مكة أم اليهود، ولمّا لم تكن للرسول مباحثات مع اليهود في مكة فيرجحون أنها نزلت في المدينة، ويجزم صاحب الميزان بأن المخاطِبين هم اليهود. ينظر:٢٧٩/٧، التحرير والتنوير:٣٦١/٧-٣٦٢

الرسول[١]، فهو اقتضاء صريح لا يحتاج بالضرورة شروط ومبادئ التداولية لاستنباط المقتضى العرفي وتأويله و معرفة القصد منه، و نلحظ فيه قابلية الانفكاك، فلو زال النفي هنا لانتفى الاقتضاء.

لقد عدل الكافرون هنا عن أسلوب المواجهة المباشرة، فعمدوا إلى التلميح بالقصد؛ لغايات دنيئة، فإنَّ مُنكِر الرسالة، أو البعث لو قال: ما كلَّف الله أحداً، فذلك يقتضي أنَّ الله تعالى أباح لهم جميع المنكرات والقبائح والاستخفاف بالأنبياء والرسل [٢]، وهذا التضمين للقول–بحسب أوزوالد ديكرو– يمثِّل فعل لغة نوعي، فهو لا يختلف عن التأكيد والاستفهام، أو الأمر، فهو يغيِّر العلاقات للمتخاطبين، ويخلق واجبات ويؤسِّس حقوقاً، ويوزِّع أدواراً، وتكمن خصوصيته في الشكل الذي يُفرَض فيه على المخاطَب لاستمرار الحوار لا يقبل الشكَّ: إنه يجبره على التصرف كما لوكان مضمون الموضوع مفروض مسبقاًPresuppose وحقيقة مكتسبة لا تقبل الشكّ، فإذا كان هناك استمرار فإنه لا يمكن أن يكون إلّا على أساس المفروض المؤكدPose وليس على أساس الافتراض المسبق[٣]، لذلك أرادوا اثبات نفي الرسالة عن النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– على أنها حقيقة مُسلَّم بها باستراتيجية التلميح الذي لا يمكن أن يؤديه الفعل المباشر من إحداث أثرٍ(effet) كما هو الحال في الفعل الضمني[*]الاقتضائي، بأسلوب مغالطي؛ لأنَّ الاقتضاء يقوم بدور في الخطاب السياسي في عمليات يقصد بها إيهام المتلقين بمغالطات تُستقبَل على أنها حقائق [٤]، وبهذا نلمح أثر السلطة؛ لأنَّ الكافرين هنا هم كبار القوم وسادتهم.

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:٣٧٠/٢

(٢) ينظر: اللباب:٢٧٥/٨

(٣) ينظر: الملفوظية، جان سيرفوني، تر/ قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨ :١٠٧

(*) يعدُّ الدارسون أن الاقتضاء فعل لغوي؛ لأن المُرسِل يضمن خطابه محتوى دلالياً على شكل مقتضى، فإنه يفترض أنْ يقبل المُرسَل إليه ذلك المحتوى بوصفه إطاراً، أو شرطاً لتنظيم التخاطب، فالمُرسِل يختار مقتضيات خطابه وأن اختياره يجسد فعلا لغوياً ذا- -طبيعة خاصّة وفيه من الإنجاز ما في الأفعال اللغوية، وقد وضع ديكرو قانون الاقتضاء في فئة الفعل اللغوي غير المباشر.ينظر السيمولسانيات وفلسفة اللغة بحث في تداوليات المعنى والتجاوز الدلالي:١١٨، تحليل الخطاب في كتاب سيبويه:٢١٩

(٤) ينظر: التداولية البعد الثالث في سيموطيقا مويس، د.عيد بلبع، دار كنوز، ط/٤، ٢٠٢١ :١٦٨

المبحث الثاني:
الآليات والأدوات اللغوية والبيانية

أولا: الآليات والأدوات اللغوية:

١-الأفعال اللغوية غير المباشرة (Indirect speech acts):

٢-(المُلمِّحات Hedges):

٣-التعبير الاصطلاحي (Idiomatic Expressio):

ثانياً: الآليات البيانية:

١-الاستعارة (Metaphor):

٢-الكناية (Metonymy):

٣-التعريض (Exposure):

المبحث الثاني:
الآليات اللغوية والبيانية

أولاً/ الآليات والأدوات اللغوية:

١-الأفعال اللغوية غير المباشرة (Indirect speech act):

الأفعال اللغوية غير المباشرة هي التي ينجزها المُرسِل باستعمال أفعال لغوية أخرى؛ لأنه يُلاحظ في كثير من الأحيان جمل اللغات الطبيعية إذا روعي ارتباطها بمقام إنجازها لا ينحصر فيما تدلُّ عليه صيغها الصورية من استفهام وأمر ونهي ونداء، وبهذا فالتأويل الدلالي الكافي لجمل اللغات الطبيعية يصبح متعذراً إذا اكتفى بمعلومات الصيغة وحدها[١]، لذلك اقترح (سيرل) حلّاً لهذه المشكلة وهو من القائلين بفرضية المغزى الحرفي، فهو يرى أنّ كلَّ جملة في اللغة لها مغزى كلامي يتولّد من صيغتها الشكلية أو النحوية، فحين النطق بجملة استفهامية فإنها تحمل سؤالاً بغض النظر عن أي شيء أو أي فعل تنجزه بوساطة السؤال، لكن السؤال إذا كان معيباً، أو يقصد شيئاً آخرَ، فإنه ينجز فعلاً لغوياً آخر إضافة إلى الفعل اللغوي الذي تدلُّ عليه الصيغة المباشرة [٢] .

إنَّ فكرة تصنيف الأفعال اللغوية إلى مباشرة وغير مباشرة لـ(جون سيرل John searl) هي خطوة مكمّلة لـ(جون أوستن John Austin) في تصنيفه الأفعال الكلامية إلى صريحة وأولية، فهو يرى أنّ الأفعال اللغوية المباشرة تكون مطابقة لما يريد المُرسِل أن ينجزه، أمّا غير المباشرة فهي أقوال يرمي المُرسِل منها التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي [٣]، وعليه عُرِّفت الاستراتيجية التلميحية ((بأنَّها الاستراتيجية التي يُعبَّر بها عن القصد بما يغاير المعنى الحرفي)) [٤]، فتوظيف الأفعال غير اللغوية المباشرة تلميحاً بالقصد الذي يتجاوز المعنى الحرفي، وهذا ما يُلحظ عند الكافرين في

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:١٥٦/٢.
(٢) ينظر: نظرية الفعل الكلامي، د.هشام الخليفة:١٥٢.
(٣) ينظر: الفعل الكلامي غير المباشر في عيون البصائر للبشير الإبراهيمي، بن عيّاد فتحية مجلة (لغة-كلام)، مج/٦، العدد/٣ ، ٢٠٢٠ :٢٢٨.
(٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:١٣٦/٢.

استعمالهم هذه الآلية اللغوية ضمن استراتيجية التلميح توزَّعت بين التوجيهات، أو الطلبيات(Directives) والاثباتيات(Assertives).

أ-التوجيهيات (Directives):

والغاية منها توجيهية في محاولة حمل السامع إلى فعل شيء في المستقبل ولا يمكن أن تخضع للصدق والكذب، وإنما تكون مطاعة أو مرفوضة [١]، والمطابقة فيها من العالم إلى الكلمات وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الرغبة الصادقة، ومحتواها القضوي فعل شيء في المستقبل، ويدخل في هذا الصنف الاستفهام والأمر والرجاء [٢]، وقد جاءت هذه الآلية في خطاب الكافرين، في صيغة الاستفهام، إذ تعدُّ الأفعال التوجيهية هي أكثر حقول الأفعال اللغوية غير المباشرة جدارة بالدراسة [٣]، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [٤]، فاستفهامهم ليس للسؤال عن الحكمة من ضرب الأمثال وهو المعنى الحرفي، أي ((أي شيء أراد الله بهذا))[٥]؛ لأنَّ المقام مقام إنكار، فالكافرون لمّا عجزوا عن معارضة النظم سلكوا طريقاً في المعنى بأن القرآن فيه سخيف القول بحسب وصفهم؛ لينفوا أنْ يكون القرآن من عند الله [٦]، وبذلك خرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى قوة إنجازية متضمنة في القول، أي الفعل اللغوي غير المباشر وهو الإنكار للاسترذال والاستحقار[٧]، ويأتي الجواب بقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ﴾، فهو جواب على الفعل غير المباشر(الإنكار، والاستحقار)؛ لأنَّه ليس استفهاماً حقيقياً [٨]، وهنا يمكن القول إنَّ ملفوظ الكافرين قد حقّق فعلين لغويين في:

(١) ينظر: العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، المركز الوطني للترجمة، تر/د.صلاح إسماعيل :١٨٣.
(٢)ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٧٩.
(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:١٦٠/٢.
(٤) سورة البقرة:٢٦ .
(٥) التفسير البسيط:٢٧٨/٢.
(٦) ينظر: التحرير والتنوير:٣٥٧/١.
(٧) ينظر: الكشاف:٢٤٤/١.
(٨) ينظر: التحرير والتنوير:٣٦٥/١.

الأول: الفعل الغوي المباشر المتمثل بأسلوب الاستفهام المؤشر له بأداة الاستفهام(ما).
والآخر: الفعل اللغوي غير المباشر المتمثل في القوة الإنجازية المُستلزمة من الاستفهام وهو التلميح بالإنكار والتحقير.

ب-الإثباتيات(Assertives):

يُطلق عليها الإخباريات والتقريريات، فغاية الكلام التقريرية التعهّد بصدق القضية، وبعض أمثلتها العبارات، والأوصاف، والتصنيفات، والتفسيرات، ففيها يُقدَّم الخبر بوصفه حقيقة واقعية وتمثيلاً لحالة موجودة في العالم، وشرط الاخلاص في التقريريات هو الاعتقاد دائماً [١]، ولهذا النوع أغراض إنجازية غير مباشرة، وظّفها الكافرون في خطابهم في حوارهم مع موسى-عليه السلام-عندما أمرهم بذبح بقرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [٢] ملفوظ تقريري تكمن قوته بأنَّه صادر من الله تعالى يستدعي الاستجابة والتنفيذ، وورده في مستهل القصة يوحي بقضايا[*] مضمرة [٣] ويظهر في هذا الحوار قلّة توقيرهم لنبيهم والإعنات في المسألة والإلحاح؛ لفظاظتهم، ولبعد إفهامهم عند مقصد الشارع [٤]، فتكرّر الطلب مع الاستفهام مع إجابة موسى-عليه السلام-فتدخل المحاورة في صميم التفاعل الخطابي فأولها: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ [٥]، والثاني: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَا﴾ [٦]، وجاء الطلب الثالث مع العذر عن تكرير السؤال ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴾[٧]، فملفوظهم: ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ إنجازي، قوته تتمثل في الاعتذار عن إعادة السؤال، فهم اعتذروا

(١) ينظر: : العقل واللغة والمجتمع:١٨٣.
(٢) سورة البقرة:٦٧.
(٣) ينظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني:١٠٩.
(*) يذكر في هذه القصة أن شيخاً ثرياً قتله بنو أخيه وألقوه على باب بعض الأسباط، فادعوا عليهم القتل، فاحتكموا إلى موسى-عليه السلام ، فأوحى الله إليه أن يأمرهم أن بذبح بقرة، فأمرهم موسى-عليه السلام- بذبحها ويضرب ببعضها القتيل فيحيه الله فيبين من قتله. مجمع البيان:١٨٣/١.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير:٥٤٦/١.
(٥) سورة البقرة:٦٨.
(٦) سورة البقرة:٦٩.
(٧) سورة البقرة:٧٠.

هنا ولم يعتذروا في المرتين الأوليتين؛ لأنّ التكرير في الثالثة وقعاً من النفس في التأكيد والسآمة[١]، فالاعتذار في هذا الملفوظ ضمني متضمن في القول وهو بمثابة حجة ذرائعية تذرعوا بها لتعقيد الأمر، فالفعل الكلامي غير المباشر متضمن في القول، وهو عدم إرادة السؤال، والجملة تقريرية خبرية، ويصعب التفريق كثيراً بينهما بحيث في حالات كثيرة تستعمل الجملة الواحدة الحالتين معاً تساعد على التفريق بينهما ظروف الاستعمال والمقام معاً [٢]، فالفعل الكلامي المباشر يعنون أنّ أوصاف البقر معدودة والبقر كثير، وهو غير مقصود، إنّما يلمحون بالفعل الكلامي غير المباشر الذي تكمن قوته الإنجازية في التلميح بالاعتذار عن إرادة السؤال الذي هو بمثابة حجة ذرائعية تذّرعوا بها لتقييد الأمر؛ لأنَّ التقييد الذي قيّد الله به البقرة هو بمثابة نتيجة كانت حجتها تعنت القوم [٣]، لذلك أجابهم موسى–عليه السلام بما يقتضي الفعل غير المباشر في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [٤] .

٢- (الملمِّحات Hedges)

توظّف في استراتيجيات التلميح أدوات لغوية يستعملها المُرسِل ضمن هذه الاستراتيجية يُعبِّر بها في الخطابات المُنجَزة عن فحوى قضية تدلُّ على الشكّ والافتراض تكون مؤشراً تلميحياً وهذهِ الأدوات أفعال معجمية مثل: (ظن، حسب ، زعم، عدّ ...) ويُصنِّفها الدكتور أحمد المتوكل من الأفعال المساعدة[٥]، وهذا يتفق مع ما يقتضيه مبدأ (غرايس)، إذ لا يعمد المُرسِل إلى تزييف القول؛ احتراماً منه لقاعدة الكيف فضلاً عن التبليغ الذي يتوخاه بالقدر المُناسِب مع قاعدة الكم، مع التركيز على محور الخطاب على وفق قاعدة العلاقة، فضلاً عن ترك تعمُّد الغموض احتراماً لقاعدة الطريقة، ولهذا يربط (بروان وليفنسون) بعض الأدوات اللغوية بمبدأ التعاون لـ (غرايس) وهما مبدآ الكم والعلاقة؛ لأنَّ مراعاتهما في إنتاج الخطاب تؤسّس لتعبير أكثر لطافة، وإنها تفرض على المُرسِل ألّا يبلغ بأكثر من القدر، ويمكن أنْ يضع

(١) ينظر: التحرير والتنوير:٥٥٤/١.
(٢)ينظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني:١١٤.
(٣) ينظر: المرجع :نفسه الصفحة نفسها.
(٤) سورة البقرة:٧١.
(٥) ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، د.أحمد المتوكل،١٩٩٥ :١٧٦.

المُرسِل هذه الألفاظ داخل خطابه مع الاحتفاظ بمدلولها التداولي بعدم الجزم بمضمون الخطاب[١]، وهذا يتفق مع ما قاله الراغب في (ظن) بأنها ((اسم لما يحصل عن أمارة ومتى قويت أدّت إلى العلم ومتى ضعُفت جداً لم يتجاوز حدَّ التوهُّم))[٢]، وقد استعمل الكافرون مثل هذه الأدوات الدالّة على التلميح بالشكّ وعدم التثبُّت في مقامات تخاطبية مختلفة .

فقد عبَّر الكافرون عن موقفهم إزاء يوم القيامة بالرفض والإنكار في كثير من الآيات القرآنية، لكنهم عبَّروا في مواقف أخرى بألفاظ توحي بالشكِّ في مسألة القيامة باستعمال أدوات التعبير عن الشكِّ بالتلميح، منها في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [٣]، فأجابوا هنا جواباً ظاهره الشكِّ والتردُّد في أمر القيامة، لكنّ السياق يوحي بأنهم في موضع تكبُّر، وقد حمله المُفسِّرون على السخرية [٤]، وهذا ما بيّنه الطاهر ابن عاشور بأنهم هنا لو كانوا شاكّين في البعث، فإن فريقاً منهم ينكرونه فلا يناسب مقام التوبيخ فأوّله بالاستهزاء بخبر البعث أيضاً [٥] بقرينة الآية التالية لها بقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [٦]، التي هي دليل على أنهم قالوا ذلك استهزاء وسخرية وقد ضمّوا إليه الإنكار [٧] .

إنّ قولهم: ﴿مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ كان ردّاً على قول قِيل إنَّ الساعة لا شكّ في وجودها وإنّها من وعد الله تعالى، فجاء الردّ بهذه الكيفية تلميحاً بأنهم لا يتحمّلون مسؤولية الجواب وتأكيداً على الظن بأسلوب القصر، وما النافية مع الباء الزائدة للتوكيد﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾؛ لأنَّ المُرسِل يلجأ لهذه الاستراتيجية حين لا رغبة له في عزو الخبر إلى نفسه بوصفه مصدراً له، أو درءاً للجزم بمحتوى الخطاب تعبيراً عن موقفه الشخصي [٨]، أو يتخذه مشكلاً ومضللاً للآخرين.

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :١٦٥/٢-١٦٦.
(٢) المفردات في غريب القرآن :٢١٦-٢١٧.
(٣) سورة الجاثية :٣٢.
(٤) ينظر : الأمثل :١٦٧/١٦.
(٥) ينظر : التحرير والتنوير :٣٧٢/٢٥.
(٦) سورة الجاثية :٣٣ .
(٧) ينظر : اللباب : ٣٥٧/١٧.
(٨) ينظر: استراتيجيات الخطاب :١٦٦/٢.

ووظّف الكافرون أيضاً هذه الأدوات تلميحاً بتكذيب الأنبياء والشكّ في صدق نبوتهم، فنجد منها في مقامات التخاطب بين فرعون وموسى–عليه السلام– في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴾ [1] معبِّراً فرعون عن شكّه في كون الآيات الظاهرات من الله تعالى، فرجح عنده أنها سحر، وظنه بحال موسى–عليه السلام– فرجح عنده أنه أصابه السحر؛ لأن الظن دون اليقين[2]، فاستعان أيضاً بنون التوكيد لتقوية الظن، وقد استلزم النداء الحطّ من المخاطَب [3] مُحاولاً من استعمال (ظن) التهُّرب من مسؤولية الخطاب على الرغم من أنه كان عالماً بصدق تلك الآيات، و يوهم الناس بأنها ربما تكن صادقة أو كاذبه وما يدلّ على علمه بتلك الآيات وإنه لم يكن شاكّاً وأنها لا تكون إلّا بتسخير الله تعالى أجابه موسى–عليه السلام–بقوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴾ [4]، مُستعملاً (علم) التي لا تكون إلّا لتأكُّد المُرسِل من خطابه [5]، والخطاب ليس إخباراً فحسب، بل هناك قوة إنجازية مستلزمة مقامياً وهي التوبيخ [6]، فمعنى قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قال المُفسِّرون: إنَّ فرعون لم يبقَ في نفسه شكّ، لكنّه استعمل (الظن) عِناداً منه ومُكابرة، وحباً للرئاسة والسلطة [7] ، فهي من أسباب تعنُّت الكافرين .

إنّ خطاب فرعون هنا يشبه قوله: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴾ [8]، التي حملت معنى السخرية والاستهزاء .

(1) سورة الإسراء :١٠١.
(2) ينظر: التحرير والتنوير : ٢٢٦/١٥.
(3) ينظر: الاتقان في علوم القرآن :٥٨٤.
(4) سورة الإسراء :١٠٢.
(5) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ١٦٦/٢.
(6) ينظر: البحر المحيط :٨٣/٦ .
(7) ينظر: روح المعاني :١٤٩/١٥ ، وينظر التحرير والتنوير :٢٢٦/١٥.
(8) سورة الشعراء :٢٧.

٣-التعبير الاصطلاحي (Idiomatic Expression):

تدخل في اللغات الطبيعية ضمن تراكيبها وحدات دلالية أكثر شمولية وأوسع من دلالاتها المفردة وهو تعبير (idiom) مكوّن من تجمع من الكلمات يملك معاني حرفية ومعنى غير حرفي مثل التعبير العربي: ضرب كفاً بكف، الذي يحمل معنى تحيّر[١]، أو القول المأثور في التردُّد (أراك تقدِّم رجلاً وتؤخر أخرى) الذي أصبح مثلاً فقال عنه الجرجاني(ت٤٧١هـ): ((إنَّ الأغراض التي تكون للناس لا تعرف من الألفاظ، ولكن تكون المعاني الحاصلة من مجموع الكلام أدلة على الأغراض والمقاصد)) [٢]، و هو أيضاً مما تواضعت عليه الجماعات اللغوية وقد خضع لعرفية التعبير[٣] .

ويستمدّ المُرسِل هذه المادة اللغوية عند تكوين خطابه من الموروث الثقافي على أنّها أشكال مأثورة قد استقرت معانيها في المعجم الذهني بوصفها كلمة واحدة ومعادلة للكلمة المفردة، فتصبح العلاقة بين التعبير وقصد المُرسِل علاقة اعتباطية، بحيث أصبحت شبه قواعد جاهزة لم تكن من إبداع المُرسِل أو تُولَد لحظة استعمالها في السياق [٤]، بل مرّت بمراحل فقد منها محتواها المعجمي كلياً أو جزئياً وهذا يسمّى بالتحجُّر[٥] .

أمّا علاقة التعبير الاصطلاحي باستراتيجية التلميح فهو آلية تحمل معنًى ضمنياً غير المعنى الحرفي يلمّح بها المُرسِل في التواصل يفهمها المُرسَل إليه من سياقها؛ لأنَّ العبارة الاصطلاحية تستعمل في أكثر من سياق بحسب افتراضات الترجيح مع استبعاد المعنى الحرفي في السياقات التي لا ترجحه؛ لأنَّ المعنى الاصطلاحي أكثر ملازمة لها من المعنى الحرفي[٦] .

---

(١) ينظر : علم الدلالة ، أحمد مختار عمر، عالم الكتب ، ط/٦ ،٢٠٠٦ :٣٣

(٢) دلائل الإعجاز : ٤٤١

(٣) ينظر: التعبير الاصطلاحي في اللغتين العربية والإنكليزية دراسة دلالية تقابلية ، د. يوسف عليان ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٥ ، مج/١١ ، العدد/ ١ :٢٦٩

(٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :١٦٨/٢

(٥) ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية المكونات أو التمثيل الصرفي – التركيبي ، د.أحمد المتوكل ، دار الأمان :٢٧

(٦) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :١٧٣/٢

و تضمن خطاب الكافرين(*) آلية التعبير الاصطلاحي تلميحا بمقصد مُعَّين يحمل في طياته الشرّ، منها قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [1] يلمّحون بملفوظ مُتعارف عند العرب (اسمع غير مسمَع) يستعمل في التلطف والتأدُّب، ومعناه غير مُسمعٍ مكروهاً، ولكنّهم أرادوا به أن لا يسمع صوتاً من متكلم، أي يصير أصمّ، وقد أرادوا به قصداً إرضاء الرسول–صلى الله عليه وآله وسلم– والمسلمين وإرضاء قومهم[2] المغفلين للحفاظ عليهم، وهذه من الأحاديث العدائية الممزوجة بالتحدي و الصلافة، وسلاح لتحريف الحقائق والخيانة[3]، فظاهر اللفظ أنها دعاء للنبي–صلى الله عليه وآله وسلم– ومرادهم الدعاء عليه [4]، وقال الراغب: ((إنَّ هذا اللفظ يقال على وجهين أحدهما دعاء على الإنسان بالصمم والثاني دعاء له))[5]، فهو كقولهم: ((قمْ غيرَ صاغرٍ، أي لا أصغرك الله)) [6].

إنَّ المعنى المستلزم لهذا التعبير جاء مخالفاً لمعناه الحرفي الذي يفترض فهم المُرسَل إليه القصد؛ لأن المقام مقام سخرية، فهم لا يريدون الدعاء للنبي–صلى الله عليه وآله وسلم–بل الاعتراض والسخرية، فهم يقولون ﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ وهو كلام يقال استهزاء كمن يقول: (منك الأمر ومنا عدم السماع)[7]، فقول القائل: سمعنا، كان من حقّه أنْ يوضع موضع الطاعة، فيقول: سمعنا وأطعنا، فوضع لفظهم موضع التهكّم والاستهزاء في قولهم سمعنا وعصينا[8]، وفي هذه الحال يبدو أنَّ المُرسِل قد خرق قاعدة الكيف

(*) وهم اليهود الذين آتاهم الله التوراة على يدي موسى-عليه السلام-و لكنهم يدعون هذه النصيب والهداية ويشترون الضلالة بالهدى، ففي أيديهم الهدى ولكنهم يتركون ويأخذون الضلالة عن قصد لا عن جهل، فمن سوء أدبهم يحرفون الكلام غير المقود منه، فهذا مظهر من مظاهر الشرك والانحراف عن التوحيد الخالص الذي عليه دينهم. ينظر: في ظلال القرآن:٦٧٦/٢

(1) سورة النساء : ٤٦.

(2) ينظر: التحرير والتنوير:٧٥/٥-٧٦.

(3) ينظر: الأمثل :١٧٣/٣.

(4)ينظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات، دار إحياء التراث، مصر، ١:٥٩٢/١٩٨٨.

(5) المفردات في غريب القرآن:٣٢٢ .

(6) تاج العروس من جواهر القاموس:٢٣٤/١١، مادة(سمع).

(7) ينظر: الأمثل :١٧٣/٣.

(8) ينظر: الميزان:٢٧٣/٤.

التي تفرض على المُرسِل أن تكون مُشاركته في الحوار صادقة، وإنَّ المُرسَل إليه يعرف على وفق مبدأ التعاون القصد، فالقرآن الكريم يوضِّح أنّهم لو قالوا: ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرَا﴾، فهم أرادوا الوجه الذي فيه شرّ لا ما أظهره معنى التعبير الحرفي وهو جانب التخلُّق والتأدُّب.

ثانياً: الآليات البيانية:

١-الاستعارة (Metaphor)

من الآليات التي يعتمدها المُرسِل في استراتيجية التلميح الاستعارة، وهي: ((أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدّعيا دخول المشبه في جنس المشبه به كما تقول: في الحمّام أسد وأنت تريد به الشجاع مدّعياً أنه من جنس الأسود، فتثبت للشجاع ما يخصّ المشبه به))[١]، فهو استبدال شيء بشيء آخر يؤدي إلى تغيير الدلالة الأصلية لذلك الشيء، فإن الاسم المُستعار منه الذي ينقل إلى المُستعار له لا يتطابق في دلالته الحرفية [٢]، بل تصطدم اللغة المجازية على نحو مُتعمَّد بالنظام الحرفي للغة، وذلك من افتراضها أنَّ الألفاظ ترتبط على نحو حرفي بموضوع ما قد يتحول إلى موضوع آخر، فالتعارض يأخذ صيغة التحول، أو الحمل على وجه آخر بهدف إنجاز معنى جديد أوسع أو أدق[٣]، ويرتبط القصد من التلميح بإظهار أكثر من صفة من صفات المستعار منه الدلالية إذا كان يحمل أثراً من صفة، أو يريد التلميح إلى سمة معينة لا تتبادر إلى الذهن مباشرة؛ إذ يفهم المُرسَل إليه صفة اشتهر بها المُستعار منه [٤] .

إنَّ من غير شكّ أنّ استعمال الاستعارة هو انتهاك لقواعد الحوار، منها: قاعد النوع (ليكن إسهامك في الحديث صادقاً)، وقاعد الكم (ليكن إسهامك في الحديث إخبارياً أكثر مما يمكن بحسب ما تتطلبه

(١) مفتاح العلوم : ٣٦٩.
(٢) ينظر: الاستعارة بين الدلالة والتداولية دراسة لسانية في الحديث النبوي ، غصاب منصور الصقر، مجلة أنساق ،مج/٣، العدد /١،و٢ ، ٢٠١٨-٢٠١٩ ، دار نشر جامعة قطر:٩٠.
(٣) ينظر:الاستعارة ، تيرنس هوكس ، تر/عمر زكريا عبد الله ، المركز القومي للترجمة ، ط/١ ٢٠١٦ :١٢.
(٤) ينظر استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :١٨٠/٢.

وضعية المحادثة)، فمن يستعمل الاستعارة فكأنه قدِّم معلوماتٍ مُلتبسة عن شيء ما؛ لذلك فهو يعدّ منتهكاً لهذه القواعد فيجد المُرسَل إليه نفسه أمام استلزام من الواضح أنه يقصد شيئاً آخر [١] .

جاءت آلية الاستعارة عند الكافرين من قوم صالح –عليه السلام– في حوارهم معه مُلمّحين له عن التشاؤم في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴾ [٢]، في قولهم : (ٱطَّيَّرۡنَا) يريدون تشاءمنا، فكان الرجل عندما يخرج من بيته مسافراً فيمرُّ بطائرٍ يزجره، فإن مرّ سانحاً تيمّن وإنْ مرّ بارحاً تشاءم، فلمّا نسبوا الخير والشرّ إلى الطائر استعير لما كان سببهما[٣]، وأطلق التطير على التشاؤم؛ لأنّه ناشئ من الاستدلال بحركات الطير، وهو من الأوهام في الجاهلية[*]و ثمود يتصفون بذلك أيضاً، فهم لا يريدون الطير، بل يريدون النبي صالح –عليه السلام– وقومه بقرينة ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ﴾ [٤]، فإنهم عندما مرّوا بقحط جعلوهم سبباً لذلك القحط [٥]، فالمعنى الصريح في ملفوظهم(اطّيرنا) الطير(المُستعار منه) لا يريدونه، بل يلمِّحون بمعنًى ضمنيٍ في ملفوظهم، (المستعار له)وهو صالح–عليه السلام–أي إن ((قيامك بالدعوة وإيمانهم بك قارن ما ابتلينا به من المحن والبلايا فلسنا نؤمن بك)) [٦].

ويمكن الاستدلال على المعنى الضمني من لفظ (التطير) كون إطلاق هذه اللفظ على الطير للتشاؤم، والقصد هو الإعتراض على الدعوة، فهم إذن تشاءموا من النبي كما يتشاءمون من الطير، فهو خرق لقاعدة الكيف، فكان جواب النبي صالح–عليه السلام–لهم بما استلزم المعنى، فقال لهم: ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾، أي السبب الذي يجيء منه خيركم وشركم هو قضاؤه وقدره إن شاء رزقكم وإن شاء لم يرزقكم [٧]، ولأنّ مبدأ التعاون تحقَّق بين المتكلم والمخاطب، فضلاً فكرة الاستمرارية التي تتجلى في

---

(١) ينظر: السيميائية وفلسفة اللغة امبرتو إيكو، تر/ أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة ،ط/١ ٢٠٠٥: ٢٣٨ .
(٢) سورة النمل : ٤٧.
(٣) ينظر: الكشاف :٤٥٩/٤.
(*) التطيُّر عادة موغلة في القدم ارتبطت بمخاوف الإنسان من المجهول وتوجسه من المفاجآت، وترقبه لحلول المصائب، وقد نجحت تلك العادة من التسلل إلى النفوس الضعيفة واستطاعت أن تستغل أوهامها وضنونها، حتى جعلتهم يلتمسون الخير بيد من لا يعقل من الحيوانات والطيور، فتشاءَم ثمود وفرعون وكفار مكة أيضاً. ينظر: التشاؤم في القرآن، ماجد رجب سكر، مجلة جامعة الأقصى، مج/٢١، العدد/٢ ، ٢٠١٧ :٧٣.
(٤)ينظر : التحرير والتنوير: ٢٨١/١٩ .
(٥) ينظر البحر المحيط:٧٩/٧.
(٦)الميزان في تفسير القرآن :٣٧٥/١٥ .
(٧) ينظر: مفاتيح الغيب : ٢٠٣/١٤.

سعي طرفي الحوار في المُحافظة على هذا التعاقُد الضمني[١]، وهو الأمر الذي جعل صالحاً –عليه السلام– لم يخرج عن هذا القانون الحواري .

ويُلحظ أنَّ استعمال المُرسل(الكافرون) الاستعارة هنا؛ لأنهم لم يريدوا أن يعترفوا بالأسباب الحقيقية لما يقع من أمور فلم يجدوا أسهل من تعليق كل ما أصابهم من محن وبلايا بالنبي صالح–عليه السلام– إمعاناً في الاعتراض [٢]، فعبّروا عن تشاؤمهم بهذه الاستعارة؛ بوصفها وسيلة للإعراض، كما أنّها اضطلعت بدور حجاجي؛ لأنَّ من مهام الاستعارة أن تحدث تغييراً في موقف المُرسَل إليه الفكري والعاطفي فضلاً عن دورها في التواصل والتفاعل [٣]، فجعلوا التطير سبباً في النفور والإعراض عن الدعوة.

ووظّف الكافرون من أهل مكة آلية الاستعارة فجعلوها وسيلة للإعراض عن الدعوة، وهذه محاولات منهم لثني الرسول–صلى الله عليه وآله وسلم–عن دعوته وإيغالاً منهم في الغي، وزرع العقبات في طريق الدعوة الإسلامية [٤]، فحكى الله تعالى في القرآن عنهم وهم يلمِّحون بأنَّهم غير راغبين في سماع ما جاء به القرآن الكريم بآلية الاستعارة في قوله : ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ [٥]، فجاءت في ملفوظهم: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾ مُستلزمة المعنى الضمني وهو عدم الرغبة في السماع، فالأكنّة: جمع كنان وهو الستر، والغطاء، وقد أخرجوا هذا الكلام مخرج استثقالهم ما يسمعون من قوارع القرآن، فكأنهم من شدّة كراهيتهم وزهادتهم فيه قد أكنّت قلوبهم[٦]، وهذا انتهاك لمبدأ الكيف؛ لأنَّ القلوب لا يمكن أن تكون في أغطية وأغشية، فالمعنى المستلزم هو الإعراض عن السماع لما يلقى إليهم مبالغة في الإعراض وهو تلميح بالرفض الشديد وعدم الاستعداد للسماع، أي نحن لا نسمع ما تقول، فُشبِّهت القلوب بالشيء المغطّى على طريقة الاستعارة المكنية، ووجه الشبه أنَّ الدعوة لم تصلْ إلى عقولهم كما يحول الغطاء أو الغلاف عمّا تحته، وقد أدّت الاستعارة

(١) ينظر : الخطاب اللساني العربي هندسة التواصل الإضماري من التجريد إلى التوليد، د.بنعيسى عسو أزابيط :٣٢٦/٢-٣٢٧.
(٢) ينظر: القصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف:١٧٠/١.
(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي:١٥٨.
(٤) ينظر: الأمثل :٢٥٦/١٥.
(٥) سورة فصلت : ٥ .
(٦) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن ، الشريف الرضي ، تح/ محمد عبد الغني حسن، دار الأضواء بيروت : ٢٩٢.

دوراً مُهمّا في الإبلاغ والتواصل وعبرّت عن قصدهم في الإعراض ما لا يستطيع المعنى الحرفي أن يعبر عنه .

وهذا تفصيل للإعراض عمّا وُصِف به القرآن الكريم من الصفات التي تقربهم لا أن يعرضوا ويبتعدوا عنه، وقد أكدّوا الاعتراض بقولهم: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾، والوَقْر: ما يثقل الدابة عن التحرك فأطلقوه على السمع لعدم تحركه عند سماع القرآن[١]، وهو الصمم، فالكلام لا يدخل أسماعهم؛ لأنَّ قلوبهم مستورة عن فهمه [٢]، وهذان الملفوظان متساويان في قوتهما الإنجازية المستلزمة التي تفيد الثانية منهما تأكيد الاعتراض والرفض، ثم أردفوهما بملفوظ ثالث تأكيداً لشدّة نفورهم من سماع القرآن[*]وهو قولهم: ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ حتى انتهوا إلى التهديد، أو زرع اليأس عند النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– في فعل الطلب المباشر ﴿فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾، أي اعمل ما تستطيعه ونحن نبذل ما نستطيع ضد دينك [٣]، فكان جواب النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–هادئاً محاولاً إلجاءهم إلى الإيمان في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [٤]، ففي قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ إنما هو كناية لتفويض الأمر لله سبحانه وتعالى بجزائهم وأنه لا عمل له سوى التبليغ والإرشاد[٥] بأسلوب هادئ أراد منه أن يفتح قلوبهم على كلمة التوحيد فكراً وعملاً ويفرّغ أذهانهم تدريجياً من معاني الشرك ودوافعه في خطط مدروسة وحكيمة [٦]، لكنَّ العناد والإصرار على عبادة الأصنام هما ما يحكمان عقول الكافرين هنا مضافاً إليهما السلطة؛ لأنَّ المعترضين هم سادة القوم وكبراؤهم، فهم من يمثلون القوم ورأيهم هو الرأي المطاع .

(١) ينظر : التحرير والتنوير :٢٤/٢٣٣-٢٣٤.
(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن :١٨/٣٩١.
(*) قيل إن أبا جهل استغشى على رأسه ثوباً وقال يا محمد بيني وبينك حجاب استهزاء. ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٣) ينظر: الأمثل :١٥/٢٥٧.
(٤) سورة فصلت :٦.
(٥) ينظر : التحرير والتنوير :٢٤/٢٣٦-٢٣٧.
(٦)ينظر: الحوار في القرآن قواعده – أساليبه – معطياته :٩٩ .

ونظير ما قالوا هنا ما حكاه القرآن الكريم عنهم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [1] ضمن سياق قرآني يبين أنّ موقفهم هذا مع جميع الأنبياء في قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾[2]، فآلية الاعتراض نفسها وهي أنّ تعاملهم كان مع الأنبياء قائم على أساس نزعات هوى النفس، فقولهم : ﴿قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ﴾ تذكر ما كانوا يقولونه باستهزاء مقابل دعوة الأنبياء لهم، أو دعوة النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–[3]، و(غُلْفُ) هنا ((جمع أغلف، أي: هي خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد–صلى الله عليه وآله وسلم–ولا تفقهه، مستعار من الأغلف الذي لا يختن)) [4]، فاستعاروا الغلاف للقلوب كاستعارتهم الغشاوة، وهذا انتهاك لمبدأ الكيف، فالقلوب لا تغلَّف، والشيء إذا غُلِّف انقطع عن الاختلاط ، فاستلزم المعنى للاستعارة ،(لا نسمع ما نُدعى إليه)، إذن تكمن قوة هذا الملفوظ الإلزامية في رفض الاستجابة للدعوة الإسلامية وتيئيس النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–من إيمانهم واستجابتهم وهي بمثابة حجة نتيجتها مضمرة في أنهم لا يؤمنون بما يقول؛ لأن قلوبهم مملوءة بغيره [5] من اعتقادات وتقاليد يصعب التنازل عنها .

ويصدق على هذه الآية، والآية السابقة أيضا بأن الاستعارة أقوى من التصريح، فاستعارة الغلاف للقلوب مبالغة في الإعراض ورفض السماع، فضلاً عن أنها تؤدي دوراً بارزاً في المحاجّة والإقناع، فهي تربط العقلي بالإحساس والفكري بالنفسي، فتسعى لإحداث قطيعة وقلب انتظارات ومفاجأة توقعات وإعادة النظر في نظام الخطاب [6].

(1) سورة البقرة : ٨٨.
(2) سورة البقرة : ٨٧.
(3) ينظر : الأمثل : ٢١٠/١-٢١١.
(4) الكشاف :٢٩٤/١، واللباب :٢٦٩/٢
(5) ينظر :البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني :١٥٦.
(6) آليات الحجاج القرآني :٣٠٤.

ومحاولتهم هذه لتيئيس النبي محمد–صلى الله عليه وآله وسلم–تشبه إلى حدٍّ ما قول قوم شعيب–عليه السلام– في تيئيسه وبث الوهن والضعف فيه من الاستمرار في الدعوة في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾[1]، وهذا اعتداد بالنفس وعدم تقبُّل الآخر وحفاظاً على مكانتهم وسلطتهم الاجتماعية، وأحادية التفكير المرتبط بالموروث الاجتماعي والعادات، فضلا عن الضعف الفكري عن مجابهة الآخر [2] ، فسماع ما يُلقى إليهم يعني تنازلهم عن تلك السلطة ونسوا أنَّ سلطة الأنبياء إنَّما هي سلطة دينية، أمّا السلطة السياسية فإنَّ مصدرها لا يتعدَّى الوجود الاجتماعي، فالسلطة الدينية متصلة بالغيب من جهة المصدر والغاية وشرط قيامها بين آمر ومطيع إنما هو الإيمان، وهذا لا يعني أنَّها لا تبالي بشؤون الدنيا، فالدنيا موجودة بالنسبة لها مصدر وغاية[3]، لذلك يمكن عدّ أهم وجه من وجوه الاعتراض هو الحفاظ على تلك السلطة .

٢–الكناية (*Metonymy*):

يعرّفها السكّاكي(ت٦٢٦هـ) بأنّها: ((ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلان طويل النجاد، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه وهو طول القامة))[4]، أي يريد المتكلم أن يثبت معنًى من المعاني فلا يذكره في اللفظ الموضوع له، وإنما يأتي بلفظ يرادفه فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه [5] .

وهي آلية تقتضيها الضرورة والموقف الكلامي كما عبّر عنها الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، فتارة يكون التصريح أبلغ وأحياناً أخرى يعمد إليها المُرسِل ((إذا كان الإفصاح أوعر طريقة، وربما الإضراب عنها صفحاً أبلغ في الدرك، وأحقُّ بالظفر)) [6] وفي هذا إشارة إلى المقام في حاجة المُرسِل إلى الكناية في ملفوظه .

---

(١) سورة هود :٩١.
(٢) ينظر : خطاب السلطة في القرآن الكريم : ١٦٩.
(٣) ينظر: منطق السلطة مدخل على فلسفة الأمر ، ناصيف نصّار، دار أمواج، بيروت، ط/٢، ٢٠٠١ :١٤٣.
(٤) مفتاح العلوم : ٤٠٢ .
(٥) ينظر : التلخيص في علوم البلاغة :٣٣٨.
(٦) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح/ د.عبد السلام محمد هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة : ٨٨/١.

وفي تعريف المُحدثَين ((لفظ أُطلق وأُريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى)) [١]، أو تُعرَّف بأنها: ((العدول عن لفظ إلى آخر دال عليه، وهذا العدول لا يعني ستره وإخفاؤه، كما لا يعني إبرازه وإظهاره وإنما مجرد تركه والإعراض عنه لا أكثر))[٢]، ومن تعريفها يتضح أنها تعبّر عن المعنى بطريقة غير مباشرة، مما جعلها تكون إحدى وسائل إنجاز غير مباشرة، فالجانب غير الصريح، أو المستلزم بينه وبين المعنى الأصلي ارتباط وتلازُم، أي أنها اتخذت استراتيجية تلميحية غير مباشرة اعتمدت على المتلقي واستدلالاته الذهنية لفكّ شفرات العبارة عبر خطوات استدلالية منظمة [٣]، باعتماده على المعنى الأول المتولد من اتحاد تلك المفردات للاستدلال على المعنى الثاني المرتبط بأعراف وتقاليد وعادات وضوابط اجتماعية ، وبذلك يصل المُرسَل إليه إلى المعنى المستلزم الدالّ على قوة إنجازية كامنة خلف تلك المفردات المترابطة المُستمَد من بيئة استخدمت تلك العبارات [٤] ، ويُوجِز المختصون في الدراسات التداولية تأويل الكناية وتحليلها على مستويين[٥] :

المستوى الأول: السياق اللغوي الداخلي ابتداءً من المعنى الحرفي، ثم تسير على وفق سيرورة تأويلية مرهونة بالسياق الداخلي للنص.

المستوى الآخر: السياق الخارجي بعناصره المتعددة من الثقافات والعادات، فهي تأتي معززة بأبعاد سياقية ضابطة وموجهة للمؤول، فإن إبلاغ الكناية لا يتحقق إلّا إذا توافر سياق مشترك بين المُرسِل والمُرسَل إليه[٦].

وتختلف الكناية عن الاستعارة بأنّها قائمة على مبدأ التجاور، أمّا الاستعارة فقائمة على مبدا التشابه، فينتقل اللفظ في الكناية من شيء إلى آخر مجاور له، فتسمي شيئاً باسم شيء آخر مجاور له، فهي مؤشر على وظيفة خطابة أبلغ من الإفصاح.

(١) البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ، علي الجارم ومصطفى أمين ، ط/٧، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر :١٢٥.
(٢) الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية ، محمود شاكر القطّان ، كلية التربية المدينة المنورة جامعة الملك عبد العزيز،١٩٩٣ :٨.
(٣)ينظر: الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري، واضح أحمد، إشراف د. لزعر مختار، أطروحة دكتوراه، الجمهورية الجزائرية، جامعة وهران، ٢٠١٢ :٢٩٧ .
(٤) ينظر: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة ، أحمد فهد صالح شاهين، عالم الكتب الحديث ،ط/١، ٢٠١٥: ٦٢.
(٥) ينظر: آليات الحجاج القرآني:٣٠٦
(٦) ينظر: سيميائية الكناية وحتمية الضابط السياقي للسيرورة التأويلية قراءة في الكناية القرآنية ، د.عيد بلبع ، ضمن بحوث التداوليات وتحليل الخطاب ، تقديم، د. حافظ إسماعيل علوي ، ود. منتصر أمين عبد الرحيم : ٩٢-٩٣.

من الكنايات التي وظَّفها الكافرون بوصفها آلية بيانية ضمن استراتيجية التلميح في قول اليهود كناية عن البخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [١]، فغلّ اليد وبسطها مجاز تستعمله العرب عن البخل والجود [٢]، وقال الزركشي(ت٧٩٤هـ): ((فإنّ الغلَّ كناية عن البخل)) [٣]، وفي قولهم تلميح بأنَّ الله سبحانه وتعالى لا يقدر على تحصيل ما ينفق في حوائجه وترويج دينه وإحياء دعوته، وفي هذا القول سخرية واستهزاء [٤]، بعد ما شاهدوا(*) من حال المسلمين في أول زمن الهجرة وقد فرض الرسول عليهم الصدقات [٥] .

لقد جاءت آلية الكناية تلميحاً بقصد اليهود بطريقة الكناية، كون المعنى الحرفي لا يؤدي ما يؤديه التعبير بالكناية فالأسلوب غير المباشر أكثر تأثيراً فيمن يقصد توجيه الكلام له غالباً، فضلاً عن ذلك إذا أريد ذمِّ المُكنَّى عنه بذكر ما يُذمُّ به[٦]؛ لأنّها ترفع من قيمة المعنى البعيد الذي تشير إليه وتعمل على توكيده في نفسه [٧]، زيادة على ذلك أنّها ارتبطت بالسياق الثقافي الذي انتجت فيه، فالعرب تمقت صفة البخل، وتجعل الكرم من الفضائل، فأرادوا إيذاء الرسول بهذا الكلام: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾، والذي دفعهم لهذا القول طبيعتهم الكفرية البشعة، و عقائدهم التي يعتقدونها [٨]، أو تضليل لعقيدة المسلمين بالله سبحانه، وعلى وفق مبدأ التعاون فإن المُرسَل إليه يفهم ما تعنيه الكناية وهي التلميح بالبخل لذات الله سبحانه وتعالى، وهو بالتأكيد خرق لمبدأ الكيف الذي يقتضي الصدق فليس لله سبحانه يد الجارحة المعروفة ، فالاستدلال على المعنى الاستلزامي من المعنى الحرفي يمكن تمثيله:

---

(١) سورة المائدة :٦٤.
(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :٢٦٥/٢.
(٣) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تح/ أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث،٢٠٠٦ : ٣٠٨/٢.
(٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن :٣٢/٦-٣٣.
(*) في سبب نزول الآية أقوال ثلاثة : الأول : هو أنها تطبيق لعقيدة اليهود من نفي النسخ والأحكام الدينية ونفي البداء في التكوينات ، والثاني: إنها نزلت بعد ما عيروا المسلمين بالضيق والعسرة وقالوا ذلك استهزاء بالله سبحانه وإيماء بأنه لا يقدر على إغناء عباده المؤمنين ، والثالث : إنها نزلت وقد تفوهوا بذلك عنما سمعوا قوله تعالى: ﴿وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًاۚ﴾ المزمل :٢٠ ، وقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ﴾ البقرة :٢٤٥ وقد قيل بصحة هذه الأقوال ينظر: مواهب الرحمن :٤٦٠/١١-٤٦١.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير:٢٤٩/٦.
(٦) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم ،ط/١ :١٤٣/٢-١٤٤.
(٧) آليات الحجاج القرآني:٣٠٧.
(٨)ينظر: ردود القرآن على شبهات أقوام الأنبياء دراسة موضوعية، عبد الرحمن نصر مراد، إشراف د.محمود هاشم عنبر، رسالة ماجستير(مخطوطة)، الجامعة الإسلامية غزة،٢٠٢١: ١١٧ .

-يد الله مغلولة .
-لم يبسط يده في الرزق.
-الله يستقرض المال.
= المعنى المستلزم(بخيل).

وهنا تتجلى السلطة عند هولاء اليهود فقولهم يعبّر عن عقيدتهم عندما أرادوا تثبيت سلطتهم ونفي الكتب السماوية وسائر الأديان، فقالوا إنَّ التوراة لا تقبل النسخ وأنَّ دينهم لا يقبل التبديل، وأنّهم أرقى الأمم مالاً وعزة وإنّ لهم السلطة على غيرهم، وبذلك يريدون اثبات عجز الله سبحانه وتعالى وينسبون إليه ما لا يناسب ساحة قدسه وكبريائه[١]، فقد صدر منهم أمثال هذا القول الذي يدلّ على اعتزازهم بغناهم وتباهيهم في أنفسهم وسخريتهم بآيات الله في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [٢] .

٣- التعريض (*Exposure*):

التعريض من آليات الاستراتيجية التلميحية التي يستعملها المُرسِل، فهي آلية تسهم عناصر السياق في بيان قصده، التي يوظفها المُرسَل إليه لفهم قصد المُرسِل[٣]، وقال عنه الزركشي(ت٧٩٤هـ): ((إنّه الدلالة على المعنى من طريق المفهوم، وسمي تعريضاً؛ لأن المعنى باعتباره يفهم منه عُرْض اللفظ، أي من جانبه، ويسمى التلويح؛ لأن المتكلم يلوّح منه للسامع ما يريد))[٤] .

فالتعريض من فنون القول غير المباشر يعتمد غالباً على قرائن الحال لا على قرائن المقال، وهو أخفى من الكناية؛ لأنَّ الكناية لا تقتصر قرائنها على الحال بل المقال أيضاً [٥]، فهناك ثلاثة فروق بينهما أولها: إنَّ الكناية واقعة في المجاز بخلاف التعريض. فالتعريض يفهم من جهة السياق، وثانيها:

(١) ينظر : مواهب الرحمن : ٤٦١/١١.
(٢) سورة آل عمران : ١٨١.
(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ١٩٢/٢.
(٤) البرهان في علوم القرآن : ٣١١/٢ .
(٥) ينظر :البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها:١٥٤/٢.

إنّ الكناية تقع في اللفظ المفرد واللفظ المركب في حين أنَّ التعريض لا يقع إلّا في الألفاظ المركبة، أمّا ثالثها فالتعريض أخفى من الكناية؛ لأنَّ الكناية مدول عليها من جهة اللفظ بخلاف التعريض فهو مدلول عليه من جهة الإشارة والقرينة [١]، ويمكن أنْ يستثمر المرُسِل آلية التعريض كاستراتيجية تلميحية لأغراض متعددة أهمّها عدم الرغبة في الكلام بصورة مباشرة، أو رغبة المُرسِل الظفر بحاجته من دون التاثير سلباً في نفوس الآخرين بغض النظر عن ذلك الهدف أكان وضيعاً أم شريفاً [٢]، وقد استعمل الكافرون هذه الآلية ضمن استراتيجيات خطاب في التلميح؛ لِما لها من خصائص دلالية ترتبط بمقاصد المُرسِل، وظروف انتاج الخطاب.

ومن خطاب الكافرين في آلية التعريض الذي جاء في حوار هود–عليه السلام– مع قومه بالتعريض بتكذيبه في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [٣]، فبدأ هود الحوار مع قومه باستراتيجية توجيهية طلبية ينهاهم فيها عن عبادة غير الله مستعملاً الأداة (لا الناهية) مبيناً حرصه وخوفه عليهم، ومقابل هذه الدعوة نراهم يجيبونه باستفهام يستلزم الإنكار و تلميح بتكذيبه، وإنكار للوحدانية، وهذا خلاف لقاعدة التودُّد التي تقتضي أنَّ تظهر الود للمخاطَب [٤]، وأنّ جوابهم خلافاً لقاعدة الكيف، إذ استعملوا الإفك للصرف لِما اعتقدوا أنّ ذلك صرف من الحقِّ إلى الباطل [٥] ، فاستلزم جوابهم الإنكار والتكذيب الذي يقول عنه ابن عاشور: ((وهذا الإنكار تعريض بالتكذيب، فلذلك فرّع عليه))[٦] قوله تعالى: ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وهو تكذيب هود–عليه السلام–فلم يصرّحوا بتكذيبه وإنما جعلوا قصده من دعوتهم هو صرفهم عن آلهتهم التي تمثّل لهم كيانهم وسلطتهم، وقد أكّدوا إنجازية فعل الإنكار بأنْ أمروه أن يأتيهم بما وعدهم [٧]، أمّا إنكار الوحدانية فالمعنى المضمر فيه (أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا

(١) ينظر: الكناية والتعريض، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ، تح/عائشة حسين فريد ، دار قباء ،١٩٩٨ :٦٤.
(٢) ينظر: المرجع نفسه :١٩٦/٢.
(٣) سورة الأحقاف :٢٢.
(٤) ينظر: اللسان والميزان والتكوثر العقلي:٢٤٢.
(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن:٣٥.
(٦) التحرير والتنوير : ٤٦/٢٦.
(٧) ينظر: لغة الحوار في القرآن الكريم دراسة وظيفية أسلوبية، د.فوز سهيل كامل، الجوهرة للنشر والتوزيع ،ط/١ ،٢٠٠٣: ١٠٧.

فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين)، فهي تصريح في رفض عبادة الله وحده، وتلميح بعبادة الله مع آلهتهم، فوثنية (عاد) كانت تشرك بعبادة الله عبادة الآلهة التي تتفق مع وثنية أهل مكة في زمن المبعث[١]، ومما يدلُّ على أن الخروج من المعنى الحرفي إلى المعنى الضمني لا يكون خروجاً جمالياً أو عفوياً، بل محسوباً على وفق استراتيجيات المتكلم [٢]، ومقاصده، فاستلزم ملفوظهم﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا) بأن ما يدعو إليه كذب؛ لأن دعوته للتوحيد لغايات في نظرهم.

إنّ جواب هود–عليه السلام–كان عن المعنى المستلزم من الاستفهام وهو الإنكار والتكذيب، فأجابهم بقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [٣]، أي وقت حصول العذاب محفوظ عند الله تعالى لا يطلع عليه أحد، وعمله تبليغ الرسالة وليس وقت حصول العذاب[٤]، مشيراً إلى جهالتهم المقترنة بالكبرياء والغرور التي منعتهم من دراسة دعوة رسل الله [٥]، وهذا السبب الأهمّ في التكذيب؛ لأنَّ إنكار الشيء يقوم على افتراض أنهم قد عرفوه حقّ معرفته، أمّا سبب التكذيب فهو لتسفيهه آلهتهم .

ويُلحظ أنّ آلية التعريض استعملها الكافرون مع النبي محمد–صلى الله عليه وآله وسلم–معرّضين به وبآخرين يعرفونهم ولم يصرّحوا بهم بأسلوب أشدِّ ساخرين منه بالكبرياء والتعالي نفسهما عند الكافرين من قوم هود–عليه السلام–لكنّ تهمة التكذيب أشدّ، فليس هو وحده من يقوم بالافتراء، وإنما أعانه عليه آخرون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾[٦]، فأرادوا بقولهم أن القرآن مُختلَق متواطأ على وضعه من النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–وآخرين(*)

(١) ينظر: ال حم الجاثية – الأحقاف دراسة في أسرار البيان ، د.محمد محمد أبو موسى، دار الكتب المصرية، ط/١ ، ٢٠١١ :٥٠٤ .
(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي مقاربة تداولية،: ١٦٩.
(٣) سورة هود : ٢٣ .
(٤) ينظر : التحرير والتنوير :٤٧/٢٦-٤٨.
(٥) ينظر: الأمثل :٢٠٧/١٦-٢٠٨ .
(٦) سورة الفرقان :٤.
(*) قيل إنّ الآخرين المُشار إليهم في قولهم هم عدّاس مولى حويطب بن عبد العزّى ، ويسار غلام العلاء بن الحضرمي، وجبر مولى عامر ، وكانوا من أهل الكتاب ، وقيل أعانه عليه قوم من اليهود ينظر: ينظر الكشاف : ٣٣١/٤ ، وينظر: مجمع البيان :٢٠٥/٧ .

أعانوه على خلقه، إيماءً منهم أن القوم الآخرين هم بعض أهل الكتاب من اليهود، وأشاروا إلى القرآن باسم الإشارة (هذا) استهزاء وسخرية وحطّ من قدره [١]، وقد قصروا الكذب والاختلاق على هذين الأمرين وهما: افتراؤه القرآن من نفسه، أو أعانه قوم على بعضه [٢]، وعلى وفق مبدأ التصديق ومضمونها (لا تقل لغيرك قولاً لا يصدقه فعلك) الذي صاغه طه عبد الرحمن بجانبيه التبليغي والتهذيبي [٣] قد أخلّوا بهذا المبدأ؛ لأنهم كانوا يحسّون بذوق القرآن ولا يملكون أنفسهم من التأثر، وهم يوقنون أنها الفرية، ويعلمون أن محمداً–صلى الله عليه وآله وسلم–صادقاً قبل البعثة، لكن السلطة والمكانة الاجتماعية وسيادتهم الدينية هي التي حملتهم على مثل هذا الأكاذيب؛ ليحملوا عامة الناس على التصديق بها والتسليم، و كي يخمدوا موجة إعجابهم من سماع الآيات [٤]، بحكم تلك السلطة .

إنّ مواقف الكافرين معظمها مبنيةٌ على أساس التكبُّر، والغرور، والحرص على المكانة، والسلطة، فالإيمان يعني التنازل عن المكانة الاجتماعية، فنراهم أحياناً ساخرين، وأحياناً مكذِّبين ومنكرين فيُلحظ اعتدادهم بأنفسهم وتعريضهم بمن آمن بالقرآن منهم، فوظَّفوا أسلوب الشرط في آلية التعريض في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ﴾[٥]، وهذا قول كفّار مكة لمن آمن بالقرآن لو كان ما جاء به خيراً ما سبقنا إليه هولاء الفقراء وأراذل القوم، وهو تعريض بالمؤمنين(*) الذين اتبعوه، وهو مؤشِّر على الدلالة غير الحرفية، وهذا القول بمثابة حجة وهي حجة باطلة منشؤها الإعجاب بأنفسهم وغرورهم فاستدلوا بأنّه لا خير في الإسلام؛ لأنّ الذين ابتدروا إليه هم ضِعاف القوم ونظير هذا القول ما قاله قوم هود–عليه السلام–﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ [٦]، وكلا القولين هما من آثار الاستكبار[٧]، أي أنَّ الدين الذي يتبعه

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن :١٨٠/١٥.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير :٣٣٢/١٨.
(٣) ينظر اللسان والميزان :٢٤٩.
(٤) ينظر: في ظلال القرآن: ٢٥٥١/٩ ، و الأمثل :١٤٦/١١.
(٥) سورة الأحقاف : ١١.
(*) قيل إن هذا القول لقبيلة كنانة وعامر وسائر قبائل العرب قالته حين أسلمن غفار ومزينة وجهينة، وقيل قالته قريش حينما أسلم عمار وصهيب وبلال، وحينما أسلم أبو ذر، ثم أسلمت غفار، وقيل أنها مقالة اليهود حين أسلم ابن سلام. ينظر: البحر المحيط:٥٩/٨.
(٦) سورة هود : ٢٧.
(٧) التحرير والتنوير :٢١/٢٦.

الفقراء وسكّان البوادي استلزم أنه ليس ديناً مقبولاً، بل ينبغي أن يكون أتباعه من أعيان المجتمع وأشرافه [١] .

وما زال هولاء الأعيان غير مقتنعين وهم سادة القوم، فالدّين إذن غير مقبول في نظرهم، والسياق العام قد أضاء طريق التأويل، فهو اعتداد بالنفس وغرور بذمِّ الآخرين، ويمكن الاستدلال على المعنى المستلزم لآلية التعريض عند أسلوب الشرط: = المعنى المستلزم (ليس في الإسلام خير ولا في مَنْ آمن به).

فضلاً عن البعد التداولي للشرط في ملفوظهم، بوصفه أسلوباً تداولياً يتجاوز الشكل اللساني المجرد، بل يتجاوزه إلى التخاطب و التواصُل[٢]، فالمعنى غير المباشر فيه هو منع المؤمنين من الانضمام إلى صفّ النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– لأنَّ هذا الإقبال الواسع يشكِّل أقوى نقاط الدين، ونقطة ضعف لهم[٣] ، فحاولوا إلى صرفهم.

(١) ينظر : الأمثل :١٨٧/١٦.
(٢) ينظر: المظهر التداولي لأسلوب الشرط في النحو العربي، أسامه إبراهيم عمر مجيدة ،مجلة كلية اللغات جامعة طرابلس ، العدد/١٧، ٢٠٠٦ : ٩.
(٣) ينظر: الأمثل :١٨٦/١٦-١٨٧.

الفصل الثالث

الاستراتيجية الإقناعية

مفهوم الاستراتيجية الإقناعية (persuasion strategy):

المبحث الأول

استراتيجيات الحِجاج

أولاً: الآليات اللّغوية:

الأدوات اللغوية (Les outils Linguistiques)

أ/ العوامل الحِجاجية (Les operateurs argumentatifs)

١ – عامل النفي:

٢ – عامل القصر (إنما):

٣–عامل النفي والاستثناء:

ب/ الروابط الحِجاجية (Connecteurs argumentatifs sclale):

١ – رابط التعليل الحجاجي (لام التعليل):

٢ – رابط التساوق الحجاجي (حتى):

٣ – رابط التعارض الحجاجي (بل):

ثانياً: الآليات البيانية:

١–التشبيه(simile):

٢–الاستعارة (Metaphore):

توطئة:

مفهوم الاستراتيجية الإقناعية (persuasion strategy):

يشغل الإقناع(persuasion) حيزاً كبيراً في الخطاب، فهو حاضرٌ في كلِّ أشكال التخاطُب، إذ يتعرض الفرد في حياته اليومية إلى عدة محاولات للإقناع مثل البيع والشراء وتغيير المواقف والأفكار ولا يقتصر الإقناع على الأفراد، وإنّما هناك جمعيات ومؤسسات تحاول إقناع الناس بتغيير مواقفها وتصرف لذلك مبالغ مالية[١].

تتأسس استراتيجية الإقناع على معيار هدف الخطاب، فمن الأهداف التي يرمي المُرسِل تحقيقها إقناع المُرسَل إليه بما يراه مناسباً، ولتحقيق ذلك الهدف ينبغي توخّي الاستراتيجية الإقناعية، التي تختلف من ناحية العلاقة بين طرفي الخطاب أو من ناحية تجسيده لشكل الخطاب، فضلاً عن اختلاف الأدوات اللغوية والآليات باختلاف الحقول التي يمارس فيها المُرسِل الاقناع مثل الحقل العلمي، أو الاجتماعي، أو السياسي [٢]، ويتبع المُرسِل سُبُلاً استدلالية متنوعة تجرّ المتلقي جرّاً للاقتناع برأي المحاوِر، أي عندما يطلب المُحاوِر غيره بمشاركة اعتقاداته فإنّها لا تكتسب صبغة الإكراه ولا تنهج منهج القمع [٣].

إنَّ العلاقة بين طرفي الخطاب تكتسي أهمية كُبرى في تحديد نوع الخطاب ومضمونه وطرائق القول فيه، إذ يؤسس المُرسِل خطابه منشغلاً بالمتلقي يستحضره في كلِّ مراحل خطابه، ويعرض عليه أفكاره التي تؤلف محتوى الخطاب وغايته فهو لا يعرضها عرضاً محضاً، ولا يبلورها بمختلف طرائق العرض وفنون القول للتوضيح وفكّ اللبس فحسب، بل إنّه يهدف إلى إقناع المتلقي بها [٤].

إنَّ الاستراتيجية الإقناعية تسعى في إطارها العام إلى تحقيق أهداف ومقاصد(Intentions) المُرسِل لما لها من تأثير في المُرسَل إليه إلى جانب استعمالها الحجج والأدلة بما يضمن استمرارية الخطاب بين الطرفين، وإنها شاملة في كثير من المواقف التواصلية ، فهي لا تخصُّ فئة من دون أخرى، وإنّما هي آلية يستعملها مَنْ يريد لتحقيق مقاصد وأهداف ومقتضيات تتطلبها هذهِ الاستراتيجية [٥].

---

(١) ينظر : نظريات في أساليب الإقناع دراسة مقارنة ، علي رزق ، دار الصفوة ، بيروت ط/١ ،١٩٩٤ :١٧-١٨.
(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب : ٢١٩/٢.
(٣) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د.طه عبد الرحمن المركز الثقافي العربي، ط/٢، ٢٠٠٠ :٣٨.
(٤)ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د.سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث الأردن، ط/٢، ٢٠١١ :٦٧ .
(٥) ينظر: تشكل أنواع الاستراتيجيات الخطابية –دراسة في الأهداف والوسائل، د.حمدي منصور جودي، كلية الآداب واللغات ،الجزائر، جوان ٢٠١٧، العدد/٢١ :٩٢.

وبما أنَّ الحجاج هو نشاط إقناعي خطابي يقوم على الاعتقادات والوقائع ذو كفاية نصية وسياقية يمثِّل استراتيجية توظّف العوامل الذاتية والقدرات الخطابية لتحقيق النجاح والفاعلية[١]؛ لذلك يعدّ من أبرز الآليات التي يستعمل المُرسِل فيها إقناعاً؛ الأمر الذي يدعو إلى تسميتها بالاستراتيجية الإقناعية (الحجاجية)[٢]، وهذا لا يشمل سوى الجانب الإجرائي، أو الإطار الذي يظهر فيه الحجاج، لكنّه لا يتجاوز الغرض الذي سِيق من أجله الحجاج وهو تحصيل الإقناع؛ لذلك يجعل كل من(بيرلمان، وتيتيكاه) غاية الحجاج إذعان العقول بالتصديق، فيلحظ هنا مكانة الإقناع بأن جعلاه لبّ العملية الحجاجية[٣]، ويتبين علاقة الحجاج بالإقناع من تعريف توماس شايدل(Thomas Scheidel) بأنّ الإقناع هو محاولة واعية للتأثير في السلوك، وتعريف أوستن فريلي(Austin Frely) بأنّ الحجاج والإقناع جزآن من عملية واحدة لا اختلاف بينهما إلّا في التوكيد (Emphasis)، فالحِجاج يولي الدعاوى المنطقية أهمّية خاصّة، فضلاً عن الدعاوى العاطفية والأخلاقية، أمّا الإقناع فينعكس على التوكيد الذي يبطل ضده، ويرى كلّ من هوارد مارتين (Howard Martin)، وكينيث أندرسين (Kenneth Andersen) أنّه كلُّ اتصال يهدف إلى الإقناع؛ لأنه يبحث عن ردّة فعل على أفكار القائم بالاتصال[٤].

وبما أنَّ نظرية أفعال الكلام من أهمّ مجالات البحث التداولي، فإنَّ نظرية الحجاج قد انبثقت من الأفعال اللغوية التي أسّسها أوستن وسيرل، وقد قام ديكرو(Ducrot) بتطوير تلك الآراء فاقترح في هذا الإطار فعلين لغويين هما: فعل الاقتضاء، وفعل الحجاج، فقد قام (ديكرو) بإعادة تعريف مفهوم التكليم أو الإنجاز(L illocutoire) مع التشبُّث بالطابع العرفي(conventionnel) للغة، ويعرّفه بأنّه فعل لغوي موجّه لإحداث تحولات ذات طبيعة قانونية، أي مجموع الحقوق والواجبات، ففعل الحجاج يفرض على المُخاطَب نمطاً من النتائج بوصفه الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسيِّر الحوار[٥]، فإنَّ الطاقة الحجاجية لأفعال الكلام لا تستمدّ فاعليتها إلّا من الشروط الاجتماعية لإنتاج المعرفة وإعادتها باللسان

(١) ينظر:النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، د.محمد طروس، دارالثقافة،ط/١ ،٢٠٠٥: ١٧٠.
(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب عند الشيخ الإبراهيمي مختارت من آثاره مقاربة تداولية ،سفيان مطروش ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب واللغات الجزائر .٢٠١٩ :٢١٣.
(٣)استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية :٢/٢٣٣-٢٣٤ .
(٤) ينظر: النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، د.محمد العبد، فصول ، العدد/٦٠صيف-خريف٢٠٠٢ : ٤٥.
(٥) ينظر : اللغة والحجاج ، د.أبو بكر العزاوي ، العمدة في الطبع ، ط/١، ٢٠٠٦ :١٦.

السائد في منطقة السلطة والمُعترَف بها داخل المؤسسة الاجتماعية [١]، ((وهكذا يمكن أن نجد في فعل الحجاج كلَّ ما تمّ تقريره بصدد الفعل الكلامي العام: كالقصدية والاصطلاحية والمؤسسية)) [٢] .

ويبدو مما سبق إنَّ وظيفة الإقناع من أسمى غايات التداول الحجاجي فهي أعلق بمجالاتٍ تداولية صريحة للفعل الكلامي بما فيها متضمنات القول؛ لأنَّ كلَّ فعل إقناعي يقوم على افتراضات مُسبقة بشأن عناصر مقام التواصل والتبليغ، فالوظيفة الإقناعية يجسِّدها خطاب مُرتبط بخطابات أخرى، ومُرسِل الخطاب أيضاً ليس وحيداً فهو يُعبِّر عن ذاته مع مُرسِلين آخرين، فالخطاب دائماً مُرتبط بخطابات أخرى[٣]، بغية التأثير والإقناع .

وتكمن أهمية الحِجاج بوصفه فعلاً لغوياً؛ لأنّه بديل عملي لكثير من وسائل الإقناع، فهو الأداة التي تضمن التغيير في معتقدات المُرسَل إليه من دون خُسران [٤].

الحجاج عند برلمان وتيتكاه:

عُرِف الحجاج عند شيم بيرلمان (Chaim Perelman) و تلميذته لوسي أولبيرشت تيتيكاه(Lucie Olbrechts–Tyteca–) بالتقنيات التي تؤدّي بالذهن إلى الإذعان والتسليم لما يعرض عليها من اطروحات، واقترنت غاية الحجاج عندهما بجعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء، أو أن تزيد في درجة الإذعان، فأقوى الحجاج ما وُفِّق في جعل حدِّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين يدعوهم إلى العمل على المطلوب إنجازه [٥] ، فيكون للإقناع مكانة مُهمّة في الحِجاج عندهما، فحاولا تقريب الحجاج من مجالات استعمال اللغة فجعلا الحوار فيه أساساً لحصول الوِفاق بين الأطراف المتحاورة [٦]، فتكون وظيفة الحجاج عند بيرلمان هي حمل المتلقي على الإقتناع أو الزيادة في حجم هذا الإقتناع، فغاية الحجاج الأساسية إنّما هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه له [٧] ، فُيعرَّف الحجاج

(١) ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط/١ ،٢٠٠٨ :١٩١.

(٢) آليات الإقناع في الخطاب الحجاجي ، د.عبد الكريم ابزاري ، ضمن كتاب قضايا الخطاب في الفكر اللساني والسيميائي ، إعداد وتقديم : د.عبدالسلام إسماعيلي علوي ، كنوز المعرفة، ط/١ ،٢٠١٩ :٣٧٨.

(٣) ينظر: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، د. مسعود صحراوي ،ضمن بحوث التداوليات علم استعمال اللغة ، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، علم الكتب الحديث الأردن، ط/١ ، ٢٠١١ : ٥٩ .

(٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٢٣٧/٢.

(٥) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، د.عبدالله صوله ، دار الفارابي ، ط/١ ،٢٠٠١ :٢٧.

(٦) ينظر: الحجاج في كلام الإمام الحسين، عايد جدوع حنون ، أطروحة دكتوراه، أشراف د. حامد الظالمي،٢٠١٣: ٢٧.

(٧) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه:٢١.

عن بيرلمان بأنه((دراسة التقنيات الخطابية التي تتيح إثارة أو زيادة إذعان العقول للأطاريح للحصول على التصديق))[١]، ومنها الوسائل اللغوية(التكرار، وأفعال الكلام، والمؤشرات المقامية، والشواهد الجاهزة)، والوسائل المنطقية(التعريف، والتقسيم، والتعدية)، والوسائل البلاغية(حِجاجية الصورة والمجاز..)، والوسائل الحِجاجية(العوامل، والروابط الحجاجية) [٢] .

الحجاج عند ديكرو وانسكمبر:

أمَّا عند ديكرو (Ducrot) الذي شاركه جان كلون سكمبر(Jean Claud Anscomber) في تأليف كتابه (الحِجاج في اللغة) فهو مختلف عن الحجاج عن بيرلمان فهو حجاج يقوم على اللغة، بل هو كامن فيها، وقد بيّنا أنّ الحِجاج يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق فتدعم وتثبت بعضها الآخر، أي يجعل المُرسِل قولاً ما حجة لقول آخر وهو نتيجة يسعى بها إلى إقناع المُرسَل إليه على نحو صريح أو ضمني [٣]، فالحِجاج عندهما إنجاز لعملين هما التصريح بالحجة من ناحية، واستنتاج من ناحية أخرى سواء أكانت النتيجة مصرّح بها أم مفهومة [٤] ، فاللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية ومُؤشَّر عليها في بنية الأقوال نفسها، أي كلّ ظواهر اللغة الصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية تنتمي إلى دراسة الحجاج، وعلى هذا يتنزل الحجاج عند ديكرو وأتباعه في صميم الدراسات البراغماتية التي يُعنى روّادها بالأشكال الدلالية مقابل عناية البنيويين على الأشكال الدالة ويعدّون المقام اللغوي مقابلاً الدراسات للسابقة بالنظام اللغوي [٥] .

(١)الحجاج في التواصل، فيليب بروطون، تر/ محمد مشبال، عبدالواحد التهامي، المركز القومي للترجمة ،ط/١،: ٢٢-٢٣.
(٢) ينظر: التقنيات الحجاجية عند بيرلمان وتيتيكاه ومقاصدها التداولية، عبد الغاني تريكي، مجلة أبوليوس، مج/٩، العدد/١، ٢٠٢٢ :٢٩٧.
(٣)ينظر: الحجاج في الشعر العربي :٢٢-٢٣ .
(٤) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائص الأسلوبية: ٣٣ .
(٥) ينظر: اللغة والحجاج :٨ ، والحجاج في الشعر العربي :٢٣.

المبحث الأول

استراتيجيات الحِجاج

أولاً: الآليات اللّغوية:

تنقسم تقنيات الحِجاج اللغوي على أدوات لغوية وآليات بلاغية ضمن الاستراتيجية الإقناعية التي وظفّ الكافرون فيها خطابات الشرِّ.

الأدوات اللغوية (Les outils Linguistiques):

اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصّة بالحجاج، فاللغة العربية التي اشتملت على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا تعُرَّف إلّا بالرجوع إلى قيمتها الحجاجية، منها: (لكن ، بل، إذن، حتى ، ولاسيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريباً، ما .. إلّا ... إلى غير ذلك، وتُصنَّف هذه الأدوات على صنفين هما: العوامل الحجاجية (Les operateurs) والروابط الحجاجية (Les connecteurs)، والفارق بينهما أنّ العوامل لا تربط بين متغيرات حجاجية، أي بين حجة ونتيجة، ولكنّها تقوم بحصر الإمكانات لقول ما، أمّا الروابط فهي تربط بين قولين أو بين حجتين وتسند لكلّ قول دوراً داخل الاستراتيجية الحجاجية العامّة [١] .

أولاً: العوامل الحِجاجية (Les operateurs argumentatifs):

يُعرِّف (جاك موشلار) العوامل الحِجاجية بأنّها مورفيمات إذا وجدت في ملفوظ تحوّل الإمكانات الحجاجية وتوجُّهها إلى هذا الملفوظ، فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية، أي بين حجة ونتيجة أو مجموعة من الحجج، ولكنّها تقوم بتقيد الإمكانات الحجاجية لقولٍ ما[٢]، فهي إحدى وسائل الإقناع في الخطاب المناظري؛ لأنها تمدُّ العبارات المتغيرة بإمكانية الاستعمال لغايات حجاجية، فضلاً عن تحوُّل الاحتمالات الحجاجية للمضمون المُطبَّقة عليه[٣]، إذ يدخل العامل الحجاجي على الملفوظ يكسبه مظاهر حجاجية ثلاثة [٤] :

---

(١)ينظر: الحجاج والمعنى الحجاجي ، د.أبو بكر العزاوي ، ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه ، تنسيق حمو النقاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، ط/١ ، ٢٠٠٦ :٦٣ -٦٤.

(٢)ينظر: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني :٣٦ .

(٣)ينظر: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية:١١٢.

(٤) ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، د.عزّالدين الناجح، مكتبة علاء الدين تونس، ط/١ ،٢٠١١ :٣٥.

أولا/ القضاء على تعدّد الاستلزامات والنتائج بنقل المُتقبل من التعدُّد والغموض إلى وحدة النتيجة والمقصد من الملفوظ فلا يضيع بين النتائج التي يؤدي إليها القول الحجة، فيعمد العامل الحجاجي على حصرها لتكون نتيجة واحدة .

ثانياً/ قدح المواضع وتنشيطها (L' activation d'un topoi)، فالموضع يكون هو العمدة في ارتباط المعطى بالنتيجة فضلاً عن وظيفته التعاقدية بين الحجة والنتيجة كونه يعدُّ ضامناً من ضمانات تسلسل الخطاب، وعنصراً من عناصر تناسقه.

ثالثاً/ تقوية التوجيه نحو النتيجة على صعيد ما يُسمَّى بالمربعات والسلالم الحجاجية التي يمكن عدّها آلية من آليات البرهنة على مقولة التوجيه وحجاجية اللغة .

تضمُّ مقولة العوامل الحجاجية أدواتاً مثل: (ربّما، وتقريباً ، وكاد، وقليلاً، وكثيراً ، وما .. وإلّا، و معظم أدوات القصر)[1]، فاشتمل خطاب الكافرين في القرآن الكريم على عوامل حجاجية منها : النفي والاستثناء، والقصر بـ إنما، والنفي والشرط التي وُظِّفت حججاً للإنكار والاعتراض لدعوات الرُسُل.

١-عامل النفي(Negation):

يشترك النفي بين الدراسات النحوية والبلاغية، والعلوم القرآنية، فيعرِّفه الزركشي بأنه شطر الكلام كلِّه؛ لأنّ الكلام إمّا اثبات أو نفي، ومن قواعده التفريق بينه وبين الجحد، فإن كان النفي صادقاً سُمِّي نفياً، وإنْ كان يعلم صدق ما نفاه سُمِّي جحداً [2]، فهو((من أقسام الخبر مقابل الإثبات والإيجاب، وقيل بل شطر الكلام كلّه))[3]، وعند المعاصرين منهم مهدي المخزومي الذي يعرِّفه بأنّه((أسلوب لغوي تحدّده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وإنكار يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطَب))[4]، ومن هذا يُفهَم إنّ النفي عامل حجاجي يحقق به المُرسِل وظيفة حجاجية متمثلة في إذعان المُرسَل إليه وتوجيهه إلى النتيجة بحروفه التي حصرتها اللغة العربية واختصّت بالنفي من قبيل (لا، لن، لم، ما) التي أطلق عليها (أنسكومبر) مورفيمات بوصفها عوامل حجاجية تشدّ الملفوظ وتوجّه النتائج المرتبطة بالجملة في

(١) ينظر: اللغة والحجاج ، د.أبو بكر العزّاوي :٢٨.
(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن:٢/٣٧٥-٣٧٦.
(٣)كشاف اصطلاحات الفنون :٢/١٧٢٢ .
(٤) في النحو العربي نقد وتوجيه :٢٤٦.

الملفوظ في بدايته[١]، وقد يكون النفي للتكذيب والإكذاب الذي هو صلب عملية التوجيه، وقد يكون لغيرهما من قبيل ورود الشيء منفياً نفياً مقيداً والمراد نفيه مطلقاً، كقولهم فلان لا يرجى خيره وغرضهم أنه لا خير فيه وليس فيه خير لا يرجى [٢].

وردت هذه التقنية الحجاجية في خطاب الكافرين من قوم هود–عليه السلام– نافين عنه المعجزات والبينات نفياً حجاجياً؛ لأنّه لم يأت بدليل مقنع–بحسب ادعائهم– في قوله تعالى : ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [٣] يعنون بقولهم: ﴿مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾ إنّ دعوتك خالية من الحجة، والآية المعجزة ولا موجب للإصغاء لك[٤]، فالنفي أبطل إيمانهم وهو النتيجة لعامل النفي؛ لأنه لم يأتِ ببينة بحسب ادعائهم، فعاملية النفي تأتي لتكذيب حجة الخصم الواقعة والمحتملة[٥]، فهو لا يضيف معنى إخبارياً جديداً، وإنما يحوّل المحتوى الإخباري؛ ليتمكن المُرسِل من تحقيق غاياته الحجاجية[٦]، والنتيجة التي يريدونها هي التكذيب وإنكار الإيمان بما جاء به.

وأنكر الكافرون من أهل مكة نزول الوحي والقرآن على النبي محمد–صلى الله عليه وآله وسلم–بتقنية عامل النفي الحجاجي في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ [٧]، وهنا جاء نفيهم نفياً حجاجياً بنفي النزول على البشر جميعهم الذي يقتضي نفي النزول على النبي–صلى الله عليه وآله وسلم[٨] تتوجه في هذا العامل الحجة إلى نتيجة مفادها الإنكار وترك الإيمان، ويُصنّف هذا النفي بحسب تصنيف(ديكرو) بالنفي الجدلي الذي يعارض به المتكلم رأياً معاكساً صاغه المتكلم صياغة اثباتية [٩]، لذلك يؤمر النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–بإفحامهم باستفهام يكون حجة مضادة لحجتهم يذكرهم بأمر لا يستطيعون

(١)ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية :٤٧ .
(٢) ينظر: نفسه :٥٢-٥٣.
(٣) سورة هود:٥٣.
(٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن :٢٨٩/١٠.
(٥) ينظر: الحجاج في كلام الإمام الحسين :٧٦.
(٦)ينظر: حجاجية عامل النفي في الخطاب التفسيري ابن عاشور إنموذجا، ميلودي عبابسي، مجلة المدوَّنة، مج/٥، العدد/١، ٢٠١٨ :١٢٠ .
(٧) سورة الأنعام :٩١.
(٨) ينظر: التحرير والتنوير:٣٦٣/٧.
(٩) ينظر:إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية، د.شكري المبخوت، مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٦: ٢٤٤.

إنكاره، وهو رسالة موسى –عليه السلام– ومجيؤه بالتوراة [١]، وهو الأمر الذي يبطل حجتهم به ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ﴾.

٢ – عامل القصر (إنَّما):

تتركب هذه الأداة من(إنَّ) المتصلة بما الزائدة، التي تُسمَّى الكافّة، أي التي تحجبها عن العمل نحوياً، وقد أصبحتا كلمة واحدة فنتج عنها معنًى جديدٌ، وقد تغيّرت دلالة (إنّ) بعد التركيب من أداة لتوكيد فحسب إلى توكيد حاصرٍ وقاصرٍ [٢]، فهي((تأتي توكيداً لما يذكر بعدها ونفياً لما سواه)) [٣]، ولهذه الأداة أثرٌ في توجيه الملفوظ في الحجاج وجهة نحو نتيجة محدّدة يروم المُرسِل إيصالها إلى المخاطَب[٤]، ويختلف القصر بـ(إنّما) عن النفي والاستثناء بـ(ما–إلّا ، إنْ–إلّا)، فإنّ(إنّما) تُستعمَل للشيء الذي لا ينكره المُخاطَب ولا يجهله، أمّا(ما–إلّا ، إنْ–إلّا) فتُقال في الشيء الذي ينكره المخاطب ويجهله، أي أنها تفيد إلى ما يجب عليه[٥]، وبهذا يكون العامل الحجاجي (إنَّما) موجباً لإثبات ما بعده بحصره وتقديمه ونفيه الضمني لما سواه بتحويل الخطاب إلى بنية مقَّيدة بالإثبات مرتبطة به من تفعيل النصِّ حجاجياً وهيمنته على مساحة واسعة منه، إذ إنَّ ما أثبته العامل الحجاجي أبطل غيره[٦]، فالتوجيه بالعامل(إنّما) يختلف عن النفي، فالنفي يقترب من مفهوم المناطقة الذي يحوّل القضية الصحية إلى خاطئة والخاطئة إلى صحيحة، فهو توجيه للملفوظ وللمتقبّل نحو النتيجة التي يجب أن يصدق بها المتقبّل قصراً [٧]، ولهذا العامل أثرٌ في استراتيجية الإقناع عند الكافرين، فقد وظّفوه في موضوعات مختلفة.

لقد استعان كفّار مكة بهذا العامل الحجاجي لمحاولة اثبات تكذيب النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– وتأكيده وتقوية لحجتهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ

(١) ينظر: التحرير والتنوير:٣٦٣/٧.
(٢) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه:٢٣٨.
(٣) دلائل الإعجاز :٣٢٨.
(٤) ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية :٥٥ .
(٥) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها:٣٧٢.
(٦) ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي:١١٤.
(٧) ينظر: المرجع نفسه:٤٨.

مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1]، والتبديل هو النسخ، أي نسخ الشرائع؛ لأنها مصالح وما يكون مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم، وقد وجدوا هذا النسخ مدخلاً للطعن فطعنوا؛ لجهلهم وبعدهم عن الناسخ والمنسوخ [2]، فجاؤوا بالحجة بتقنية القصر بـ(إنّما) توكيداً للتكذيب، فقد وجَّهت القول إلى نتيجة محصورة وهي تكذيب النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– وجاؤوا باسم الفاعل الدالّ على الثبوت والاستقرار[3]؛ تقوية للحجة، وبما أنّ النسخ لا يمكن إنكاره جُعلت أداة القصر الجملة ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ﴾ وجهة واحدة لسدِّ منافذ التصديق به فيمكن تمثيله بالمخطط الآتي:

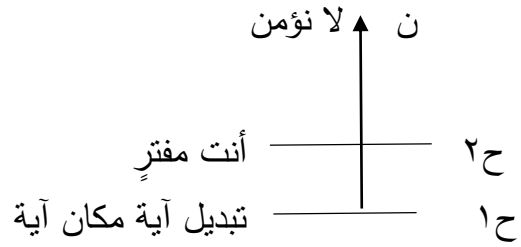

والمُلاحظ على هذا العامل قد قلّص الاحتمالات الحجاجية وألغى ما سواها؛ ليوجّه القول وجهة حاصرة بقصد الإقناع والتأثير، لكنّ القرآن يبين حقيقة الأمر بأنّهم لم يتوصلوا بعد لإدراك وظيفة القرآن وما يحمل من رسالة ولم يدخل في تصورهم أن القرآن في صدد بناء مجتمع إنساني[4] بحجة مضادّة بالرابط الحجاجي (بل) ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

وهناك صنف آخر من الكافرين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان، وهولاء هم المنافقون، ايضاً استعملوا العامل الحجاجي(إنّما) لإثبات صلاحهم ومثالهم قولهم المحكي عنهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ [5]. يظهر في الآية حوار بين المؤمنين وهم ينهونهم عن الفساد في الأرض، الذي يقتضي هذا الملفوظ إنهم كانوا يفسدون وفيه جزم بأنهم مفسدون، فجاء جوابهم بالنقض بأداة القصر (إنّما) وهو قصر الموصوف على الصفة ردّاً على من قال لهم لا تفسدوا؛ لأن القائل أثبت لهم وصف الفساد فردوا عليهم بقصر القلب، وهو ليس قصراً حقيقياً، وهو مما تختصُّ به (إنّما)، فقصر الموصوف على الصفة بها لا يكون حقيقياً، (إنّما) يُخاطب بها مخاطب مصرّ

(١) سورة النحل :١٠١.
(٢) ينظر: الكشاف :٤٧٣/٣ .
(٣) ينظر: اللباب: ١٥٧/١٢.
(٤) ينظر:الأمثل:٢٤٢/٨.
(٥) سورة البقرة :١١.

على الخطأ بجملة اسمية؛ لتفيد أنهم جعلوا اتصافهم بالإصلاح أمراً ثابتاً، من خصوصية الجملة الاسمية الدوام[١]، ووردت (إنّما) هنا بسياق حجاجي بعد قول من قال لهم لا تفسدوا في الأرض، فردّوا بقلب رأي خصومهم، و ما كان هذا ليعبَّر عنه بغير (إنّما)؛ لأنّهم أرادوا نفي أي صفة غير الإصلاح، وإثباتها في آن واحد، فلو استعملوا(ما–إلّا) التي تكون لأمر ينكره المخاطب ويشكُّ فيه، وهذا لا يتفق مع مقصودهم الذي هو اثبات اتصافهم بالإصلاح، وقد وجعل القصر(إنّما) النتيجة جملتين وهو ما جعل الكلام ذات طابع حجاجي واضح وفي غيابه–كما يقول: عز الدين الناجح–ولم يكن لمجرد الإعلام والإبلاغ[٢] :

–نحن مصلحون.

–لسنا مفسدين كما تدّعون.

٣– عامل النفي والاستثناء:

وهو من أساليب القصر في علوم البلاغة، الذي يعني تخصيص أمرٍ بآخر بطريقة مخصوصة، فيكون المقصور عليه بعد أداة الاستثناء [٣]، فاستعمال المُرسِل لهذا العامل لا يُحقِّق قيمة إخبارية فحسب، ولكنّه يُحقِّق قيمة حجاجية، فعند القول: (الساعة تشير إلى الثامنة)، و (لا تشير الساعة إلّا إلى الثامنة) لم ينتج أي اختلاف بين القولين من الناحية الإعلامية والإخبارية، ولكن تأثّر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية، أي الإمكانات الحجاجية التي يتيحها القول، فالمثال الأول له إمكانات حجاية كثيرة فقد يخدم أقوالاً مثل: الدعوة إلى الإسراع، أو التأخر، أو الاستبطاء، فهو يخدم نتيجةً من قبيل (اسرع) كما يخدم نتيجة مضادة لها من قبيل(لا تسرع)، أمّا المثال الثاني فالامكانات الحجاجية تقلّصت فأصبح الاستنتاج العادي لها(لا داعي للإسراع)[٤] ، فوجِّه القول وجهةً واحدةً نحو الانخفاض، فيستثمره المُرسِل لإقناع المُرسَل إليه[٥] بناء على مقتضى الإنكار والشكّ والتوهُّم لديه، الأمر الذي يجعل المُتكلم يستعين بهذه الأدوات؛ لِما لها من طاقة حجاجية في التوجيه والإقناع[٦]، فاستعمل الكافرون هذه التقنية الحجاية

(١)ينظر: التحرير والتنوير:٢٨٤/١-٢٨٥ .
(٢) ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية :٥٥-٥٦.
(٣) ينظر: البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، علي الجارم ومصطفى أمين، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ط/٧ :٢١٦.
(٤) ينظر: اللغة والحجاج : ٢٩.
(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٣٠٨/٢
(٦) ينظر: رسائل الإمام علي في نهج البلاغة دراسة حجاجية، د.رائد مجيد جبّار الزبيدي، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ط/١، ٢٠١٧: ١٦٨.

في خطابهم؛ لِما لها من دور حجاجي مُهيمن على استراتيجية الإقناع، في مخاصمتهم الرُسُل والاعتراض على رسالاتهم؛ لأنهم بشر، فبشرية الرسول حجة بأن لايؤمنوا بالرسالته فهو لا يختلف عنهم، فهم أحقُّ بالرسالة، وهو مظهر سلطوي يحافظون به على مراكزهم الاجتماعية، فالإيمان بالرساله يعني التنازل عن تلك السلطة ويُلحظ ذلك في خطاب الملأ من قوم نوح –عليه السلام– في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[1]، فقولهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ليس إخباراً ببشريته فدخول هذا العامل على القول يُخرج الكلام من الإبلاغ إلى الحجاج، ويزيل التوهُّم خصوصاً إذا كان المُرسَل إليه جادّاً في الإنكار[2]، فاستعمل الملأ هذا العامل لغاية إقناعية حتى لا يتوهم العامّة بمزية أخرى له غير كونه بشراً مثلهم وهي الرتبة العالية المتمثلة بمنزلة النبوة [3] ، فالقصر في هذا العامل((يكون لأمر ينكره المُخاطَب ويشكُّ فيه، فإذا رأيت شخصاً من بعيد فقلت: (ما هو إلّا زيدٌ) لم تقلْه إلّا وصاحبك يتوهم أنه ليس زيداً وأنه إنسان آخر ويجدُّ في الإنكار))[4]، أي يعتقد الشركة بين اثنين أو أكثر[5]، فحصر الكافرون القولَ ببشرية نوح–عليه السلام–قلّص الإمكانات وحدّد مسار الحجاج في الخطاب بأنّه بشرٌ لا غير؛ لأنَّ القصر يضيّق المحتوى ويكثفه ويؤدي إلى الإسراع بالنتيجة[6].

إنّ توجيه الحجة لإقناع الناس باثبات بشرية نوح–عليه السلام–وهو لا يختلف عن الملأ بشيء بوصفه بشراً مثلهم غايتها أن تتحقق فيهم أيضاً فهم لا ينقصون منه في شيء من البشرية ولوازمها وما دامت غير متحققة فهو كاذب[7] من وجهة نظرهم، إذاً ادّعاؤه النبوة لإسباب تتعلق بالسلطة﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾، فأول مؤاخذة لهم فيه أنه إنسان باحث عن التسلُّط، أمّا حديثه عن الدين فهو مؤامرة لتحقيق أهدافه [8]

(1) سورة المؤمنون : ٢٤
(2) العوامل الحجاجية في اللغة العربية:٦٠
(3) ينظر: روح المعاني:٢٥/١٨
(4) دلائل الإعجاز :٣٣٢
(5) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، د.فضل حسن عباس، دار الفرقان، ط/٤ ، ١٩٩٧ :٣٦٤
(6)ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، د.مثنى كاظم صادق، كلمة للنشر والتوزيع، ط/١ ،٢٠١٥ ، :١٠٩
(7)ينظر: الميزان في تفسير :٢٨/١٥
(8) ينظر: الأمثل:٣٠٨/١٠

يُلحظ من إمكانات عامل النفي والاستثناء في حصر الحجّة وتوجيهها بأنه بشرُ وتجريده من أي فضيلة، فنخلص إلى نتيجة وهي:

-باحث عن السلطة.

ثمَّ جاؤوا بعاملين آخرين دعّموا بهما حجتهم، الأول قولهم: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ وهو بيان لإنكار رسالة البشر على الإطلاق على زعمهم الفاسد[١]، والآخر عامل النفي في قولهم: ﴿مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ الذي يُحقِّق به المُرسِل وظيفة اللغة الحجاجية المُتمثلة في إذعان المُرسَل إليه عبر توجيه القول نحو النتيجة، فوظيفة النفي الأساسي التكذيب [٢].

وهذه التقنية الإقناعية التي وظّفها قوم نوح-عليه السلام- إذ جعلوها سبباً في إنكار الإيمان به اختارها قوم صالح -عليه السلام- لتكون حجةً على إنكار نبوته وتكذيبه؛ لأنّه بشرٌ مثلهم وذلك في قوله تعالى المحكي عنهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٥٣ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [٣] فتساوقت في الآيتين عوامل حجاجية أفادت توجيه الحجة نحو الإنكار والتكذيب: العامل الأول (إنّما) الدالّة على التوكيد القاصر أو الحاصر والمُشدّد[٤]، و((تفيد إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره)) [٥]، فقد وجّهت القول إلى نتيجة مؤكدة وهي التكذيب بصدق نبوته، أي سُحِّرت مرة بعد أخرى حتى ذهب عقلك فصرت لا تدري ما تقول[٦] .

أمّا العامل الآخر فقولهم: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ بالنفي والاستثناء، الذي هو تأكيد للعامل الأول باعتبار مضمون الجملتين[٧]، وحصر الفعالية الحجاجية وجهة واحدة وهي (بشريتة) بوصفه يقلّص الإمكانات الحجاجية وتعدد الاستلزامات أو المفاهيم؛ حتى لا يدّعي أمراً آخر، وهو خاصّية موهبته في الاتصال بالملأ الأعلى وهو مقيم على هذا الأرض[٨]، لكنّ الأمر هنا مختلف، فالمُخاطَب هو النبي صالح-عليه السلام- وليس عامّتهم فهو ليس شاكّاً، بل يعتقد رأياً مُخالفاً لهم؛ لذلك ألحقوا قولهم بفعل

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم :١٣٠/٦
(٢) ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية :٤٧-٤٩
(٣) سورة الشعراء :١٥٣-١٥٤
(٤) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه ، د.مهدي المخزومي ،دار الرائد العربي لبنان ، ط/٢ ،١٩٨٦ :٢٣٨
(٥) دلائل الإحجاز:٣٣٥
(٦) ينظر: مجمع البيان :٢٥٢/٧
(٧) ينظر: التحرير والتنوير:١٧٧/١٩
(٨)ينظر: في ظلال القرآن:٢٦١٢/٣

أمر وهو من الطلبيات (directifs) توجّهوا به إليه الذي يحمل قوة إنجازية مستلزمة مقامياً وهي التعجيز، أي أن يأتي بخارق عادة يدلّ على صدقه في دعواه موظِّفين أداة الشرط (إنْ) التي يراد بها الشكّ [١]، وهذه العوامل مجتمعة ساعدت في تقوية العامل الرئيس﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ﴾ لتكون النتيجة واحدة وهي نفي النبوة (لا نؤمن) لأنّه بشرٌ متشبثين بها؛ لأنّها الحجة التي لا يمكنه نفيها عنه.

وبالتقنية الإقناعية نفسها يُلحظ قوم شعيب –عليه السلام–واجهوا نبيهم مستعملين عامل القصر في تكذيبه؛ لأنه بشرٌ مثلهم في قوله تعالى المحكي عنهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [٢]، لكنّ الأمر هنا مختلف فقد أشركوا بين العاملين العطف؛ ليصبح التسحير والبشر كلاهما منافيين للرسالة، أي لا يجوز أن يكون مسَّحراً ولا يجوز أن يكون بشراً، أمّا عند قوم شعيب فقصدوا المعنى الأول ثمّ قرروا المعنى الثاني وهو كونه بشراً [٣]، فالواو تجعل بأنّه بشرٌ إبطالاً ثانياً لرسالته و تركها في قصة ثمود جعلت كونه بشراً حجّة على أنّ ما يصدر منه ليس وحياً، بل بتاثير السحر [٤] ، فعامل القصر في كلا القولين هو حصر فعالية الحجاج وجهة واحدة ؛ ليضيف قوة حجاجية تزيد من طاقة التوجيه نحو النتيجة المضمرة [٥]، وهي : (لانؤمن)، أو (أنت بشر مثلنا لا مزية لك علينا) [٦]، وقد جاؤوا بعامل حجاجي آخر تضمن في فعل الطلب تقوية لتوجيه الحجة الرئيسة بقولهم: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [٧]، وهو ﴿فَأَسۡقِطۡ﴾، فقوة فعل الأمر الإنجازية التعجيز، وقولهم هذا كقول ثمود: ﴿فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ إلّا أن هؤلاء عيَّنوا المعجزة وهو إسقاط الكسف من السماء، والسبب أن شعيباً–عليه السلام–أنذرهم يوم يأتي فيه عذابهم، وذلك هو يوم الظلة [٨].

واستعان الكافرون من قوم صالح–عليه السلام– بهذه التقنية اللغوية في الإقناع في قوله تعالى المحكي عنهم: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾ [٩] بعامل القصر أيضاً بـ

(١)ينظر : التحرير والتنوير:١٩/١٧٧ .
(٢) سورة الشعراء : ١٨٦.
(٣) الكشاف :٤/٤١٣.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير:١٩/١٨٦.
(٥) الحجاج في كلام الإمام الحسين :٧٧.
(٦) ينظر: الأمثل : ١١/٣٢٤.
(٧) سورة الشعراء : ١٨٧.
(٨) ينظر: التحرير والتنوير:١٩/١٨٧.
(٩) سورة المؤمنون :٣٧ .

(إنْ) النافية وأداة الاستثناء، فهو ليس إخباراً وإنّما يحمل قيمة حِجاجية في قصر الحياة على الحياة الدنيا مضافاً له الصفة (الدنيا) [١]، فهما يضيّقان من تعدد النتائج المستفادة من الملفوظ ويجعلان المخاطَب مباشرة أمام وجهة حجاجية واحدة ونتيجة واحدة أيضاً [٢] ، زيادة على عامل (النفي) الذي يؤكد حجّة العامل الأول (القصر) في سبيل تقوية الحجة الإقناعية بإنكار البعث ويمكن الاستدلال على النتيجة المضمرة في قولهم: بأنه ليست هناك حياة أخرى غير هذه الحياة وأن الحياة الأخرى شيء مُحال، وقد جاء النفي هنا بـ (إنْ) على خلاف ما جاء عند قوم شعيب–عليه السلام– فالنفي بـ (إن) أأكد من النفي بـ(ما)[٣] الذي يدلُّ على أنّ نفي الحياة أخرى أشدّ من نفي بشرية الأنبياء.

وهذا القول تكرّر على لسان الكافرين من أهل مكّة بإنكارهم المعاد في قوله تعالى المحكي عنهم: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾ [٤] بالتقنية الإقناعية نفسها بحصر الحياة بالحياة الدنيا، فقد أثّر عامل الحصر في القيمة الإخبارية و المحتوى لغاية إقناعية؛ لأنّ الحجّة لها غاية أصيلة وهي الإقناع [٥]، قصدوا به إبطال حجة الرسول وتقوية حجتهم، ومؤكدين عامل القصر بعامل النفي الذي يستلزم تأكيد نفي الحياة غير الحياة الدنيا؛ لأن البعث لا يكون إلّا مع حياة[٦].

ويُلحظ في قول ثمود أنهم قالوا: ﴿نَمُوتُ وَنَحۡيَا﴾، وهذا القول لم يرد عن الكافرين من أهل مكة، فهو ليس إيماناً بالبعث؛ لأنّه يناقض قولهم: ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾، ويرى الآلوسي(ت١٢٧٠هـ) أنّهم كانوا يؤمنون بالتناسخ الذي يعني تعلُّق النفس التي فرقت أبدانهم بأبدان أخرى فتنقلت في الأطوار حتى استعدّت لأن تتعلق بها النفس المفارقة[٧] .

ووظَّف الكافرون التقنية اللغوية (القصر بالنفي والاستثناء) استراتيجية إقناعية بتوجيه الحجّة بأنّ الآيات التي جاء الانبياء بها ما هي إلَّا سحر منها حكاية الله تعالى عن قوم عيسى–عليه السلام– في قوله: ﴿وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾[٨]، وهذه التقنية أقوى من الجمل الإثباتية؛ لأنها تؤكد الكلام تأكيداً حاسماً بقطع الشكّ فيها،

(١) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه :٢٠٢/٥ .
(٢) ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية:٦٤.
(٣)ينظر: معاني النحو،د.فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط/١، ٢٠٠٠ :٥٧٨ .
(٤) سورة الأنعام :٢٩.
(٥) ينظر: اسلوبية الحجاج التداولي:٢٠٣.
(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٧/٧.
(٧) روح المعاني:٣٢/١٨.
(٨) سورة المائدة:١١٠.

فالأثر الذي يحدثه العامل الحجاجي في المحتوى الدلالي (الملفوظ) لا يكون مستمداً من القيم الخبرية، بل من وظيفته التحويلية الحجاجية الخالصة، فوضع العامل الحجاجي أشبه بعامل النفي المنطقي كما يُعرَّف في المنطقيات المعاصرة التي تتمثل وظيفة الأخير بالتحويل الصدقي للقضية[١]، فلو قالوا: (هذا سحر) كان ذلك إخباراً، أمّا قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ﴾ لم يضف العامل الحجاجي إخباراً بقيمته الخبرية المجردة؛ لأنّه وحدة لغوية مستقلة يعمل بوظيفته الحجاجية داخل اللغة، فوظّف الكافرون هذا العامل للطعن بالآيات الواضحة وقالوا عنها أنها سحر، فلا يعتدّ بما ظهر على يديه من خوارق العادات، وكفرهم عناد ولجاج؛ لالتباس الأمر عليهم بين المعجزة والسحر الذي هو نوع من التصرف في الخيال[٢]، وللأثر البالغ لهذا العامل في المُرسَل إليه تكفَّل سبحانه وتعالى بمنع الأذى الذي لحقه من هذه التهمة بأن وسموا ما يفعله بأنه سحر[٣] بقوله: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [٤]، والحقّ إنَّ توجه العامل الحجاجي باثبات السحر هو عناد وإصرار على الكفر فمهما شاهدوا من المعجزات والآيات الواضحة يعدونه سحراً؛ لأنّ الإقرار والاعتراف بهذه الآيات يعني التسليم للحقيقة والإيمان بالله تعالى مع أن في حياتهم يكتفون بأقل من هذه الدلائل للإيمان[٥].

وتوجيه هذا العمل لإثبات السحر وظفّه الكافرون باتّهام النبي محمد-صلى الله عليه وآله وسلم- في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [٦]، فالآيات التي جاء بها النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- لا تحتاج إلى برهان لكنَّهم لشدّة عنادهم وتعنتهم أرادوا تقوية حجتهم باثبات السحر لما جاء به وظفوا عامل القصر، فجاء النفي بـ(إنْ) التي أعطت شدّة في توكيد النفي؛ وحصر ما جاء به النبي بالسحر لا غير((لستر مكابرتهم ولدفع ما ظهر عليهم من الغلبة، وهذا شأن المغلوب المحجوج أن يتعلق بالمعاذير الكاذبة))[٧]، وهو بمثابة تأكيد لقيام حجتهم وتقويتها.

(١) ينظر: الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية ، د.رشيد الراضي ،ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته :٤٣٦/١ .
(٢) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن :٢٩١/١٢.
(٣) ينظر: الأمثل :١٣٠/٤.
(٤) سورة المائد :١١٠.
(٥) ينظر: الأمثل :١٥٢.
(٦) سورة الأنعام : ٧ .
(٧) التحرير والتنوير : ١٤٢/٧.

ثانياً: الروابط الحِجاجية (Connecteurs argumentatifs sclale):

الرابط الحجاجي وحدات(مورفيمات) تصلّ بين ملفوظين، أو أكثر جرى سوقهما في إطار الاستراتيجية الحجاجية نفسها [١]، ويربط ديكرو وانسكمبر أهمية خاصة للعلاقات التي تعبِّر عن نفسها محاججة، ((فهي لا تنظم فقط الجمل التي يكون في المقطع الثاني معطًى بوصفه تبريراً أو نتيجة للمقطع الأول، وهذا ما يسمّى في الفرنسية (الروابط المساوقة) لـ car – لأن، ولـ -donc إذن، وإنها لتتدخل في دلالة (لكن)، أو (بالأحرى) اللتين تفرضان توجهاً مضادّاً للمحاججة)) [٢]، فيتمثل في دورها في الربط الحجاجي بين قضيتين وترتب درجاتها؛ بوصفها حججاً في الخطاب ومن هذه الأدوات: (لكن، حتى، بل وغيرها)[٣]، وتعدُّ هذه الروابط الأكثر إقناعاً وتأثيراً في الاستراتيجية الإقناعية ، وتسهم في الإفهام والتأثير في المتلقي[٤]، أي تخفّف الكلفة المعرفية لدى المُخاطَب وليس العكس[٥]، فضلا عن سمتها الحجاجية ، فمن الروابط الحجاجية التي رصدها البحث في خطاب الكافرين في القرآن الكريم التي صُنِّفت بحسب التصنيف الآتي[٦] :

١ – رابط التعليل الحجاجي (لام التعليل).

٢ – رابط التساوق الحجاجي (حتى).

٣ – رابط التعارض الحجاجي (بل).

١–رابط التعليل الحجاجي (لام التعليل):

من الحروف التي تدخل على الفعل المضارع فينتصب بعدها الفعل بإضمار(أنْ) نحو: (قصدتك لتكرمني)، أي (لأن تكرمني) [٧]، ومن معانيها التعليل وهو راجع إلى معنى الاختصاص؛ لأن القول: جئتك للإكرام دلّت اللّام على أنّ مجيئك مختصٌّ بالإكرام من دون غيره [٨]، وهي من أدوات الربط

(١) ينظر: الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو ، د.رشيد الراضي ،عالم الفكر، العدد/١ ،مج /٣٤ سبتمبر٢٠٠٥ :٢٣٥.
(٢)القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، أزوالد ديكرو،جان ماري سشايفر، تر/منذر عياشي:٥٠٥.
(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٢٩٥/٢.
(٤) ينظر: آليات الحجاج في خطب الحجاج دراسة تداولية ، محمد شكيمة ، (رسالة ماجستير مخطوطة):١١٨
(٥) ينظر: تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب ، آن روبول ، جاك موشلار ،تر/ لحسن بوتكلاي ، دار كنوز ، ط/١ ، ٢٠٢٠ : ١٣٧.
(٦) ينظر: رسائل الإمام علي في نهج البلاغة دراسة حجاجية:١٠٧ -١٠٨.
(٧) ينظر: شرح المفصل :١٤/٩.
(٨) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تح/ د.فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، ط/١ ، ١٩٩٢ :١٠٩.

الحجاجية التي تربط بين النتيجة والحجّة، فهي تستعمل لدعم النتيجة و تبريرها [١]، ويستعمله المُرسِل للتبرير، أو التعليل لفعله فهو النتيجة التي يقصدها، فيكون ما بعدها علة لما قبلها[٢] التي تُلحظ في حوار موسى–عليه السلام–مع فرعون، إذ يظهر فيها الجانب السلطوي بصورة جلية في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [٣]، فرابط التعليل جاء ليربط بين نتيجة وهي تكذيب فرعون بالآيات التي جاء بها موسى– عليه السلام – وهي العصا واليد وسائر الآيات التي أراها لفرعون، وحجّتة التي هي اتّهام موسى–عليه السلام –بالسحر وإنه يريد إخراج القبط من أرضهم وهي أرض مصر وهي تهمة سياسية يريد صرف الناس عنه وإثارتهم عليه بأنه عدو يريد طردهم من بيئتهم ووطنهم[٤] ، والغاية من هذه الحجّة الاستئثار بالسلطة والحكم والسيطرة، التي يستعملها عادة الطواغيت كلَّما رأوا أنفسهم في خطر[٥]، لذا نجد فرعون استعمل الرابط الحجاجي(اللّام) ليختصّ بحجة الإخراج من الأرض؛ لتكون الحجة الأهم في التكذيب، ويُلحظ الترابط الحجاجي في هذا الرابط.

الحجة١: تخرجنا

الحجة٢: بسحرك

الرابط: لام التعليل

النتيجة١: كذّب

النتيجة٢: أبى

فالرابط هنا جاء لتبرير النتيجة الأولى والثانية وهما التكذيب والإباء لإقناع الناس بالحجتين: الإخراج من الأرض والسحر.

وقد واجه قوم هود–عليه السلام–نبيهم بحجة أخرى غير الإخراج من الأرض وهي صرفهم عن دين آبائهم مضافا إليها عبادة الله وحده موظّفين الرابط(اللام) في قوله تعالى– المحكي عنهم–﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا

(١) ينظر: لغة الحديث النبوي وفق استراتيجيات الخطاب(كتاب اللؤلؤة والمرجان إنموذجاً)، رضوان عبد الكريم الطاهر، (رسالة ماجستير مخطوطة) إشراف د.سمير شريف استيتية، كلية الآداب ،جامعة اليرموك، ٢٠١٦ :٢١٤ .

(٢)ينظر: رسائل الإمام علي في نهج البلاغة دراسة حجاجية :١٣٧ .

(٣) سورة طه : ٥٦-٥٧.

(٤)ينظر: الميزان في تفسير القرآن :١٧١/١٤ .

(٥) ينظر: الأمثل:١٦/١٠.

لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [1]، أمّا النتيجة فهي اتهامه بالسفاهة والكذب في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [2]، والسفاهة في نظرهم أن لا يوافق المرء تقاليد مجتمعه، أي يهجر دين قومه إلى دين آخر [3] ، لذلك كانت حجتهم التمسُّك بالتقاليد، فأنكروا عليه أمره لهم بالتوحيد، وترك تقليد الآباء، لكن الكافرين هنا طلبوا وقوع العذاب؛ لأن توجيهه مستلزم التهديد والتخويف بالوعيد، فطلبوا نزول العذاب لظنهم أن الوعيد لا يتأخر [4]، فالحجة الأولى (نعبدَ الله)، فالفعل المضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعُطِف عليه الفعل (نذرَ) [5] ، فأصبحت حجتين، ولبيان الربط الحجاجي لهذه الحجة:

الحجة١:نعبد الله وحده.
الحجة٢:نذر ما كان يعبد آباؤنا.
(الرابط الحجاجي): لام التعليل
النتيجة١: نراك في سفاهة.
النتيجة٢: نظنك من الكاذبين.

٢ – رابط التساوق الحجاجي Coorientation argumentative (حتى):

يُسمَّى الرابط المدرَّج للحجج فالحجج المربوطة بهذا الرابط تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة (Classe argumentative)، أي تخدم نتيجة واحدة، والحجة التي ترد بعده هي الحجة الأقوى، لذلك القول بعدها لا يقبل الإبطال أو التعارض الحجاجي[6]، ولا يكون الربط بين الحجج به إلّا بشروط منها: أن الذي يسبق (حتى) حجّة لفائدة نتيجة معينة، كذلك تكون الحجة السابقة لها واللاحقة يشتركان في الوجهة الحجاجية نفسها، أي يخدمان النتيجة نفسها، أمّا الشرط الثالث فتكون الحجة الثانية هي الأقوى من حيث

(١) سورة الأعراف:٧٠.
(٢) سورة الأعراف :٦٦.
(٣) ينظر: الكشاف :٤٥٨/٢.
(٤) ينظر: اللباب:١٨٩/٩.
(٥) ينظر: إعراب القرآن وبيانه:٥٧٨/٢.
(٦) ينظر: اللغة والحجاج :٧٣.

الطاقة الحجاجية، لكن لا تكون الأقوى من حيث القدرة الإقناعية؛ لإمكان تغير موقعها باستبدال الأولى بالثانية فتكون الأولى هي الأقوى[١].

وقد وظّف الكافرون هذه التقنية الحجاجية في محاولة منهم لتعجيز النبي محمد-صلى الله عليه وآله وسلم-بإدراج حججٍ تقود إلى الحجة الأقوى بالرابط(حتى) التي تخدم نتيجة واحدة وهي: (لم يصدقوا به ولم يؤمنوا)، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾[٢]، فتحكي الآية قول أكابر كفار مكة في تكذيب معجزات النبي-صلى الله عليه وآله وسلم-التي تدلُّ على صدق نبوته، فذكروا حجة باطلة، وهي أنْ يعطوا معجزة مثل الأنبياء ليصدِّقوه[٣]، وبما أن الحجّة المربوطة بهذا الرابط تخدم نتيجة واحدة، والحجّة التي ترد بعده هي الحجّة الأقوى، ولا تقبل الإبطال أو التعارض الحجاجي[٤]، لذلك ربط بين حجتين، الأولى (لن نؤمن)، والثانية (نؤتى مثل ما أوتي رسل الله)، وهي الأقوى، فأظهر التدرج من إنكار الإيمان إلى نزول المعجزات عليهم، فكأنهم يقولون إذا كانت النبوة حقاً فنحن أولى منك[٥] وهذا شأن المتكبرين الذين يرون أنفسهم أحقَّ بمقام النبوة.

وتتمثل هذه الحجج في السلَّم الآتي:

-الحجة١/ لن نؤمن.

-الحجة٢/ نؤتى مثلما أوتي رسل الله.

-الرابط (حتى).

-النتيجة/ أنت غير صادق.

ومنها قوله تعالى المحكي عنهم: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[٦]، يكشف السياق هنا بأنّ الرابط(حتى) تعليلية، فيكون ما قبلها علّة لما بعدها، وقد استعملت هنا للحجاج والإقناع، فالحجّة تقدم بأساليب مختلفة بحسب الرابط الذي وُظِّف في الجملة، فتقدم الحجة بوصفها الأقوى من الحجج التي

(١) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه :٣٥٥.
(٢) سورة الأنعام :١٢٤.
(٣) ينظر: مجمع البيان:١١٨/٤.
(٤)ينظر: رسائل الأمام علي في نهج البلاغة دراسة حجاجية:١٢٤ .
(٥) ينظر: الأمثل:٣١٢/٤.
(٦) سورة الإسراء:٩٠-٩٣.

سبقتها[١]، فجاء الكافرون وهم رؤساء مكة متذرعين بحجج للإنكار[*] وأولها الحجة: (تفجر لنا من الأرض ينوعا)، ثم تساوقت الحجج تدرُّجاً بعد الرابط الحجاجي وثانيها: (تكون لك جنة من نخيل)، وثالثها: (تسقط السماء كما زعمت)، ورابعها: (تأتي بالملائكة قبيلا)، وخامسها:(يكون لك بيت من زخرف)،وسادسها: (ترقى في السماء)، فتكون النتيجة(لن نؤمن لك) وهو إنكار التصديق والإيمان به، ومن اللافت للنظر كثرة الحجج التي أوردها الكافرون هنا مقارنة بسابقه على الرغم من أن الكافرين هم من أهل مكة، وذلك أن الخطاب هنا موجّه مباشرة إلى الرسول–صلى الله عليه وآله وسلم–قصدوا منها استمالته وحثّه على المبادرة في الامتثال؛ وبما أنّ الحوار حوار إقناعي وهم يعدّون أنفسهم أعلى مرتبة منه، فناسب السياق كثرة الحجج التي أرادوا منها تخييره، أمّا في الخطاب السابق فليس الرسول–صلى الله عليه وآله وسلم–حاضراً فاختصروا الحجج في قول واحد بقوله: ﴿حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾؛ إقناعاً للكافرين من قومهم وتفاخراً وتعظيماً لأنفسهم، ويمكن تمثيلها على السُّلَّم:

–الحجة١/ تفجر لنا من الأرض ينبوعا.

–الحجة٢/ تكون لك جنة من نخيل.

–الحجة٣/ تسقط السماء.

–الحجة٤/ تأتي بالملائكة قبيلا.

–الحجة٥/ يكون لك بيت من زخرف.

–الحجة٦/ ترقى في السماء.

–الرابط الحجاجي/(حتى).

–النتيجة/ أنت غير صادق.

٣ – روابط التعارض الحجاجي Antiorientation (بل):

من الروابط الحجاجية التي تستعمل في التعارض الحجاجي، وتكمن حجاجيتها في أن المرسل يرتب بها الحجج في السلم، وهو ما يسمى بالتعاكس الحجاجي، وذلك أنَّ بعضها منفي وبعضها مثبت[٢]؛ لأن (بل) حرف إضراب، فإن تلاها جملة فهي بمعنى الإضراب فأمّا أن يكون إبطالاً، أو انتقالاً من غرض

(١) ينظر: اللغة والحجاج :٧٥-٧٧.

(*) وفيهم الوليد بن المغير وأبو جهل اجتمعوا فقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه، فطلبوا منه تيسير الجبال وأن يجري الأنهار وأن يبعث لهم من مضى ، فقال ما لهذا بعثت ، فقالوا إن لم تفعل ذلك فاسأل ربك أن يبعث ملكاً يصدقك ويجعل لنا جنات وكنوز. ينظر: الأمثل:٩٩/٩.

(٢)ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٣٠٢/٢ .

إلى آخر، وإن تلاها مفرد فهي عاطفة، فإن تقدمها نفي أو نهي فهي لتقرير ما قبلها، وإنْ تقدمها أمر أو إيجاب فهي تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه فلا يحكم عليه بشيء[١]، وبهذا يكون لها استعمالان حجاجيان وفي كلتا الحالتين تكون (بل) رابطة بين حجتين غير منتميين إلى قسم حجاجي [٢]:

١-اضراب انتقالي. ٢-اضراب إبطالي.

ومن الاضراب الانتقالي ما وظّفه الكافرون في استعمال (بل) للانتقال من غرض لآخر في توجيه خطابهم إلى النبي-صلى الله عليه وآله وسلم-في قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[٣]، وهو اضراب انتقال من غرض إلى آخر، فأول حججهم قولهم: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾، أي رؤية غير منظمة رآها فحسبها نبوة، ثم انتقلوا إلى حجة أخرى وهي ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ وهي أقوى من سابقتها؛ لأنّ الافتراء يستلزم التعمُّد، ثم حجة أقوى وهي ﴿هُوَ شَاعِرٌ﴾، وهي أقوى من السابقتين؛ لأنَّ المفتري إنّما يقول عن تروٍ، أمّا الشاعر فيلفظ أحياناً ما يتخيله وما يزينه له إحساسه من غير تدبُّر، فيمدح القبيح على قبحه ويذم الجميل على جماله، أو ينكر الضروري أو يصرُّ على الباطل[٤]، ونلحظ أن الأداة (بل) تمكِّن من إنجاز فعلين لغويين مع استيفاء ترتيبهما حجاجياً، ومن دلالة سُلَّميتها أن المُرسِل قد يضرب عن الحجة الأدنى إلى استعمال الحجة الأعلى[٥]، ويؤكد هذه العلاقة (ديكرو)، أي علاقة الحجتين بالنتيجة فكلتاهما موصلة للنتيجة لكن ليس بالطاقة الحجاجية نفسها، فالأولى مساعدة للثانية [٦]، فجاؤوا بالحجة الأقوى والأكثر إقناعاً بالنتيجة التي يريدون اثباتها و هي كون القرآن ليس من الله وإنما هو من تأليفه، ونجد الرابط الحجاجي للانتقال(بل) أيضاً في حجاج قوم صالح-عليه السلام- في تكذيبه محتجين على بشريته بكبرياء وغرور ونظرة متعالية وحب الذات، فهو بشر مثلهم وليس له امتيازات ليكون زعيماً وقائداً عليهم تجب طاعته[٧] ، فقال تعالى حكاية عنهم:﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٢٤ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ [٨]، والمضروب عنه

(١) ينظر: مغني اللبيب :١١٢/١.
(٢) ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية :١٤٠.
(٣) سورة الأنبياء:٥.
(٤) ينظر: الميزان في تفسير القرآن :٢٥٢/١٤.
(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:٣٠٤/٢-٣٠٥.
(٦) ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية:١٣٩.
(٧)ينظر: الأمثل :٢٤٠/١٧ .
(٨) سورة القمر:٢٤-٢٥.

محذوف يُقدَّر(ما ألقي) في الاستفهام الاستنكاري[١]، وهنا نلحظ الرابط الحجاجي(بل) ساهم في إنشاء سُلَّم حجاجي للانتقال من نفي نزول الذكر عليه إلى اتّهامه بالكذب بصيغة مبالغة و(أشر) إشارة إلى أن كذبه ليس لضرورة وإنما هو بطر واستغناء وطلب للرئاسة [٢]، وهذا الانتقال من درجة أدنى إلى درجة أعلى وأرقى في درجة الحجاج يحقّق قيمة إقناعية[٣] .

أما الإضراب الإبطالي فإن الرابط (بل) يربط بين حجتين تخدمان نتيجتين متضادتين والحجة الواقعة بعد الرابط هي الحجة الأقوى تخدم النتيجة المضادة والنتيجة المضادة هي المعتمدة وهي هنا مرادفة لـ (لكن) الحجاجية [٤]، ونجد هذا الرابط في خطاب الكافرين وهم المتصدين لمحاججة النبي–صلى الله عليه وآله وسلم[٥] في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [٦]، فيلحظ الرابط الحجاجي هنا يقيم علاقة بين حجتين: الأولى قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ التي تخدم نتيجة مثل:(سيتبعون ما أنزل الله)، والحجة الثانية بعد (بل) وهي (اتباع سنة الآباء) وهي الحجة الأقوى في نظرهم التي هي حجة واهية؛ لأنهم تركوا طرق الهداية العلمية وهي(العلم، اتباع أهل الرشاد والهدى، الاستلهام من الوحي)، فلما تركوها سقطوا في هاوية الضلال والضياع [٧]، هذه الحجة تخدم نتيجة مُضمرة مضادة لنتيجة الحجّة السابقة (لن نتبع ما أنزل الله) ويمكن تمثيلها بالخطّاطة الآتية:

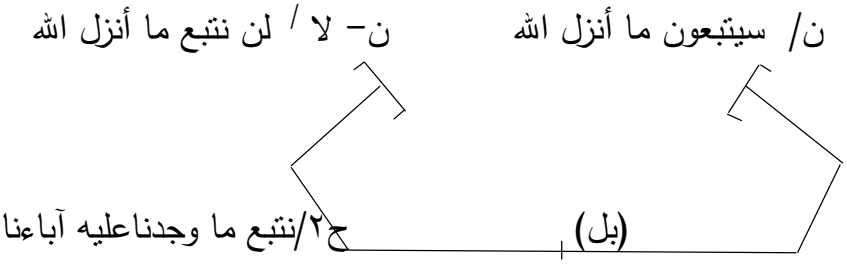

(١) ينظر: اللباب :٢٦٣/٨
(٢) ينظر: المصدر نفسه الصفحة نفسها
(٣) ينظر العوامل الحجاجية في اللغة العربية:١٤٢
(٤) ينظر: اللغة والحجاج :٦٣-٦٤
(٥) ينظر: التحرير والتنوير:١٧٥/٢١
(٦)سورة لقمان:٢١
(٧) ينظر: الأمثل:٤١/١٣

ثانياً: الآليات البيانية:

ينبني فعل الإقناع وتوجيهه دوماً على افتراضات سابقة بشأن عناصر السياق خصوصاً المُرسَل إليه والخطابات المتوقعة، لذلك يجعل(روبول) الوظيفة الإقناعية من وظائف البلاغة إلى جانب الوظيفة التداولية [١]، ((وعليه كانت البلاغة التقليدية بمثابة عِدّة منهجية يتزود بها الخطيب أو الكاتب في الحوارات الجدلية والسياسية والقضائية والمناظرات الفلسفية والأدبية والنحوية))[٢] ؛ لأنّ الوجوه البيانية لها دور فعّال في توصيل المعنى والإقناع [٣]، فلا يعتمد الحِجاج المعاني الصريحة فقط، فالمعاني الضمنية تؤثر في أفكار المتلقي وسلوكه، ((ومعلوم أنّ الحِجاج هو لعبة المعنى بين الظهور والخفاء وأنجعه ما كان يتراوح المعنى فيها بين الظهور والخفاء وشأن التشبيه شأن الاستعارة فهي على درجات من القوة والضعف))[٤]، فأهمّية الوسائل البلاغية تكمن في تحريك وجدان المتلقي، فإذا انضافت تلك الجماليات إلى حجج، حقّقت قدرة إقناعية مؤثرة إلى جانب قيمها الجمالية [٥] فالآليات البيانية تتوافر على خاصية التحول لأداء أغراضٍ تواصلية وإنجاز مقاصد حِجاجية وإفادة أبعاد تداولية، إذا ما تمَّ عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية، بل وظيفة إقناعية استدلالية [٦]، وعليه تنوّعت استراتيجيات الإقناع في خطاب الشرِّ عند الكافرين نقف منها على التشبيه والاستعارة، فهما يمثلان نوعاً من الحجج المؤسسة لبنية الواقع.

١-التشبيه الضمني(simile):

يعدُّ التشبيه أسلوباً من أساليب القول وفنونه ذا أثر يؤتى به لتحقيق أغراضاً نفسية لا يقلُّ عن الاستعارة والكناية؛ لما له من أثر في النفس فهو يُدرك بيسر وسهولة وهو من أكثر أبواب البيان تأثيراً [٧]، وهو من الناحية الحجاجية يكتسب هذه الطاقة الحجاجية من خلقه فضاءً واسعاً يراود الخيال ويسمح بتوسيع أفق المعلومات التي يتضمنها[٨]، وقد وردت هذه الآلية عند الكافرين من أهل مكة في

(١) ينظر:الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل في نظرية النحو الوظيفي :٢٠٨.
(٢) من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، د.جميل حمداوي، إفريقيا الشرق –المغرب،٢٠١٤ :٧٠.
(٣)ينظر: الحجاج ووسائلة البلاغية في النثر العربي القديم، أيمن أبو مصطفى، دار النابغة ،ط/١ ،٢٠١٨ :١٣٣ .
(٤)العوامل الحجاجية في اللغة العربية:١٢٨.
(٥) الحجاج في الشعر العربي : ١٢٠-١٢١.
(٦) ينظر: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، د.صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٨ :٥٠.
(٧) البلاغة فنونها وافنانها، د.فضل حسن عباس، دار الفرقان ،ط/١٠، ٢٠٠٥ : ١٧-١٨.
(٨) ينظر: آليات الحجاج القرآني :٣٠٠.

قوله تعالى المحكي عنهم: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ [1]، منكرين البعث بآلية التشبيه الضمني (Implicit simile)[*]، وهو((تشبيه بأنه طي لحياة الإنسان كما تطوى الصحف على ما ضمَّت عليه من كلمات))[2] وطي الصحف ونشرها لا حاجة به إلى عناء ومعالجة كذلك الموت، فقوة تأثير صورة الموت بالصحف التي تطوى في النفس[3] قصدوا منه نفي الموتة الأخرى[4] التي هي سهلة كطي الصحف ونشرها، أو نفي تبدّل أحوال الإنسان بعد الموت كحال الصحف، وتكمن حجاجية الصورة ودورها الإقناعي بأن المُرسَل إليه لا يستطيع الاعتراض وتضطره إلى التسليم بالمفهوم الحاصل منها كونها من عالم خطابه[5]، لذلك عمدوا إلى صورة النشر لهذا القصد، وقد أشار الدكتور عبد الله صولة إلى حركة الكلمة الحجاجية في منافستها لغيرها لتظفر إحداهنَّ بمكان لها في الملفوظ، وما يساعدها على الظفر بهذا المكان أن المقام يستدعيها أكثر من غيرها، وأنّ هدف الإقناع يقتضيها أكثر من غيرها[6]، فالمقام مقام إنكار، والحوار حجاجي مع النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–فلمّا هددهم بعذاب الدخان ثم البطشة الكبرى، وضرب لهم المثل بفرعون أعقب ذلك قولهم بالإشارة إلى إنكار البعث مؤكدين نفيه بعامل القصر الحجاجي﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ ﴾ الذي يفيد تقييد الحجة وتوجيهها، فهو قصر حقيقي باعتقادهم؛ لأنهم لا يؤمنون باعتراء أحوال لهم بعد الموت [7]، ثم أعقبوا ما ينتابهم بعد الحياة على الموتة التي يموتونها﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ وهو تصريح بمفهوم القصر وجيء به معطوفاً؛ للاهتمام مع إفادته تأكيد القصر[8] بصورة النشر، ثمّ أوردوا حجّة أخرى زيادة في الإقناع، وتعزيزاً لتلك الصورة

---

(1) سورة الدخان : ٣٥.

(*) هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمح المشبه والمشبه به، ويفهمان من المعنى، ويكون المشبه به دائما برهاناً على إمكان ما أسند إلى المشبه كقول المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

أي أن الذي اعتاد على الهوان يسهل عليه تحمله ولا يتألم له، وليس هذا الادعاء باطلاً؛ لأن الميت إذا جرح لا يتألم، وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة . ينظر:جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، احمد الهاشمي، دار الحديث القاهرة،٢٠١٣ :٣١٤.

(2) ينظر: من بلاغة القرآن في مجادلة منكري البعث، بدرية بنت جميل بنت حسن العثمان، دار الراية للنشر، السعودية:٤٣١.

(3) ينظر: التشبيه في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، سلامة جمعه عطا، (رسالة ماجستير مخطوطة)جامعة مؤته ،٢٠٠٤ :٦٠.

(4)ينظر: فتح القدير :٥٧٦/٤ .

(5) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية:٥٧٧ .

(6) ينظر: المرجع نفسه:١٦٩.

(7) ينظر: التحرير والتنوير:٣٠٦/٢٥-٣٠٧.

(8) ينظر: المرجع نفسه:٣٠٨/٢٥.

الحجاجية بعودة آبائهم بقولهم: ﴿ فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [١]، بفعل توجيهي يستلزم التعجيز بعودة آبائهم الماضين حتى يعلموا الصدق، فالنتيجة التي يريدون الوصول إليها نفي حالة أخرى بعد الموت، وإنما ينتهي كل شيء بموت الإنسان وهو إنكار للبعث وتسفيه لما يعدهم به النبي.

٢-الاستعارة (Metaphore):

تقوم الاستعارة بالإقناع فهي أدعى من الحقيقة في تحريك همَّة المُستمع للإقناع والالتزام بقيمها، لما تحققه من انحراف عن العادي المألوف، فالمستعير يقصد تغيير المقاييس التي يعتمدها المستمع في تغيير الواقع، إذ إنَّ الاستعارة أبلغ وجوه تقيّد الكلام بمقام الكلام، وهذا التقيُّد الاستعاري بالمقام سبب لجعل الاستعارة تدخل في سياق التواصل الخطابي بوصفها نسقاً من القيم والمعايير العملية، وهدف السياق إجراء تغيير في الأنساق الاعتقادية والقصدية[٢]، فهي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف العاطفي أو الفكري بإجتذاب المرسَل إليه وابهاجه [٣]، وقد عدّت الاستعارة بأنها آلية حجاجية بامتياز؛ لأنها تكون أكثر قهراً واقتساراً، فالقول الاستعاري يؤدي عدّة وظائف في عملية التخاطب، وعمليتي الفهم والتأويل منها: الإذعان، التخييل، والتصديق، فالتخييل إذعان للتعجب، والتذاذ بالقول، والتصديق إذعان لقبول ما قيل[٤]، فهي لا تخلو من قيم جمالية كالاستعارة الشعرية، التي تتفاوت بينهما نسبة الحجاج وقوته بحسب السياق اللغوي والمقام[٥]، لذلك يمكن عدّها من أهمِّ خصائص التواصل اللغوي.

ومن استعمالات الكافرين لآلية الاستعارة ما جاء في خطاب أهل مكة في مواجهة الدعوة الإسلامية فبعد اتهام النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- بالشعر فاقترحوا الصبر عليه حتى تنطوي أشعاره كما ينطوي سجل عمره بالموت[٦] حاله حال الشعراء في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾[٧]، فعبَّروا عن الموت بـ (ريب المنون)، التي هي صروف الدهر وحوادثه، وهذه استعارة تصريحية، فقد

(١) سورة الدخان:٣٦
(٢) ينظر: اللسان والميزان والتكوثر العقلي:٣١٢ ، الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم:١٤٩
(٣) ينظر: اللغة والخطاب ، د.عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع، ط/١، ٢٠١١ :٢١٨
(٤)ينظر: عندما نتواصل نغير :١٢٠-١٢١
(٥) ينظر: الحجاج في كلام الإمام الحسين(ع) :١١٢
(٦) ينظر: الأمثل:١٣٤/١٧
(٧) سورة الطور:٣٠

أطلقوا الريب على الحوادث، والريب: الشك، وشُبِّهت الحوادث بالريب؛ لأنها لا تدوم[١]، ونلحظ أنّهم قد بنوا حجتهم على حجة سابقة ضعيفة وهي أنَّ النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– شاعرٌ، فاستعاروا (الريب) وهو التردُّد والاضطراب الذي ينتاب الأفراد قبل الموت[٢]، وهذا بلا شكّ نفي للنبوة التي لا يعتريها الشكّ والاضطراب، وتقريب الصورة إلى الذهن؛ لقيم حجاجية؛ ولحمل المُرسَل إليه (وهم الكافرون) إلى الاقتناع بأن أمر محمد–صلى الله عليه وآله وسلم– ينتهى كما تنتهي حوادث الدهر العابرة .

ووظّف الكافرون من قوم موسى–عليه السلام–تقنية الاستعارة عندما طلبوا منه رؤية الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[٣]، قال أبو السعود: ((حتى نرى الله جهرة : عياناً وهي في الأصل مصدر جهرت بالقراءة واستعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف))[٤]، وهذا ما ذهب إليه الآلوسي(ت١٢٧٠هـ) في هذه الاستعارة، التي قال فيها أنها استعيرت للمعاينة بجامع الظهور التام[٥]، فحجة الاستعارة جاءت بعد حجة من حججهم وهي رؤية الله تعالى التي جاءت بعد الرابط (حتى)؛ لتخدم نتيجة مثل: (لم يؤمنوا)، ثم وظّفوا وسيلة من وسائل الإقناع (الاستعارة) وهي الجهر، التي تدلّ على الوضوح؛ ليؤكّدوا أنّ رؤية الله ممكنة، إلّا إنهم يريدون رؤيته أوضح، وهذا الطلب ينمّ عن جهلهم؛ لأنّ إدراك الإنسان الجاهل لا يتعدى حواسّه، لذلك يرمي أن يرى الله بعينه [٦] ، وهذا لا يمكن تحقيقه .

(١) ينظر: اعراب القرآن الكريم وبيانه :٣١٦/٧.
(٢)ينظر: الأمثل :١٣٥/١٧ .
(٣) سورة البقرة :٥٥.
(٤) إرشاد العقل السليم:١٠٣/١.
(٥) روح المعاني:٢٦٢/١.
(٦) ينظر: الأمثل:١٧٠/١.

المبحث الثاني
إستراتيجية الإقناع بالمغالطة

مفهوم المغالطة(السفسطة) (Fallacie):

١– الحجة الشخصية (Argumentum ad hominem):

٢–ما جرى به العمل (الاحتكام إلى التقاليد) (Appeal to Common Practice)

٣–مغالطة السخرية(paealogie to Ridicule)

٤–الاحتكام إلى السلطة (Ad verecundiam appeal to authority)

٥–المحاجّة الجماهيرية (Argumentum populum):

٦–مغالطة المحاجّة بالتجهيل(Ad ignoratiam lArgumentrtion ParlIgnorance):

٧–مغالطة النتيجة غير المباشرة(in dircat result paealogie):

٨–(مغالطة السبب الزائف) (paealogie cause non causa pro causa)

المبحث الثاني
استراتيجية الإقناع بالمغالطة

مفهوم المغالطة(السفسطة) (Fallacie):

الغلط في اللغة العربية خلاف الإصابة. يقال: غَلِط يَغلَط غَلَطاً و الأغلوطة، أي شيء يغالط به بعضُهم بعضاً [١]، ويقابله ثلاث مصطلحات غربيه، ففي المصطلح الإنكليزي(Fallacy) وأصله اللاتيني (Fallacia) الذي يعني المغالطة والمكر والخداع والحيلة، وفي الفرنسية(Paralogisme) التي أصلها اليوناني (Paralogismos) التي تعني حِجاجاً خاطئاً، كما تضمُّ إليها المعاجم الحديثة حسن النية [٢]، ومصطلح السفسطة (Sophia)، الذي يُعرِّفه أرسطو بأنه استدلال صحيح في الظاهر معتل في الحقيقة، وغرضه من دراسة السفسطة معرفة الحيل التي يلجأ إليها السوفسطائيون [٣]، ويعني مصطلح(sophisme) في معجم تحليل الخطاب المحرج والكاذب والتلاعبي[٤]، وقد ميَّز كريستيان بلانتان بين مصطلح (sophisme) الذي يقول إنَّ ارتكاب الخطأ ارتكاباً فيه يكون متعمداً وبين مصطلح (Paralogume) الذي يكون فيه الخطأ عن حسن نية[٥]، واستعمل ابن رشد مصطلح المغالطة والحجة المغالطية والقياس المغالطي في معنى موازٍ لمفهوم البرالوجيسم [٦] .

وهذا الحقل التداولي اللساني للحِجاج، يقوم على انسجام ظاهري بين المقولات والمقتضيات، لكنّه يكشف عن خطأ الاستنتاجات المقدّمة ويعمد إلى هذا النمط من الحجاج من يرومون الإقناع المؤقت لجماعة ما بأي وسيلة وهو مخالف لما قدّمه ديكرو الذي تنسجم أبنيته الكبرى فيها النتائج مع المقدمات إنسجاماً بيناً، ويطلق على هذا النوع من الحِجاج في الفرنسية مصطلح (Paralogume) وترجمته الحِجاج المجانب للصواب، أي الخاطئ وترجمته النقدية (الحِجاج المغالط)؛ لأنّ القصد منه حاصل من

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة :٤/٤٩٠، مادة (غلط).
(٢)ينظر:الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج، د.محمد النويري، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس إشراف د.حمادي صمود:٤٠٦.
(٣)ينظر: الحجاج والمغالطة:١٢، ينظر: السفسطات في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي والجدلي ، د.رشيد الراضي ، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ١/٧٦٥ .
(٤) ينظر: معجم تحليل الخطاب:٥٢٢.
(٥) ينظر: المغالطة وحجاج القوة في الخطاب الديني المعاصر(كتيب مد الأيادي لبيعة البغدادي لأبي همام بكر الأثري، فاطمة يحيى، سياقات، مج/٢، العدد/٦، ٢٠١٧ :١٣٢.
(٦) ينظر: الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج(بحث):٤١٢.

قبل المُرسِل فيما يوجهه من خطابات ونصوص وفائدته جعل المرسَل إليه ينساق إلى نتيجة معينة، وهو ما يقرِّبه من المنهج السوفسطائي الذي يكون في الإبهام والمغالطة هما المؤسسان للبنية المنطقية للحجاج[١]، ويقدِّم عادل مصطفى تعريفاً للمغالطات المنطقية بأنَّها ((أنماط شائعة من الحجج الباطلة التي يمكن كشفها في عملية تقييم الاستدلال غير الصوري))[٢].

فالمُغالطة نوع من الحِجاج، لكنّه يختلف عن الحِجاج المستقيم بكونه يوظِّف الحجة توظيفاً خاطئاً [٣]، فإذا كانت مقدمات الحجة قائمة على خطأ غير مقصود فهي(غلط)، إذ يقترن بحسن النية، فتكون المقدمات كاذبة والأقيسة فاسدة، أو تكون الحجج معوجة [٤] ، أما إذا كانت مقدمات الحجة قائمة على خطأ مقصود موهماً صاحبُها أنه حقّ من أجل التمويه والتضليل، فهي (مغالطة)، والغرض منها إبطال الحقائق [٥]، ((وفي كلتا الحالتين عيب يزري بالفاعلية الحجاجية ويعطل طاقتها في انتاج المعقولية)) [٦]، إذ إنَّ كلَّ مغالطة هي غلط، ولكن ليس كل غلط مُغالطة؛ لأنَّ المغالطة تحمل قصد التمويه والتضليل مع سبق الإصرار من أجل الإطاحة بالخصم، في حين أن الغلط خطأ غير مقصود يحاول المُرسِل فيه عن حسن نية للبرهنة عن رأيه ولكنّه يقع في الخطأ [٧]، وسيعتمد الباحث المُغالطة التي تقوم على التضليل والمكر وسوء النية.

وعلى الرغم من الطبيعة السلبية للمغالطات نتيجة اعتمادها على التمويه والتضليل في الاستدلال تعد آلية إقناعية مفضلة في الحوار؛ لسهولة تمريرها في كثير من الأحيان وبحكم الطبيعة التعسُّفية في تحقيق المراد فيتلقاها الجمهور على أنها حجج صحيحة [٨]، ولم يعد (هامبلن) العلاقة بين المقدمة

(١) ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر :١٩٦-١٩٧.
(٢) المغالطات المنطقية فصول في المنطق غير الصوري، د.عادل مصطفى، المجلس الأعلى للثقافة، ط/١،القاهرة ٢٠٠٧ :١٧.
(٣) ينظر: استراتيجيات الحجاج المغالط وأساليبه في التراث العربي، بو غزالة محمد عبدالحميد ، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج/١١،العدد/٢ ،٢٠١٩ : ٢٨١.
(٤) ينظر: الحجاج المغالطي في أدب الأخبار،د.محمد الناصر كحّولي، جذور، العدد/٤٦، رجب ١٤٣٨هـ أبريل٢٠١٧ :١١٤.
(٥) ينظر:ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، د.عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم ،ط/١، ١٩٧٥ :٣١٣.
(٦) ينظر: الحجاج والمغالطة:٧.
(٧) ينظر: المغالطات الحجاجية وفن صناعة الجهل في الخطاب السياسي المعاصر دونالد ترامب إنموذجاً، حسين بوفناز، سامية عليوات، مج/٦، العدد/٣، ٢٠١٩ :٧١٣.
(٨)ينظر: المغالطات والسفسطات المنطقية في بخلاء الجاحظ، توفيق شعبان ، د.فتحية بلحاجي، دراسات معاصرة، الجزائر، مج/٥، العدد/٢، ٢٠٢١ :٢٩٢.

والنتيجة ذات طابع شرطي منطقي، فالحجّة يمكن صياغتها من دون أن تكون المقدمات ملزمة بها، أي يمكن للحجج أن تكون صالحة أو غير صالحة، ففكرة نظرية (هامبلن) هي أن صلاحية الحجاج لا تعتمد على معايير منطقية تتعلق بصحة المقدمات، بل تعتمد على معايير جدلية تتعلق بمدى قابليتها(acceptabilite) ، فالحِجاج كما يراه ليس مسألة صواب، أو انتساب، بل مسألة اعتقاد، وهذا يرجع إلى هدف الإقناع الذي يبحث عنه الحجاج، فالغاية الإقناعية مُهمّة لصلاحية الحجة، أي القيمة الإقناعية للحجة هي الأكثر مواءمة لصلاحيتها [١] .

ومن هذا فأهمّية المُغالطات المنطقية تكمن في قدرتها على الإقناع والتأثير بصرف النظر عن مخالفتها بين المقدمات والنتائج ومطابقتها ظاهرياً، فقد يتحقق أحياناً صلاح الحجّة أو صوابها ولكن لا يتحقق الإقناع، فيعمد إليها المُرسِل إذا وجدها استراتيجية ناجعة فيوظّفها في خطابه استراتيجية إقناعية محاولاً إذعان المُرسَل إليه والتأثير فيه.

فالمغالطات إحدى الآليات التي لجأ إليها الكافرون في خطابهم بوصفها وسيلة تمكّنهم من إقناع الناس وإيهامهم بصدق حججهم التي هي بعيدة كل البعد عن الصدق؛ لإثبات عقيدتهم وصحة دعواهم، ومن نصوص القرآن الكريم نجد أن الكافرين يعمدون إلى هذا النوع من الإقناع ((من حيث أنه طعم يوظفه المتكلم بغية تحقيق غاية ما)) [٢]، ومن هذه المغالطات:

١– مغالطة الحجة الشخصية (Argumentum ad hominem):

تعدُّ الحجة الشخصية إحدى الطرائق المعتمدة في الإقناع كرهاً[٣]، ((وتعني مغالطة الحجة الشخصية أن يعمد المغالِط إلى الطعن في شخص القائل بدلاً من تفنيد قوله، أو قتل الرسول بدلاً من تفنيد الرسالة))[٤] في حين ما يُحدِّد صدق العبارة أو صواب الحجّة أمر لا علاقة له بشخص القائل سواء أكان عدواً أم مُغرضاً أم كافراً، بل ما يحدّد عبارة مثل: (السماء تمطر) هو الجو وليس شخص القائل

(١) ينظر: تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون، جيل جوتيه، تر/ د.محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط/١، ٢٠١١م :٧٤-٧٥.
(٢) الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج:٤١٦.
(٣) ينظر: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة دراسة تداولية، ابتسام بن خراف(أطروحة دكتوراه مخطوطة)، إشراف د.السعيد بن إبراهيم، ، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجمهورية الجزائرية، ٢٠١٠ :٣٧٥.
(٤) المغالطات المنطقية:٦٩.

وتقع هذه المغالطة حين يُهاجَم الشخص بدلاً من مهاجمة حجته فيبدو بالتداعي (association) كأنّ حجّته قد دُمِغت والحقُّ أنَّ النقد قد توجه إلى الشخص لا إلى الحجة [١]، فصورة هذه المغالطة:

-زيد يطرح الفكرة(ف).

-عمرو يقدح في زيد، أو يومئ إلى ظرف من ظروفه.

- إذن فكرة زيد(ف) التي يدافع عنها باطلة.

ووجه المغالطة هنا إنّ هذه الحجّة لا تراعي كون هذه الصفات الخاصّة والممارسات المتعلقة بالشخص لا دخل لها في صدق أو بطلان الفكرة [٢]، وفتعدّ هذه المغالطة من العنف غير المباشر (العنف اللفظي) المتمثل في استعمال ألفاظ وعبارات عنيفة[٣]، فيصبح الذهن منقاداً لسلطة الخطاب، وتصبح اللغة مغالطة فن من فنون التزويف [٤] .

وقد لجأ الكافرون لهذه المغالطة في مقامات تخاطبية مختلفة بغية الإقناع والتأثير منها ما جاء على لسان قوم نوح-عليه السلام-في تجريحه والطعن في شخصه في قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [٥] ، فنجد أنّ نوحاً- عليه السلام- ذكر حجته خوفاً عليهم من العذاب العظيم بأسلوب هادئ وإستراتيجية تضامنية مستعملاً إحدى تقنياتها بإضافة القوم إلى نفسه مع استعمال أسلوب النداء؛ لتحفيز المرسل إليه؛ و((ليكون جرياً على مقتضى النصح الذي سيخبرهم به عن نفسه))[٦]، بفعل كلامي توجيهي Directive مستعملاً فعل الأمر Imperatve ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾، الذي يعمل حِجاجياً ليخدم نتيجة مثل: أن ما يقوله النبي حجّة، فيأتي جواب قومه بمغالطة حِجاجية، فهم لم يملكوا دليلاً لإبطال حجّته بدعوتهم إلى الله وإنذارهم عذابَ يوم القيامة، إذ رأوا أنّ حجتهم دمغت، لذلك عمدوا إلى شخصه بدلاً من إبطال حجته، فقالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ وهو الذهاب عن طريق الصواب والحقّ [٧] ، فهو تجريح أطلقوه في صورة حجّة أرادوها أن تكون مقبولة؛ ليوقعوه ويضعفوا حجته مؤكدين

(١) ينظر: المغالطات المنطقية: ٦٩.
(٢) ينظر: الحجاج والمغالطة:٢٠.
(٣) ينظر: الحجاج المغالط في الخطاب الإعلامي، أسماء مجيدي، رضا زلاقي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج/١٠ ، العدد/٥ ، ٢٠٢١ :١٨٣ .
(٤) ينظر: المغالطات الحجاجية وفن صناعة الجهل في الخطاب السياسي المعاصر(بحث):٧٢٣.
(٥)سورة الأعراف:٥٩-٦٠ .
(٦) الميزان في تفسير القرآن :١٧٧/٨.
(٧)ينظر: الكشاف :٤٥٤/٢ .

الضلال توكيداً شديداً؛ لإثبات ادعائهم [١]، أي تقوية لإنجازية الفعل الكلامي (المُغالطة) بأنَّ المشدّدة واللام، وهذا ما جعل نوحاً–عليه السلام–ينفي عن نفسه هذه الحجة الباطلة، واستدرك بأنه رسول من الله تعالى بالرابط الحجاجي(لكن) الذي يقوم بدور حجاجي مفاده الحفاظ على النتيجة التي تكون مناقضة للنتيجة السابقة [٢] بقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [٣]، فهو أبطل حجتهم بأنْ نفى عن نفسه الضلالة، وحافظ على النتيجة كونه رسول من الله تعالى، فنجد أن حجتهم (المغالطة) لم تأتِ على وفق قاعدة منطقية صحيحة؛ لأن العلاقة بين المتناظرَين في الحِجاج المغالِط علاقة مشبوهة مصدرها الموضوع أو أحد طرفيها، فالهدف في هذا المقام هو التأثير على المرسَل إليه بطرائق تدليسية تغليطية [٤]، فيمكن تمثيلها على الشكل الآتي:

–النبي نوح: (اعبدو الله).

–قومه: (نراك في ضلال).

–إذن دعوتك باطلة.

ومثل هذه المغالطة استعملها قوم هود–عليه السلام–بعد دعوتهم إلى الله تعالى فجرّحوا في شخصه باتّهامه بالسفاهة والكذب في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[٥]، ومقالته شبيهة بمقالة نوح–عليه السلام–بدعوتهم إلى الله تعالى بفعل كلامي توجيه(Directiv) ، مستعملاً الأمر الصريح، فعله التأثيري (Acte perlocutoire) فهو أحد الآليات اللغوية التي تستعمل في الخطاب بغرض حجاجي إقناعي[٦]، وقد أشار إلى واقعة الطوفان مُحذّراً إياهم من عذاب مثله بقوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، والفرق عن قول نوح–عليه السلام– في قوله: ﴿أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ أنّه لم يسبق في العالم مثل هذه الواقعة العظيمة [٧]، فعمدوا أيضاً إلى الاستعانة بالحجّة الشخصية؛ ليضعفوا

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن:١٧٨/٨.

(٢) ينظر: الروابط والعوامل الحجاجية في ديوان أمل دنقل، زينب نمر،(رسالة ماجستير مخطوطة) إشراف د.صالح بوترعة، جامعة العربي بن مهيدي (أم البواقي) الجمهورية الجزائرية، ٢٠١٨ :٥٠.

(٣)سورة الأعراف:٦١ .

(٤) ينظر: تهافت الاستدلال في الحجاج المغالط، د.حسن الباهي، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الأردن، ط/١ ،٢٠١٠ :٨١٠.

(٥) سورة الأعراف:٦٥-٦٦.

(٦) ينظر: وسائل التوجيه اللغوية في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي مقاربة حجاجية، محمد شكيمة، مجلة أبوليوس، مج/٧، العدد٢، ٢٠٢٠ :١٧٠.

(٧)ينظر: مفاتيح الغيب:١٦١/١٤-١٦٢ .

حجّته من دون مناقشة الحجة نفسها بقولهم: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ وقد أكدّوا كلامهم مرة بعد أخرى؛ لتعجُّبهم من مقالته، فالوثنية قد امتلكت قلوبهم واستقرت سنتها بينهم حتى لا يعترض عليها مُعترِض[١]، وقد تمثل هذا التأكيد بـ (إنَّ واللام)، اللذين يمثلان عناصر قوة حِجاجية للفعل الكلامي، فالتوكيد من أهمّ أساليب التأثير والإقناع وإزالة الشكوك، فهو أسلوب حِجاجي راسخ يلجأ إليه المُرسِل للتأثير على المُرسَل إليه[٢]، لذلك أن الكافرين هنا استعانوا بها لإقناع الناس بصدق حجتهم على الرغم من بطلانها.

يُلحَظ تباين الحجّة الشخصية بين قوم نوح–عليه السلام–عند ما عمدوا إلى تجريحه اتهموه بالضلالة، أمّا قوم هود–عليه السلام–فاتهموه بالسفاهة، والفرق بين الحجتين أنّ نوحاً كان يخوّف قومه بالطوفان ويشتغل بإعداد السفينة ولم يكن هناك علامات تدلّ على ظهور الماء، فعنئذ قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، أمّا هود–عليه السلام–فقد سفّه آلهتهم ونسب إلى من اشتغل بعبادتها بالسفاهة، فقابلوه بمثله ونسبوه إلى السفاهة [٣] .

وبالأسلوب نفسه وفي القصة السابقة يعمد هود–عليه السلام–لدحض حجتهم الباطلة بقوله: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٤] موجّها حجته بعامل النفي(ليس) بأنْ نفى عن نفسه السفاهة، وأبطل حجتهم وحافظ على النتيجة أيضاً بالرابط (لكن) إذ إنَّ مهمته هي إبلاغ الرسالات وإرشادهم إلى ما فيه سعادتهم وخيرهم وإنقاذهم من الشرك والفساد مع نصحه وأمانته لهم[٥]، وتتمثل هذه المغالطة بالشكل الآتي:

–هود (اعبدوا الله).

–الملأ(نراك في سفاهة ونظنك من الكاذبين).

–إذن دعوتك باطلة.

ويتجلّى هنا دور السلطة في ملفوظ الملأ الاقصائي بأنّه طغى خطابهم على خطاب القوم، فهناك مَنْ آمن لكنه لم يكن له رأيٌ، أي أسلم ولكنّه كان يكتم إسلامه خوفاً منهم، لذلك وصفهم الله تعالى

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن:١٨١/٨.
(٢) ينظر: الخطاب الحجاجي في رواية(فرعان من الصبار)للراوي خيري شلبي، محمد كمال سرحان، مجلة كلية الآداب جامعة بور سعيد، العدد/١٩، ٢٠٢٢ :٣١٧.
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب:١٦٢/١٤.
(٤) سورة الأعراف:٦٧.
(٥)ينظر: الأمثل:٦٥/٥ .

بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾، ولم يصفهم في قصة نوح–عليه السلام–ويحتمل الزمخشري أنَّ وصفهم هنا للذم[١]، فصوت الملأ هو صوت سلطوي يقف دوماً في وجه النبوات يتكئ على القوة المادية التي يمتلكها وإن كان يخلو من القوة الفكرية فهي حيل إبلاغية ومراوغات إيهامية بقصد أن ينصاع لهم العامة ويحققوا النصرة على الدعوة الشريفة ويحافظوا على سطوتهم المادية [٢] .

ومن هذا النوع من المغالطات ما ذكره قوم هود–عليه السلام–للقدح به في قوله تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۖ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾[٣]، بعد أن دعاهم إلى التوحيد في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴾ [٤]، وخطابه مشابه لخطاب نوح–عليه السلام– بدأ ملفوظه باستراتيجية تضامنية ثم انتقل إلى توجيه حجته بفعل أمر، فكان ردهم بدلاً من إبطال حجته بإثبات توجّهوا إليه بالتهجُّم على شخصه من دون مناقشة الحجة نفسها، لكن الطريقة هنا تختلف، فهم لم يباشروا السبَّ بطريقة مباشرة، بل لجؤوا إلى أسلوب غير مباشر فيه مدح آلهتهم، وقدح نبيهم بقولهم: ﴿ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖ﴾، أي خبّلك ومسّك بالجنون لسبِّك إياها، وصدّك عنها وعداوتك لها[٥]، وحجتهم هذه مغالطة وقولهم: ﴿بَعۡضُ﴾ هو تعظيم لتلك الآلهة على أنّ بعضها له تأثير كبير [٦]، ثمّ بادر بتفنيد حجتهم بقوله: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ [٧] إشارة منه إلى أنّ الأصنام إذا كانت لها القدرة فاطلبوا منها هلاكي وموتي لمحاربتي لها علناً [٨]، فحجَّتهم لم تعدْ أنْ تكون حجة باطلة أريد بها إقناع الناس بأن هود–عليه السلام– مجنونٌ، وسبب الجنون هو تعرُّضه للآلهة بسوء، فالصورة المنطقية لهذه المغالطة ولسابقتها يمكن تمثيلها بالشكل الآتي :

–(هود) اعبد الله وحده.

(١) ينظر: الكشاف:٤٥٧/٢-٤٥٨.
(٢) ينظر: خطاب الملأ في القرآن الكريم: قراءة في ضوء النقد الثقافي ونظرية الحجاج، دعد رشاش الناصر، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج/١٩ ، العدد/١ ، ٢٠٢٠ :٤٤٥.
(٣) سورة هود:٥٤.
(٤) سورة هود:٥٠.
(٥) ينظر: الكشاف: ٢٠٨/٣.
(٦) ينظر: روح المعاني:٨٢/١٢.
(٧) سورة هود:٥٥.
(٨) ينظر: الأمثل:٣٩٠/٦.

-(الكافرون) هود مجنون.

-إذن الدعوة باطلة.

وفي مواجهة موسى-عليه السلام-مع فرعون و هامان وقارون نجدهم يستعملون مغالطة الحجة الشخصية في مواجهة حجته باتهامه بالسحر والكذب في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُواْ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [1]، وقد جمعهم القرآن الكريم في هذه الآية لاشتراكهم في التهمة نفسها وهي رمي رسولهم بالكذب والسحر، وكذلك كونهم أصل كلِّ فساد وفتنة [2]، فهو عجز في الوقوف أمام حجته لتكون المغالطة بديلٌ عنها بالقدح في شخص النبي بدلاً من تفنيد حجته، إذ خشي فرعون من أن يؤثِّر كلام موسى-عليه السلام-في الحاضرين[3]، فيعمد المُرسِل في هذه المغالطة إلى الهجوم أولاً على الخصم بتهمة باطلة، ليدّعي بعدها أنّ هذا العيب ينسحب على فكرته ودعواه[4]، وهذا ما أراده فرعون في هذا الحوار حتى وصل إلى ادّعاء الربوبية، ويبدو أن المغالطة في هذا الحوار تسير باتجاه تأسيس السلطة، فهو نموذج اقصائي قمعي بحق الآخر؛ بسبب فكرهم الآخر مع طغاة المجتمع وقاتليه[5]، فغلبة حجة موسى-عليه السلام-يعني ضياع تلك السلطة ، فوجد فرعون الطريق الأقصر لإقناع الناس بحجته الباطلة وهو اتهام النبي بالسحر والكذب، كما يمكن التنبّه للوصف الذي استعمله فرعون ﴿سَـٰحِرٌ﴾، فهو لم يستعمله للوصف فحسب، بل استعمله ليحاجج به الآخرين، ليلزم عن هذا الوصف تصنيف الموصوف به في إطار معين وإدراجه ضمن فئة معينة لها قانونها وجزاؤها[6]، لذلك كان أول جزاء استحقه موسى هو تهديده بالسجن.

يُلحظ مما تقدَّم أن نجاعة الحجة الشخصية وقوتها الإقناعية على الناس وكونها وسيلة سهلة في تحقيق الغلبة على الخصم نجدها تهيمن على استراتيجيات المغالطة بشكل كبير، فقد عدّها الكافرون السلاح السحري
لمواجهة الدعوات الإصلاحية.

---

(1) سورة غافر:٢٣-٢٤.
(2) ينظر: التحرير والتنوير:١٢٢/١٤ ، والميزان في تفسير القرآن:٣٢٧/١٧.
(3) ينظر: القصص القرآنية:٦٤/٢-٦٥.
(4) ينظر: الحجاج والمغالطة:١٩.
(5) ينظر: الآخر في القرآن، غالب حسن الشابندر، مركز دراسات فلسفة الدين/بغداد،٢٠٠٥: ٦٠-٦١.
(6) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:٢٧٢/٢-٢٧٣.

فتهمة فرعون وهامان وقارون موسى–عليه السلام–بالسحر، لما ظهر على يديه من المعجزات من قلب العصا، وظهور النور الساطع وغيرها [1] شابهتها تهمة الكافرين من أهل مكة للرسول محمد –صلى الله عليه وآله وسلم– بحجة شخصية في قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ [2]، فيأتي الإنكار الأول بتعجبهم من إرسال رجل منهم، وليس من الملائكة، وتجاوزوا مرحلة التعجب باتّهام الرسول بالسحر والكذب[3]، فهي حجّة شخصية بعد أن سمعوا دعوته لتوحيد الله سبحانه وتعالى، ثم يأتي بعد المغالطة جوابهم باستفهام استلزم التعجب والإنكار[4] في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [5]، الذي يقتضي المقام أنه دعاهم لله الواحد ونهاهم عن الإشراك به، فلم يكن لهم حجّة إلّا المغالطة يراد بها دحض حجة النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– بالطعن في شخصه باتهامه بالكذب والسحر، بالإشارية (هذا) الذي استعمل هنا للتحقير[6]؛ زيادة على الاتهام للحطِّ من شخص النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– وقد تكفَّل الملأ من الكافرين في هذا الحوار، فالسبب الأول الذي يدعوهم للإنكار والمغالطة خوفهم على زوال سلطتهم.

وقد يُخلَص إلى نتيجة في هذا المقام أنّ هولاء قد أحسّوا أن مصالحهم غير المشروعة في خطر، فكانوا يريدون أن يختار الله أحدهم للنبوة غير محمد–صلى الله عليه وآله وسلم–الفقير اليتيم، ففيهم من أصحاب الثروة والجاه[7]، فقولهم: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [8]، الاستفهام كذلك يستلزم الإنكار، فالسبب الأول للكفر الذي يدعوهم للمغالطة ليس سبباً فكرياً مبنياً على حجة صحيحة، بل صراع سلطوي بواعثه الهيمنة والمصالح الشخصية.

واجه النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–من الكافرين من قومه المغالطة نفسها باتهام تكرر كثيراً في خطابهم وهو اتهامه بالسحر في قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ

(1) ينظر: البحر المحيط:٤٤٠/٧.
(2)سورة ص :٤ .
(3) ينظر: الأمثل:٣٣٠/١٤.
(4) ينظر: التحرير والتنوير:٢١٠/٢٣.
(5) سورة ص:٥.
(6) ينظر: التحرير والتنوير:٢٠٩/٢٣.
(7) ينظر: الأمثل:٣٣٤/١٤.
(8) سورة ص:٨.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ﴾ [1]، فيقتضي المقام أنّهم سمعوا حجّته بعدما جاءه التوجيه بإنذارهم﴿أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾، أي فأنذرهم، فحذف المُنذَر –كما يقول ابن عاشور– للتهويل؛ لأنّه يُعلَم حاصله[2]، فجاء جوابهم بمغالطة، فهم لم يجيبوا على حجّته، بل اتهموه بالسحر؛ لأنهم لم يمتلكوا الجواب المقنع مقابل إعجاز كلامه، فلم يكن لهم سبيلاً إلّا اتهامه بالسحر؛ لإبقاء البسطاء تحت سيطرتهم ولئلا على الواقع [3]، وهذا هو الدور الإقناعي الذي اضطلعت به المغالطة .

ويُلحظ أنّ اتهام الرسول بالسحر مغالطة صيغت في ملفوظهم بتوكيدين(إنّ واللام)، فهي استراتيجية اعتمدت في أكثر من مقام عند الكافرين زيادة في طاقة الفعل الكلامي الحجاجية وتقوية إنجازيته، والتعبير بالإشارية (هذا) لتصغير مقام النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– والتقليل من أهميته [4]، و يُلحظ حجاجية الوصف﴿مُّبِينٌ﴾ وهو اسم فاعل بمعنى (بان)، أي ظهر وهو تلفيق وبهتان؛ لأنه ليس بواضح [5] الذي هو صفة للسحر التي تمثِّل حجة للمُرسِل في خطابه، بإطلاقه هذا الوصف في سبيل الإقناع [6]، وهذه أدوات لغوية تم توظيفها لزيادة قوة الحجة وتعديل إنجازية الفعل الكلامي، ثمَّ تقويته الإقناع، وكلّها تصبُّ في صالح المغالطة وليس حجة مقابل حجة الرسول–صلى الله عليه وآله وسلم–فهي أيضاً بمثابة أدلّة لحمل الناس لتصديق المغالطة، فضلا عن اتهامه بالسحر والكذب هناك حجّة شخصية أخرى أطلقها الكافرون في سبيل القدح الشخصي وهي (الجنون)؛ لصرف الناس عن الدعوة إلى التوحيد في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴾ [7]، فقوله تعالى: ﴿جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ﴾ يقتضي أنَّ الرسول–صلى الله عليه وآله وسلم–بيّن لهم مناهج الحق بإظهار آيات ظاهرة و معجزات

(1) سورة يونس: ٢.
(2) ينظر: التحرير والتنوير:٨٥/١١.
(3) ينظر: الأمثل:٢٠٢/٦.
(4) ينظر: المرجع نفسه: الصفحة نفسها.
(5) ينظر التحرير والتنوير:٨٦/١١.
(6) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٢٦٩/٢.
(7) سورة الدخان:١٣-١٤.

تخرُّ لها الجبال فتولوا عنه، ثم بعد ذلك اتهموه بأنه (مُعلَّم)، و(مجنون)[١]، فتوجّهوا إليه شخصياً من دون مناقشة حجّته؛ لأنَّ هذه المغالطة تكون بطريقة يتوجه فيها المُرسِل إلى المُرسَل إليه دون استحضار حجته، أو يستعين بالحجة ليهاجمه، فيدّعي أن الربط بين الحجة والشخص قائم[٢]، وهذا ما نجده في الوصف الأول(مُعلَّم)، فالحجّة ليست مستندة إلى دليل قوي وإنّما مأخوذة من أخبار وحكايات من رجل غير عربي، وأن الوصفين (مُعلَّم(*)، مجنون) من الأوصاف الحجاجية المستعملة[٣]، فضلاً عن استعمالهما في المغالطة للتهجُّم والقدح الشخصي؛ لإبطال حجة النبي– صلى الله عليه وآله وسلم–وهذه المغالطات استعملها الكافرون كثيراً مع أنبيائهم، فقال تعالى تسلية للنبي: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾[٤]، فهم كانوا لا يجدون جواباً منطقياً لمعاجز الأنبياء الباهرة [٥]، إلّا الحجّة الشخصية للقدح، والتهجُّم بأسلوب تعسُّفي فيستعملون أنبازاً معينة للوصف وهو النوع الأكثر حضوراً في هذه المغالطة، الذي يُسمّى(القدح الشخصيAd hominem –abusive)[٦]، و للتنصيص على إرادة العموم زيدت (مِنْ) هنا، أي أن كلّ رسول قال فيه فريق من قومه : ساحر، أو مجنون، وهذا العموم يفيد أنه لم يخلُ قوم من الأقوام إلّا قالوا لرسولهم أحد القولين، أو كليهما معاً، و القصر المستفاد من الاستثناء قصر ادعائي؛ لأنَّ للأمم أقوالاً غير ذلك وأحوالاً أخرى، وقد قُصِروا على هذا اهتماماً بذكر هذه الحالة العجيبة من البهتان [٧] .

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم :٦١/٨.
(٢) ينظر: المغالطات في الخطاب اليومي مقاربة تداولية، حسن الباهي، ضمن التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب،ط/١ ٢٠١١: ٤١١.
(*) كانوا يقولون إن غلاماً رومياً سمع قصص الأنبياء وأخبارهم يعلمه إياها وهذه الآيات من اختراعه وإملائه، وقد ردَّ القرآن الكريم هذه التهمة ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ﴾النحل:١٠٣. ينظر:الأمثل:٩٤/١٦.
(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:٢٧٣/٢.
(٤) سورة الذاريات:٥٢.
(٥) ينظر: الأمثل:٩٧/١٧.
(٦) ينظر: المغالطات المنطقية:٧١.
(٧) ينظر: التحرير والتنوير:٢١/٢٧-٢٢.

٢- ما جرى به العمل(الاحتكام إلى التقاليد)(Appeal to Common Practice):

يلجأ المغالط إلى طرائق منها الاستعانة بالتقاليد والعادات والعُرف التي تمثّل مرجعيات أساسية للمدافعين عن التراث والأصالة، فتكون حجة المغالط (يجب أن نسير على خطى آبائنا وأجدادنا)، أو (جرت العادة أن نقوم بذلك)، فبما أنّ العادة دأبت أن نقوم بأمر فهو الأحسن والأفضل، وأن تركه هو فقدان للهوية [١]، فهذا الوجه وجه نظري سيء، إذ ليس من المشروع أن يكون الدليل على بطلان قول من الأقوال هو مجرد مخالفته للجماعة [٢]، فهي((آلية مغالطة أساسها باطل، إذ ما الذي يضمن أن يكون هذا العمل مشروعاً وإنْ كثُر العاملون به، فكم من الأعمال الواضحة البطلان مع أنّ أهلها لا يحصيهم عدد)) [٣] ، فكثرة العاملين لا عبرة بها في مجال الحِجاج العاقل، وقد شاعت هذه المغالطات في المجتمعات قديماً، ولاسيّما التقليدية منها كالمجتمع العربي حرصاً منهم على الحفاظ على التقاليد القبلية والعشيرة والعائلة [٤] .

وقد لجأ الكافرون لهذه المغالطة للإعراض عن دعوات الأنبياء متكئين على عقائد آبائهم وأجدادهم ليغالطوا بها فجعلوها حجّة لصحة عقائدهم، فهم يتعكزون على حجّة فاسدة وهي ماجرت عليه عادة الآباء والأجداد، منها حوار الكافرين من قوم هود-عليه السلام-الذين لم يكن لهم دليل إلّا التقليد الأعمى لما كان عليه الآباء في قوله تعالى : ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [٥]، فبطلان الحجّة واضح، إذ لا يمكن أن يكون ما جرت به العادة هو الأحسن والأفضل، فالكافرون هنا يريدون إقناع النبي هود-عليه السلام-أنّ التفريط في الماضي ضياع لحقوقهم أيضاً، فآباؤهم مفخرة من مفاخرهم، فهو تعلُّق منهم بتقليد الآباء [٦]، ولأجل قطع الأمل عند هود-عليه السلام- فيهم تماماً قالوا كلمتهم الأخيرة بإنكار الإيمان في تحدٍ منهم [٧] ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

---

(١) ينظر: المغالطات في الخطاب اليومي :مقاربة تداولية(بحث): ٤١٣.
(٢)ينظر:من منطق مدرسة بور رويال في سوء النظر والتناظر ووجوه الغلط والتغليط، د.حمو النقاري، ضمن كتاب التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق حمو النقاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، ط/١ ، ٢٠٠٦ :١٧٦ .
(٣) الحجاج والمغالطة: ٥٩.
(٤) ينظر: المرجع نفسه : الصفحة نفسها.
(٥) سورة الأعراف:٧٠.
(٦) ينظر: الميزان:١٨٢/٨.
(٧) ينظر: الأمثل:٦٦/٥

وقد واجه النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– قومُه بالحجة الباطلة نفسها في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ [1]، فيأتي هنا الأمر التوجيهي من الرسول–صلى الله عليه وآله وسلم– باتباع ما أراد الله تعالى، فيقفون بوجه الدعوة إلى اتباع ما أنزل الله تعالى بحجّة مغلوطة وهي اتباع سنة الآباء، وتأتي (بل) لإضراب الإبطال، أي أضربوا عن قول الرسول–صلى الله عليه وآله وسلم–من دون حجة [2] سوى تلك الحجّة التي احتكموا فيها إلى تقاليد الآباء وهي من دون شكّ حجة باطلة.

وفي السياق نفسه يقدِّمون الحجّة نفسها في قوله تعالى: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ [3]، مع ذلك يظنون أنّهم مهتدون بهذا التقليد في حين لا يمكن التقليد في المسائل العقائدية الأساسية التي يقوم عليها البناء الفكري[4]، بسبب هيمنة مجموعة القيم التي يدافع عنها المجتمع ومنها مفهوم الأصالة والتبعية والأنا والآخر في مواجهة أي تحدٍّ حديث [5] .

لا يخلو هذا التقليد من مظهر سلطوي، فتتقوى هذه الاتباعية بعاملين اثنين: الأول مفعول العصبة الذي يدفعهم لمسايرة الأغلبية فيما درجت عليه، والآخر مفعول السلطة الذي يتمثل في إضفاء طابع خاص على هذه الأغلبية، وهو مقام أبوي تُستدعى قوته التحفيزية ذات السطوة البالغة في نفوس أغلب الناس الذين يميلون إلى تقديس الآباء والأسلاف[6]، وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم صراحة بأنَّ هذه الحجة إنّما تأتي من المترفين وهم أكابر القوم، وأهل النعمة وتشمل الملوك والأثرياء والجبابرة، فكأنما هم المتصدّون لمحاربة الأنبياء بهذه الحجة [7]، خوفاً على زوال تلك السلطة، فالغاية من هذا النوع من الحجاج تكون فردية دائماً ونفعية [8].

---

(1) سورة البقرة:١٧٠.
(2) ينظر: التحرير والتنوير:١٠٦/٢.
(3) سورة الزخرف:٢٢.
(4) ينظر: الأمثل:٢٥/١٦.
(5) ينظر: دائرة الحوار ومزالق العنف كشف أساليب الإعنات والمغالطة مساهمة في تخليق الخطاب، د.محمد العمري، إفريقيا الشرق، ٢٠٠٢ :٧٥-٧٦.
(6) ينظر: الحجاج والمغالطة :٦٠ .
(7) ينظر: الأمثل:٢٦/١٦.
(8) ينظر:بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، د.عبدالعالي قادا، كنوز المعرفة، ط/١ ، ٢٠١٦ :٤٥.

ولعلّ هذه الحجة الباطلة أصبحت نهجاً دأبوا عليه في الإعراض عن كلّ دعوة توجّه إليهم للدعوة إلى التوحيد ، فأشار القرآن الكريم لها في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾[1]، أي أنَّ التمسُّك بحجة التقليد ليس مما يختصُّ بهولاء فحسب، بل دأب أسلافهم عليه من الكافرين أيضاً [2]، حتى أصبحت الحجّة حجّة المغلوطة صحيحة عندهم في كلّ زمان، فهي تكفيهم للرد على أية حجّة، وآلية للإقناع و للتأثير على أتباعهم.

فاكتفى الكافرون من أهل مكة بآبائهم حجّة في مواجهة الدعوة إلى التوحيد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [3]، فهم لا يستحسنون الدخول في مغامرة تجريبية لحالة جديدة، بل يفضلون البقاء على ما هم عليه موهمين أنفسهم أنّه حق تارة بالإشارة إلى سلفيته، وتارة إلى جمعيته من دون الأخذ بمعقوليته غالباً [4] ، فهم يغلقون باب الحوار والنقد الذي يتعين على كلِّ طرف من أطراف الحوار الالتزام به بفرض قيود على الآراء التي تتقلد أو تنتقد في سياق المناظرة، وهذا يفيد أنّ بعض الآراء محظور الخوض فيها بوصفها مقدّسة فهي في غنى عن النقد [5].

ويظهر هذا في هذه المغالطة في تفاخرهم بالآباء والأجداد حدّ التقديس الأعمى واتباع أفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم [6]، وتبدو هذه المغالطة أنّها بنيت على مقدمات فاسدة فنتائجها فاسدة أيضاً بقصد الإقناع بصحة عقيدتهم وأفكارهم، وتتوضح كالآتي:

-الآباء والأجداد مهتدون (مقدمة فاسدة).

-نتبع ما يعبد آباؤنا (المغالطة).

-نحن مهتدون (نتيجة فاسدة مضمرة).

([1])سورة الزخرف:٢٣ .

([2])ينظر: الميزان في تفسير القرآن:٩٤/١٨ .

([3]) سورة المائدة:١٠٤.

([4]) ينظر: الحجاج والمغالطة:٦٠.

([5]) ينظر: السفسطات من منظور تداولي جدلي ، فان إيمرن وروب غروتندورست، تر/ رشيد الراضي، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقات في البلاغة الجديدة، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب، ط/١ ، ٢٠١٠ ، :٤٢٧/٢

([6]) ينظر: الأمثل :١٢٠/٤.

٣-مغالطة السخرية(Ridicule):

السخرية نوع من الحجاج لمن يتجنب المناظرة الجادّة [١]، فـ((في هذه السفسطة عوض التدليل بالحجاج القويم يتمُّ اللجوء إلى أسلوب السخرية والاستهزاء)) [٢]، ويكثر هذا الأسلوب في المحاورات وعلى كثرة وروده فهو باطل؛ لأنّ السخرية بأفكار الآخرين لا يعني أن هذه الأفكار باطلة، وصورة هذه المغالطة(زيد يسخر من الفكرة ، إذن الفكرة كاذبة) [٣]، وتقوم على تحقير الخصم واتّهامه بما يسيء إلى شخصه والتشكيك في كلامه [٤]، أمّا القيمة الحِجاجية للسخرية فتتراوح بين تجاوز المألوف والتظاهر بين المواجهة والمواراة بين الهزل والجد، وامتلاكها ملامح متناقضة يفسِّره عاملان: أولهما تأصّلها في مجال التبادلات الاجتماعية المرتبطة بالخدع التخاطبية، والآخر تعبير الساخر تزامنياً عن الرفض والتوق إلى عالم بديل، ليخلق عالما إنموذجاً موازياً للشيء المرفوض[٥].

وقد اعتمدها الكافرون في خطابهم لتكذيب دعوة الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[٦]، بعد دعوتهم إلى الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[٧]، فقد نسبوا فعلهم إلى الله من الشرك وتحريم ما أحلّ استهزاء منهم وتكذيبهم الرسول[٨]، فلو قالوه عن اعتقاد لكانوا مؤمنين، لكنَّهم قالوه استهزاءً [٩]، فالسخرية لا تقوم على دليل منطقي إلّا أنها حجّة باطلة وآلية إقناعية يراد بها إبطال دعوة الخصم بالتشويش على رأيه بالأساليب المشاغبة من أمثلتها الاستهزاء والسخرية [١٠]، كذلك أرادوا الادّعاء بأنَّ كفرهم من عبادة

(١) ينظر: النظرية الحجاجية ، محمد طرّوس:٣٩.
(٢)ينظر: الحجاج والمغالطة:٣٠.
(٣) ينظر: الحجاج والمغالطة:٣٠.
(٤) ينظر: المغالطات في ردود منكري الرسالات ، أيمن أبو مصطفى، سياقات اللغة والدراسات البينية، مج/٢ ، العدد/٥ ،٢٠١٧: ١٣٨.
(٥) ينظر: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، أمينة الدهري، المدارس، ط/١ :٣٤.
(٦) سورة النحل:٣٥.
(٧) سورة النحل:٣٦.
(٨)ينظر: الكشاف: ٤٣٤/٣ .
(٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن:٣٢١/١٢.
(١٠) ينظر: الحجاج والمغالطة:٣٠.

الأصنام وتحليل ما حرّم الله هو نتيجة؛ لأنّهم عملوا على وفق رضا الله تعالى وبإذنه [١]، وهذه مغالطة بحد ذاتها.

فقد استبعدوا العلّة الحقيقية في سبب كفرهم وعدّوا عملهم على وفق رضا الله وهي تعود (للعلية)، أي عندما يستنتج المغالط أنّ شيئاً ما علة لشيء آخر في حين أن الأمر يعود لأسباب، منها أنْ يتبع شيئاً ما لشيء آخر فيعدّه علة في حين قد يكون معلولاً لعلة ثالثة [٢] التي هي الحقيقية المستبعدة وهو التكبُّر والعناد وحب السلطة ...إلى غير ذلك وتتوضح صورة هذه المغالطة على النحو الآتي:

-الرُسلُ: اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.

-الكافرون: يسخرون من الدعوة الإسلامية.

-إذن الدعوة الإسلامية غير صحيحة.

٤-الاحتكام إلى السلطة (Ad verecundiam appeal to authority):

يُحتَكم إلى السلطة عندما يكون الاعتقاد بصدق القضية التي لا سند لها إلا سلطة قائلها، إذ((يقع المرء في مغالطة الاحتكام إلى سلطة عندما يعتقد بصدق قضية أو فكرة لا سند لها إلّا سلطة قائلها))[٣]، وتكمن المغالطة عندما تكون السلطة بديلاً عن البينة، أو اتخاذها بينة من دون البينة [٤]، وهذا ما يجعلها على نقيض من الموضوعية العلمية التي تقتضي اعتمادها على الأدلة العلمية التي تكون قابلة للإدراك والفهم، فالموضوعية تتنافى مع الركون إلى السلطة [٥]، ويرى سلمون(salmon) أن الاستناد إلى السلطة يجعل الحجّة غير سليمة استنباطياً، فقد تكون المقدمات صحيحة والنتيجة خاطئة، فالسلطة أيّاً كانت ليست معصومة [٦].

(١) ينظر: الأمثل:١٣٤/٨.
(٢) ينظر: المغالطات في الخطاب اليومي مقاربة تداولية:٤٠٥.
(٣)المغالطات المنطقية :٨٥.
(٤) ينظر: المصدر نفسه : الصفحة نفسها.
(٥) ينظر: الأساليب المغالطية مدخلاً في نقد الحجاج(بحث):٤٢٢.
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٤٢٦.

وقد استثمر فرعون هذه المغالطة ليثبت ألوهيته محتكماً لسلطته وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [1]، فجاء ملفوظه بعد جمع الناس مباشرة؛ ((لأن فرعون بذل حرصه ليقنع رعيته بأنّه هو الربّ الأعلى خشية شيوع دعوة موسى لعبادة الربّ الحقّ))[2] ، وهنا لم يقدِّم دليلاً على صحة ادّعائه سوى التجبُّر والغرور والأنانية المفرطة دفعه إلى هذه المغالطة [3]، وكلّ ذلك يتمثل في السلطة، مع أنّ الاحتكام إلى السلطة ينبغي أن يكون الرأي قائماً على دليل حتى تكون الحجّة سليمة [4]، وأنّى له الدليل وقد أظهرت معجزات موسى–عليه السلام– خزية فيدل ذلك على إنه كان في موقف صار فيه كالمعتوه لايدري ماذا يقول[5]، لذلك لجأ لمغالطة السلطة؛ بوصفه ربّهم كما يدّعي وصاحب السلطة العليا في البلاد، فارتكز على هذه الركائز للبرهنة على كذب ادعاء موسى–عليه السلام–وهنا تكمن المغالطة، فليس حجة السلطة دائما تكون صحيحة، فهنا تصبح تضليلاً، ومن نتائج هذه المغالطة نستدل على مقدماتها التي تتمثل بما يأتي:

–ما تقوله السلطة حجّة.

–سلطة فرعون موثوق بها.

–فرعون يقول: (أنا ربكم الأعلى).

–إذن فرعون رب (نتيجة) .

٥–المحاجّة الجماهيرية (Argumentum populum):

غاية ما يسعى إليه المُرسل(المُغالِط) تحقيق اقتناع الجمهور بفكرة معينة، فينجز كلامه لهذه الغاية، فعندما يستجيب الجمهور لتلك الفكرة يتحقق الهدف من المحاجّة، وتتحقق هذ المحاجّة في الخطاب السياسي والاقتصادي والتجاري الإشهاري، أمّا المغالطة فيها فهي اتجاهها إلى جمهور مُعيَّن يُراد حمله على فكرة معينة، فالمتكلم لا يعنيه أن يبني حجّته البناء الذي يمكن أن يصل به إلى حقيقة موضوعية على أساس مقدمات صحيحة فاهتمامه منصب على اعتناق الجمهور لفكرته والتحمّس لها، فخصيصة

(١) سورة النازعات: ٢٣-٢٤.
(٢) التحرير والتنوير:٧٩/٣٠.
(٣) ينظر: الأمثل:٢٨٠/١٩.
(٤) ينظر:بلاغة الإقناع في المناظرة:١٨٧.
(٥) ينظر: مفاتيح الغيب:٤٣/٣١.

هذه المغالطة قريبة إلى حجّة وجه ذاتad hominem وهو الجانب الذاتي الانفعالي[١]، إذ ((تتضمن هذه المغالطة الاحتكام إلى الناس بدلاً من العقل(أو على حساب العقل) ومحاولة انتزاع التصديق على فكرة معينة بإثارة مشاعر الحشود وعواطفهم بدلاً من تقديم حجة منطقية صائبة)) [٢].

وهنا نقف على مقام تخاطبي عند فرعون في حواره مع قومه موظّفاً هذه المغالطة للتأثير والإقناع في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[٣] مقارناً بينه وبين موسى–عليه السلام– عند عرضه هذه القيم؛ ليبدو متفوقاً ويجعل لنفسه المكانة السامية والشأن الرفيع بإثارة مشاعر الناس، فجعل المال والجاه والمقام هي معايير الإنسانية كعَبَدة الأصنام في الجاهلية في موقفهم مع النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–[٤]، فقد جعلوا المال أيضاً مقياساً للنبوة والسلطة .

والحِجاج الجماهيري خاصّة، والحجاج المغالط بصفة عامة لا يتقيد بالعلاقة المنطقية المجردة، بل بما يلامس مشاعر المخاطبين وتطلعاتهم، إذ لو سلك المتكلم غير هذا السبيل ما كان ليحقّق ما يريده[٥]، إذ يسعى المُحاجج على تمرير مواقفه بإثارة المشاعر والأحاسيس انطلاقاً من الاستحسان والاستقباح، كما يستغل الظرف الذي يمرُّ به متلقيه [٦] ، لذلك لجأ إلى القيم التي كانت حاكمة في ذلك العصر.

وهنا نقف كذلك على مغالطة الحسد والغيرة، فليس من طبيعة الإنسان أنْ يكون محبّاً لذاته فحسب، بل يكون حاسداً وغيوراً أيضاً، فلا يقبل فضيلة غيره عليه إلّا على مضض، فيرغب أنْ تكون الفضائل كلها له وحده، ورغبة دفينة في حسد الآخرين فيما يقع لهم من اختصاص، وهذا ما يفسِّر تعنت الآخرين من دون وجه حقّ [٧] ، وهذا ما حمل فرعون إلى مبارزة موسى–عليه السلام– والمباهلة معه فضلاً عن حفاظه على سلطته.

---

(١)ينظر: الأساليب المغالطية مدخلاً في نقد الحجاج(بحث منشور):٤٢٩-٤٣٠.
(٢) المغالطات المنطقية:٩٨.
(٣) سورة الزخرف:٥١-٥٢.
(٤) ينظر: الأمثل:٥١/١٦.
(٥) ينظر: عندما نتواصل نغير:.١٦٨
(٦) ينظر:الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة لابن قتيبة(أطروحة):٤٦٨.
(٧) ينظر: من منطق مدرسة بور رويال: في سوء النظر والتناظر ووجوه الغلط والتغليط فيهما، د.حمو النقاري، ضمن، التحاجج طبيعته وجالالته ووظائفهن تنسيق حمو النقاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط/١، ٢٠٠٦ :١٧٧-١٧٨.

ومن أسباب لجوئه إلى هذه المغالطة مخافة أنْ يؤمنوا بربِّ موسى بعد أن كشف عنهم العذاب منادياً في مجمعهم[١] بخطاب إشهاري أراد منه حملهم على ترك الإيمان بموسى–عليه السلام–وقد تمَّ له ما أراد، أي حملهم على الإقتناع بقوله وكيده وغروره، فأطاعوه فيما أمرهم به بخفة أحلامهم وعقولهم[٢] ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ [٣]، فاقتناع الجمهور في هذه المغالطة أكسبه الشرعية بأنه أحقُّ من موسى–عليه السلام–بالطاعة والانصياع، وصورة هذه الحجة الباطلة كالآتي:

–فرعون صاحب ملك ومال وأنهار وسلطة.

–الجمهور المال والأنهار حجة لطاعة من يمتلكها.

النتيجة المضمرة:

–إذن حجة فرعون صحيحة وهو أحقُّ بالربوبية.

يُلحظ أنّ هذه الحجة غير مقبولة منطقياً، فالمحاجّة من ناحية الاستدلال هي فشل استدلالي، ومن ناحية أخرى أنّ من الغرابة أنْ يحدث هذا الضرب من الحِجاج، فهي محاجّة فيها جانب من الفجاجة من حيث وضوح البعد المغالطي تجعل من الصعب أن تغالط وتقنع، إذ تنطلق من اقتناع بالرتابة، فهي محاجّة بالرتابة Argumentation par la banalite[٤]، فهي من دون ريب تفصح عن الأسلوب الفرعوني في استخفاف العقول، أمّا القوم فلو لم يكونوا فاسقين متمردين على طاعة الله لما استطاع فرعون أن يحرز تلك الحاكمية على عقولهم فهم أعانوه باتباعهم الأعمى [٥]، على الرغم من ضعف الحجة في المغالطة والإقناع، وهذا يدعونا إلى التسليم بأنّ السلطة هي المؤثر الرئيس في الخطاب، التي تأخذ بالعقول إلى الإذعان والخضوع.

٦–مغالطة المحاجّة بالتجهيل(Ad ignoratiam lArgumentrtion Parllgnorance):

يقوم هذا النوع من المغالطة على إفحام المُخاطَب وتعجيزه عن الادلاء بما ينفي الحجّة فتتأسس الحجة من قاعدة مفادها إذا لم تنفِ حجتي فحجتي صحيحة، وقد عدَّ هذه النوع من الحجاج مغالطاً من

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم :٥٠/٨.
(٢) ينظر: فتح القدير، الشوكاني:٥٦٠/٤.
(٣) سورة الزخرف: ٥٤.
(٤) ينظر:الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج(بحث):٤٣٢.
(٥) ينظر: الأمثل:٥٤/١٦.

التصور المنطقي لها وهو إذا لم يوجد دليل ضد الفرضية (ف) إذن فرضية (ف) صحيحة [١]، ((وتفيد مغالطة الاحتكام إلى الجهل ad ignoration أنّ شيئاً ما هو حقّق بالضرورة ما دام أحدٌ لم يبرهن على أنّه باطل، والعكس أيضاً صحيح)) [٢]، فهي حجج لا تقدّم دليلاً حقيقياً، بل أنّها تستغل غياب أدلة مضادة لتصل إلى نتيجة عريضة لا تقوم على هذا الصنف من البينة الذي يتوجب التماسه لكي تحظى مثل هذه النتيجة بالقبول [٣].

ولعلّ الاستراتيجية الإقناعية عند الكافرين تتوافر على هذا النوع من المغالطة لإنكار قضية البعث، ونفي حياة أخرى للإنسان بعد موته في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[٤]، فهم لم يعارضوا الحجة بما يبطلها، بل يهرعون إلى المباهتة فيقولون: إن كان البعث حقاً فاتوا بآبائنا إن صدقتم [٥]، فهي حجة باطلة احتكموا فيها إلى الجهل قصد إفحام المسلمين للإدلاء بما ينفي حجتهم، فهم لم يقدّموا دليلاً حقيقياً بغياب الدليل المضاد لبطلان دعوتهم، فلما أنكروا البعث وكذّبوا الرسل وحسبوا قولهم قول مبكت ألزموا ما هم مقرون به من أن الله هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم إلى ذلك الإلزام إلزاماً واجب الإقرار وهو الإنصات والإصغاء [٦] جاء الجواب لقولهم ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) [٧]، فهي من دون شكّ حجّة احتج بها النبي-صلى الله عليه وآله وسلم-بالإحياء في دار الدنيا؛ لأن من قدر على فعل الحياة قدر على فعلها في كلّ وقت [٨]، لكنّهم غير متأملين لهذه الدلائل، ولا مدقّقين النظر فيها [٩] ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾؛ وهو الأمر الذي جعلهم يغالطون بحجة بعث آبائهم، فهم لا يعتقدون بالله واليوم الآخر، فيكون البناء المنطقي لهذه الحجة :

-المؤمنون: الإيمان بالبعث والحساب.

---

(١)ينظر:الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج(بحث):٤٣٣-٤٣٤.
(٢) المغالطات المنطقية:٢٣٩.
(٣) ينظر: المصدر نفسه:٢٤٢.
(٤) سورة الجاثية:٢٥.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير:٣٦٣/٢٥.
(٦) ينظر: الكشاف:٤٨٨/٥.
(٧)سورة الجاثية:٢٦ .
(٨) ينظر: مجمع البيان :١٠٢/٩ .
(٩) الأمثل:١٦٢/١٦.

-الكافرون: إذا كانت هناك حياة أخرى أحيوا آباءنا.
- إذا لم تحيوهم، إذاً ليس هناك حياة أخرى.

يُلحظ أنّ الكافرين وظّفوا هذه المغالطة للتأثير والإقناع بإنكار قضية بعث الإنسان بحجة فاسدة وهي إحياء آبائهم، لكنَّهم أيضاً ارتكبوا مغالطة أخرى التي تُسمّى عند المناطقة ومنظري الحِجاج (عبء التدليلBurden of Proof)[1]؛ لأنهم لم يدافعوا عن حجتهم، أي لم يتحملوا مسؤولية التدليل على حجّتهم التي يعرضونها وهي إحياء موتاهم بعدما عرضت عليهم حجة خلق الإنسان في النشأة الأولى، فهو دليل لبطلان حجتهم التي ليس في مضمونها بحثاً عن حقيقة وإنّما هو عناد ومكابرة.

٧-مغالطة النتيجة غير المباشرة(in dircat result):

يلجأ المغالط عادةً إلى النتائج غير المباشرة، فـ ((عوض عن اللجوء إلى النتائج المباشرة لقول أو سلوك ما نلجأ إلى إثارة النتائج غير المباشرة التي يكون وقعها أشدّ على المخاطب)) [2] ، فيلجأ المُغالِط إلى إخفاء النتائج المباشرة، ليستعين بنتائج غير مباشرة، أو بأسباب بعيدة ومن أمثلتها:

-نبّهت خالداً أن عليه الإقلاع عن التدخين؛ لكونه يترك رائحة كريهة بالغرفة.
-نبّهت خالداً أن عليه أن يقلع عن التدخين؛ لكونه يسبب مرض السرطان.

فالذي ينتج عن الإقلاع عن التدخين هي النتيجة المباشرة التي تتعلق بالرائحة، في حين تكون نتائج الحجة الثانية أكثر خطورة، وفي مثل هذه الحالة لجأ المُغالِط إلى إخفاء النتائج المباشرة، التي يكون مفعولها مباشراً، ليستعين بنتائج غير مباشرة، أو أسباب بعيدة كالقول: غرق خالد في البحر؛ لأنه لم يتعلم السباحة صغيراً، فهنا لم يستدعِ السبب المباشر المتعلق بالغرق مباشرة باللجوء إلى أسباب بعيدة[3].

ومن أمثلة هذه المغالطة نجدها عند أهل مكة عندما اعتذروا عن الإيمان في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَ لَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن

(1) ينظر: الحجاج والمغالطة:٣٦.
(2)المغالطات في الخطاب اليومي : مقاربة تداولية(بحث):٣٩٢.
(3)ينظر: المرجع نفسه: الصفحة نفسها .

لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [1]، فهنا يغالطون بالأسباب غير المباشرة بأنّ منعهم من اتباع الهدى هو خوفهم من العرب أنْ يطردوهم من أرضهم، في حين أخفوا السبب المباشر في عدم إيمان فريق منهم: ((ممن غلبه الحياء على أن يكابر ويجاهر بالتكذيب، وغلبه إلف ما هو عليه من حال الكفر على الاعتراف بالحق))[2]، وقد بيَّن سبحانه وتعالى كذبهم ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا﴾ فإنَّ الأرض التي تخافون أن يتخطفكم الناس فيها جعلناها آمنة لا خوف فيها، فالعرب يحترمون الحرم وما كانوا يتعرضون لسكّانه، فاحتجَّ تعالى بما هو أقوى، فبيَّن كذبهم في أنهم يتخطفون من أرض عرفوا حالها في أنّ ذلك لن يحصل أبداً إن آمنوا أو لم يؤمنوا، فالآية دالّة على صحة الحجاج الذي يتوصل به إلى شبهة المبطلين[3] وهي مغالطة تركِّز على السبب غير المباشر، في حين أن السبب المباشر وهو التكذيب الذي اعتادوه، و رغبتهم في البقاء على حال الكفر .

يُلحظ في هذه المغالطة في تركيز الكافرين على السبب غير المباشر(تخطفهم من أرضهم) هو لغاية إقناعية لدوام بقائهم على الكفر بحجّة استحسنوها ليغالطوا بها؛ لأنَّ الإخراج من الأرض أصعب ما يتعرض له الإنسان، فهي حتماً أكثر إقناعاً من قولهم مثلا: (اعتدنا البقاء على الكفر).

٨-(مغالطة السبب الزائف) (cause non causa pro causa):

إنَّ اطراد أنماط معينة من التصاحب والتصاقب والتجاور أمام العقل البشري، يستل منها علاقات ارتباط تثير فيها عادة التوقع، فتتحول علاقة الارتباط (correlation) إلى سببية (causality)، فكلما ارتبط حدثان في الزمان والمكان كان ذلك دليلاً على أن أحدهما سبب للآخر، فتكمن المغالطة بجعْل الارتباط بين حدثين سبباً للآخر، فوجود علاقة السببية يستلزم الارتباط، بل يستلزم الاطراد الدائم والارتباط الدائم بين نمطين إيجاباً وسلباً أو انتفاء وجود أمثلة مضادة [4]، ((وتقوم هذه السفسطة كما هو واضح من اسمها على القطع بوجود علاقة :(سبب/ نتيجة) انطلاقاً من مجرد التعاقب بين حدثين معينين)) [5] .

(1) سورة القصص:٥٧.
(2)التحرير والتنوير:١٤٨/٢٠ .
(3) ينظر: مفاتيح الغيب:٤/٢٥-٥.
(4) ينظر: المغالطات المنطقية:١٣٥-١٣٦.
(5) الحجاج والمغالطة:٤٣.

ونقف على هذه النوع من المغالطة عند الكافرين من بني إسرائيل عند اعتراضهم على حكم (طالوت) عليهم بعد طلبهم من نبيهم أن يبعث الله لهم ملكاً يقاتلون تحت إمرته﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [1] ، فكان اعتراضهم عليه لأنه لم يؤتَ المال في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [2]، فجعلوا الاطّراد في كون الملك يكون ذا مال سبباً في الحكم والتولّي؛ لأن الحكم عندهم لابدّ من توافر شرطين فيه، الذي صار قاعدة مطّردة عندهم وهما: المال والثروة من جهة، والحسب والنسب من جهة أخرى، فكونه لا يمتلك هذين الشرطين؛ بوصفه لم يكن صاحب ثروة فهو مزارع فقير، ومن قبيلة مغمورة من قبائل بني إسرائيل[3]، فالاطّراد والتصاحب بين الملك والمال أصبحا قاعدة عرفية مُسلَّماً بها، فجعلوهما من باب المغالطة سبباً للحكم.

وما يُلاحظ في ابتداء جوابهم بالاستفهام الذي لا يدلّ في المناظرة إلّا ما ندر على دلالته الحقيقية، بل يؤدي أغراضاً تعكس الطاقة الحجاجية التي ينطوي عليها، فمن أغراضه الاستنكار، فهو يشتغل بشكل مهيمن في المناظرة [4]، وهنا ((هو إنكار لتملُّكه عليهم واستبعاد له))[5]، و يُلحظ كذلك النظرة الاستعلائية في الاستفهام؛ لأنَّ المُرسِل(الملأ) وهم السلطة العليا تعجبوا واستنكروا من جعله ملكاً عليهم كونه فلاحاً من بيت فقير[6] .

وتتجلى صورة السلطة هنا؛ لظهور منافس لهم يريد أن ينتزعها منهم، وهم يمتلكون المؤهلات نفسها، فقد ظنوا أنَّ مَلِكهم سيكون من كبرائهم وقادتهم[7] ، فالكبراء وأصحاب المال والجاه هم من يستحقون أنْ يكونوا ملوكاً، فقد يُخلص إلى نتيجة ضمنية من هذه المغالطة وهي (لا يحق لطالوت أن يكون ملكاً)

(1) سورة البقرة:٢٤٦.
(2) سورة البقرة:٢٤٧.
(3) ينظر: الأمثل:١٥٠/٢.
(4) ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة:٢١٥.
(5) الكشاف:٤٧٢/١.
(6) ينظر: التحرير والتنوير:٤٩٠/٢.
(7) ينظر: المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

عبر مقدمات التي هي أسباب زائفة غير حقيقية لهذه النتيجة لغاية إقناعية تأثيرية للبرهنة على صحة ادعائهم، ويمكن التمثيل لها بما يأتي:

المقدمة: الملك يكون ذا مال.

طالوت ليس ذا مال.

النتيجة المضمرة: طالوت لا يستحق المللك.

نحن أحقُّ بالملك.

الفصل الرابع

إستراتيجيات أخرى

المبحث الأول

الاستراتيجية التضامنية

مفهوم الاستراتيجية التضامنية (Solidarity strategy):

أولاً: إستراتيجيات لغوية:

١ –العلم:

٢ – الإشاريات deixis:

أ – الإشاريات المكانية(spatial deictics):

ب– الإشاريات الزمانية temporal deictics:

ثانياً: إستراتيجيات علائقية:

١/ المشاورة:

٢ / تأنيب الذات ومحاسبة النفس:

المبحث الأول

الاستراتيجية التضامنية

مفهوم الاستراتيجية التضامنية (Solidarity strategy):

تُعدُّ اللغة إحدى وسائل الاتصال لتكوين العلاقات بين الناس، لذلك اعتنى علماء الاجتماع واللسانيات الاجتماعية باللغة المُستعمَلة لإقامة العلاقات الاجتماعية، فقد علّقت الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجيا كثيراً على ظاهرة استعمال اللغة للمُجاملة، وبصفة خاصّة على الاستعمال الجاري للغة عند التمهيد للمحادثات واختتامها، ومن أوضح ما يمُثِّل هذا الجانب أنَّ قدراً كبيراً من المعاملات اليومية بين الناس يقوم على اللغة بوصفها أداة للاتصال بين الأفراد أكثر من قيامه على اللغة بوصفها أداة للتعامل[١]، فللخطاب القدرة على التكوين الاجتماعي فهو يُسهِم في تكوين الابعاد الخاصّة بالبناء الاجتماعي، فهي التي تكوّنه وتقيّده بصورة مباشرة وغير مباشرة[٢]، ولهذا ينبني تحديد استراتيجية الخطاب اجتماعياً تحديداً عامّا على عاملين من حيث علاقة المُرسِل مع غيره[٣]:

-العلاقة السابقة بين المُرسِل والمُرسَل إليه التي تتدرج من الحميمية إلى الانعدام التامّ، فيسعى المُرسِل في تعويضها بإيجادها بالخطاب.

-السلطة، فقد يمتلكها أحد طرفي الخطاب على الطرف الآخر عندما يعلو الآخر درجته، وقد لا يمتلكها أيٌّ منهما عندما تتساوى درجاتهما، أو عندما لا تكون بينهما أيّ علاقة.

فمُستعمِلو اللغة يعبِّرون عن مختلف العلاقات الاجتماعية القائمة بينهم بوسائل وأدوات وصيغ تعبيرية تدلُّ على التضامن أو السلطة أو كليهما، فهما من العوامل المؤثِّرة في عملية الاتصال الاجتماعي المباشر بين الأفراد، ويمكن القول إنّهما يعبِّران عن حاجة الفرد لتحديد رؤيته لطبيعة هذه العلاقات[٤].

وأهمّية هذهِ الاستراتيجية تتمثل بالعلاقة الاجتماعية بين الأفراد، فالمُرسِل ((ليس ذاتاً مجرَّدةً للتبليغ، وإنّما ذاتاً محمولة على التهذيب، أو قلْ لا يرتقي المُبلِّغ مرتقى المُتكلِّم، حتى يكون في قوله مهذَّباً))[٥]،

(١) ينظر: تحليل الخطاب، ج.ب براون ، ج.يول، تر/ محمد لطفي الزليطي، منير التركي، جامعة الملك سعود، ١٩٩٤ :٣.
(٢)ينظر: الخطاب والتغير الاجتماعي، نورمان فيركلف، تر/ محمد عناني، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٥ :٨٧ .
(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية:٧/٢.
(٤) ينظر: علم اللغة الاجتماعي، د.هدسون، تر/ د.محمد عيّاد، عالم الكتب، ط/١، ١٩٩٠: ١٩٧.
(٥) ينظر: اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي:٢٢٣.

فلغة التأدُّب في الجماعات الكلامية لا تهدف غالباً إلى نقل الأفكار، وإنّما هي وسائل لتقوية صلاة الناس بعضهم ببعض [١]، ويُعرَف النزوع إلى صيغ التهذيب التي تؤكد على التقارُب بين المُرسِل والمُرسَل إليه باستراتيجية التآزر أو التضامنSolidarity strategy [٢]، وتُعرَّف الاستراتيجية التضامنية((بأنها الاستراتيجية التي يحاول المُرسِل أن يمثِّل بها علاقته بالمُرسَل إليه ونوعها، وأن يعبِّر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالاً هي محاولة التقرُّب من المُرسَل إليه وتقريبه))[٣]، فإذا كانت العلاقة بين طرفي الخطاب يسيرة، أو لا علاقة بينهما، فإنّ المُرسِل يسعى إلى تأسيسها بالتلفُّظ بالخطاب بالتقرُّب إلى المُرسَل إليه بما يجعله واثقاً بأن المُرسِل يميل إليه ميلاً طبيعياً خالياً من أي منافع وأغراض، وهذا عين التأدُّب في الخطاب، إذ يقتضي أنْ يأتي المتكلم بفعل القول على الوجه الذي يبرز فيه دلالته القريبة ويقوي أسباب الانتفاع، فيولي هذا الضرب من التهذيب أهمّية في التخاطُب لعملية التبادل، إذ إنّ كلّ تبادل بين طرفين يكون مبناه أساساً على سعي كلٍّ منهما لتحقيق أغراض مشتركة، لذا نجد المُرسِل حريصاً على الحفاظ على عُرى التواصُل [٤] .

يختصُّ التضامن بالمسافة الاجتماعية بين الناس، لذا تنظمُّ مجموعة من العناصر ذات البعد الاجتماعي منفردةً أو مجتمعةً عند تجاوزها الغرض التبليغي لتحقيق غرضٍ تضامني في اختيار الاستراتيجية التضامنية[٥]:

١-مدى التشابه والاختلاف الاجتماعي.

٢-مدى تكرار الاتصال.

٣-مدى امتداد المعرفة الشخصية.

٤-درجة التآلف، أو كيفية معرفة طرفية الخطاب لكلّ منهم.

٥-مدى الشعور بتطابق المزاج أو الهدف أو التفكير.

٦-الأثر الإيجابي/ السلبي.

للاستراتيجية التضامنية بواعث لا تخلو من تحقيق المنفعة؛ لأنّها تُعنى بالتعامل الأخلاقي أولاً، مع

(١) ينظر: اللغة والمجتمع رأي ومنهج، د.محمود السعران، الإسكندرية، ط/٢ ، ١٩٦٣ :٢١.
(٢) ينظر: التداولية جورج يولGeorg Yule، تر/قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط/١، ٢٠١٠ :١٠٦.
(٣) استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية:٨/٢.
(٤) ينظر: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي :١٩٤ .
(٥)ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية:١٠/٢.

اهتمامها بتبليغ القصد والتعبير عنه، ومن مسوغات استعمال الاستراتيجية التضامنية[١]:

١-تأسيس الصداقة بين طرفي الخطاب، أو إعادتها إذا تعرّضت للفتور والبرود.

٢-التركيز على حسن العلاقة مع صاحب السلطة؛ لتحقيق الأهداف والمقاصد ونقل العلاقات الطيبة.

٣-تحسين صورة المُرسِل أمام الآخرين، إذا كان معروفاً بالتشدّد، أو التسلط، فيلجأ إلى الاستراتيجية التضامنية لتحسين تلك الصورة.

٤-كسب ولاء الناس من الأهداف التي يسعى المُرسل لتحقيقها؛ لتعزيز ثقة الناس به وجعلهم يؤمنون بقراراته المتّخذة.

٥-تُفضّل الاستراتيجية التضامنية عند الاستعداد لخدمة الآخرين، إذ يعزِّز المُرسِل علاقة الصداقة الحميمية معهم.

تتجسد الاستراتيجية التضامنية بوسائل لغوية تُعدّ مؤشراً دالّاً على التضامن، وأخرى آليات متمثلة بشكل الخطاب الذي ينتجه المُرسِل، ومن هذه الأدوات والآليات التي استعملها الكافرون التي تضمَّنت مفهوم الشرِّ في خطاباتهم:

أولا: الأدوات اللغوية:

١ -العلم:

من الأدوات اللغوية في الاستراتيجية التضامنية (العلم) يستعملها المُرسِل عند ندائه المُرسَل إليه أو الحديث عنه، عند وجود اختلاف في الرتبة بين المُرسِل والمُرسَل إليه إمّا إنه أعلى رتبةً منه وكانت لديه الرغبة في التنازل عن الرتبة أو أدنى وقد لمس رغبة في المُرسَل إليه أو تسامحاً في محو التراتب[٢]، ويُشبِّه فلاسفة اللغة العلَم بالإشاريات من ارتباطه بالسياق الحسِّي، وتختلف علاقة الإشاريات بالسياق عن علاقة اسم العلم به، واختلافه عن الإشاريات هو اختلاف في الأدوات الإحالية وفي الكفايات التي يتوافر عليها المتكلم للإحالة بهذه الأداة أو تلك؛ ذلك أنّ التعيين بالإشاريات يكون إدراكياً، أمّا التعيين بالعلم فهو عمومي، وإنّ المعلومات التي ترافق العبارة الإشارية تكون مترسِّخة ذهنياً بالواقع، أمّا

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية :١٨/٢-١٩.

(٢) ينظر: المرجع نفسه :٢٢/٢.

المعلومات المرافقة لاسم العلم لا تحتاج إلى ذلك، وتسمح الإشاريات للمتكلم أنْ يركِّز الانتباه على إحالة معيّنة من الإشارة إلى الواقع بين الإحالة والسياق [١] ويُلحظ هذه الآلية في خطاب الكافرين ما جاء في حوار قوم صالح–عليه السلام– في قوله تعالى : ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [٢].

افتتح الكافرون كلامهم بالنداء، وفيه إضمار والمُضمر متعلّق (مرجواً)، أي مرجواً للخير وهذا يقتضي إنهم يعدّون ما دعاهم اليه شرّاً [٣]، وإنهم كانوا يرجونه سيّداً من الأكابر في قولهم [٤] ﴿ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا ﴾، فالخطاب خطابٌ تضامنيٌ بما فيه من تقرُّب إلى النبي صالح–عليه السلام– فيعني قولهم ((كنا نرجو منك لما كنا نرى فيك من دلائل السّداد ومخايل الرشاد أن تكون لنا سيداً مستشارا)) [٥] بخطاب مُهذّب أُريد به التبليغ والانتفاع بكونه سيدهم ((فلا تهذيب بغير فتح باب المُستمِع بالفائدة المُبلّغة))[٦] الذي يدخل تحت قاعدة الكرم، وهي إحدى القواعد التي صاغها (ليتش) التي مفادها قلل ربح النفس / أكثر من خسارة النفس[٧]، لذلك بدأ خطابهم بهذه الكيفية لكسب ودّه، وإبداء جانب المنفعة وإخفاء الرفض؛ لأنّ التصريح بالفعل يكون شديد الوطأة على المتكلم لإمكانية رفض طلبه إلا أن يُسبق بحديث يؤسِّس أرضية مشتركة لهذه الاستراتيجية [٨]، لذا تلاه خطاب آخر ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾، الذي فيه إنكار لتلك الدعوة التي تنهاهم عن عبادة ما عبده آباؤهم وإن هذا موجب للريبة والتهمة؛ إذ لم يكن آباؤهم في جهالة وضلالة، وهذا مدعاة للريبة والشكِّ[٩]، الذي بدأ من الخطاب الأول (التضامني) وهو تنازل عن السلطة وأبداء جانب الحميمية لكسب ودّه .

(١) ينظر:الإشاريات مقاربة تداولية، يوسف السيساوي، ضمن التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم د.حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث،ط/١، ٢٠١١ :٤٤٥.
(٢) سورة هود :٦٢.
(٣)ينظر: التحرير والتنوير :١٠٩/١٢-١١٠.
(٤)ينظر: البحر المحيط :٢٣٩/٥.
(٥) إرشاد العقل السليم :٢٢١/٤.
(٦) اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي :٢٢١.
(٧) ينظر: قضايا الخطاب في الفكر اللساني والسيميائي، إعداد وتنسيق د.عبدالسلام إسماعيلي علوي: ١٣٢.
(٨) ينظر: التداولية . جورج يول :١٠٤.
(٩)ينظر: مجمع البيان :٢٣٠/٥.

إنّ اتباع الكافرين هنا الاستراتيجية التضامنية هي محاولة استدراج ظاهره نصيحة وباطنه خبيث بهدف إغرائه بإعادة التفكير بدعوته التي خسَّرته كما يدّعون ما كانوا يتأملون له من دور نافع له ولقومه[١] .

٢ – الإشاريات deixis:

تعدُّ الإشاريات عنصراً من عناصر التداولية ويقصد بها كلّ ما يشير إلى ذات أو إلى زمان أو مكان ممّا ترتبط مع مفهوم المُشير؛ إذ يُفهم عادة من إشارية تعيين مكان الأشخاص وهوياتهم فضلاً عن الاشياء والعمليات والأحداث والأنشطة بالنسبة في السياق الزماني الذي أنشأه وأبقاه عمل التلفُّظ ويتأرجح اللسانيون من ثلاثة تصورات للإشاريات كما بيَّن ذلك (ل. دنون بوالو) [٢]:

–الإشارية بوصفها ردّ الأشياء للعالم أحداثه وإلى الموقع الذي يمثله المتكلم في الزمان والمكان؛ لأنه يمثِّل أمارة لمرجع قد تكون بعد.

–الإشاريات بوصفها نمطاً تركيبياً مرجعياً لا يفصل بين الجهة وحدث المرجع .

–الإشارية بوصفها عاملاً تناسقِاً نصياً(محورة ، تبئير) تُمكّن من إدخال أشياء جديدة في الخطاب.

فهي كلمات وتعبيرات بحاجة إلى سياق يظهر مدلولها، ويبيِّن تفسيرها، ومعرفة ما تحيل إليه، فهي موضوعة للتواصل بين الناس لمعرفة غموضها، ومايستغلق على الفهم منها [٣]، ولها أثرٌ في تحديد الإتجاه أو المكان الذي على المخاطب أنْ يبحث عنه، ويتحدد بالنظر إلى المركز الإشاري (Deictic center) الذي يتضمن المتكلم والمخاطب ومكان التخاطب وزمانه [٤] ، وهي شرط ضروري في تحقق الملفوظ (actualisation)، فالمتكلم الفرد يعمد إلى اللغة وهي المُلك المشاع فيأخذ منها ما به حاجة إليه تعبيراً عن حاجاته وبالتلفظ وحده يصبح الكلام مُلكاً له فتنحسر الأبعاد الجماعية لتحلَّ محلَّها الابعاد الفردية التي تقترن بـ(الآن، وهنا، و الأنا، و الأنت...)هي العناصر الإشارية [٥]، وقد عجزت النظريات

(١) ينظر: القصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف، جعفر السبحاني:١٨٠.
(٢) ينظر : معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، دومينيك منغنو :١٥٦-١٥٧ .
(٣)ينظر: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: ٨٨ .
(٤) ينظر : قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، د.أحمد المتوكل :١٧٠.
(٥) ينظر : نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر زناد، المركز الثقافي العربي بيروت : ١١٦.

الدلالية الشكلية عن معالجة هذه الإشاريات [١]، ولهذا عُدَّت الإشاريات بحسب برنامج هانسون(Hasson) الذي وضعه ١٩٧٤ تداولية الدرجة الأولى الذي حاول التوحيد بين مختلف أجزاء التداولية توحيداً نسقياً مراعياً التمفصل بين مختلف تلك الأجزاء [٢] .

وتقوم هذه الاشاريات بأثرٍ تواصلي لبدء أي عملية اتصال، فهي حجر الأساس لبداية حوارية ناجحة وناجزة قائمة على المشاركة الحقيقية بين طرفيها [٣]، ولاستعمال الإشاريات في الاستراتيجيية التضامنية ((فوائد كثيرة منها، تأسيس العلاقة الاجتماعية، والإسهام في تطويرها، وقد تكون مؤشراً على الانتماء إلى جماعة معينة، مثلاً، أو دليلاً على الاتفاق معهما في الرأي خصوصاً إذا لم يسبق للمُرسَل إليه معرفة ذلك الرأي)) [٤]، وتناولت الدراسة بعضاً من الإشاريات في الخطاب القرآني على لسان الكافرين في حواراتهم في سياقاتها التداولية والتواصلية .

أ – الإشاريات المكانية(spatial deictics):

هي عناصر إشارية يعتمد استعمالها على مكان المُتكلم وقت التكُّلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطَب، أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قرباً وبعداً، أو جهة [٥]، وهذهِ العناصر إشارية يستعملها المُرسِل لتعبّر عن التضامن فضلاً عن الضمائر التي هي أسماء الإشارة، يستعملها للكشف عن مدى تضامنه عن المحدَّث عنه والتي تعد آليات لغوية يبادل المرسل بها بين القريب والبعيد [٦]، أو ما تسمَّى بالإشارة الوجدانية (empathic deixis) التي تكون للبعيد للتعظيم والقريب للتحقير [٧] كما في قولة تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ ﴾[٨]، والتعظيم ﴿

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:١٧.
(٢) ينظر: الأسلوبية والتداولية مداخل لتحليل الخطاب، د.صابر محمود الحباشة، عالم الكتب الحديث، ط/١، ٢٠١١ :٥٦.
(٣) ينظر: التداولية بين النظرية والتطبيق : ٧٠.
(٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٤١/٢.
(٥) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٢١.
(٦) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٥٦/٢.
(٧)ينظر: افاق جديده في البحث اللغوي المعاصر : ٢٣.
(٨)سورة الأنبياء : ٣٦ .

ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾[١]، وهذا ما تنبّه عليه النحويون، إذ يقول سيبويه: ((وذاك بمنزلة هذا إلّا أنّك إذا قلت ذاك تنبِّه إلى شيء متراخٍ. وهؤلاء بمنزلة هذا، وأولئك بمنزلة ذاك، وتلك بمنزلة ذاك))[٢]، فالأساس التداولي للتأشير المكاني هو تباعد نفسي (psychobgical deictics) يميل المتكلم لمعالجة الاشياء البعيدة عنه نفسياً مثل: (ذلك الرجل هناك) مع ذلك قد يرغب المتكلم في جعل شيء قريباً مادّياً مثل: عطرٌ استنشقه بعيداً نفسياً بقوله: لا أحب ذلك العطر[٣] .

للعناصر الإشارية إضافة إلى تحديد (المركز الإشاري) الذي يشمل المتكلم والمُخاطَب ومكان التخاطب وزمانه فإنها تضطلع بمهام تواصلية، نجدها إحدى الأدوات اللغوية في الاستراتيجية التضامنية في خطابات الكافرين في قولة تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾ [٤]، إذ جاء اسم الإشارة (هؤلاء) للإشارة الى مشركي مكة وهو قول اليهود لهم عندما حالفوا قريشاً على محاربة رسول الله–صلى الله عليه وآله وسلم– فقال لهم اليهود أنتم أهدى سبيلا [٥]، (والذين) إشارة إلى النبي، أو قال بعض اليهود لأهل مكة حينما تناجوا فيما سيقولونه [٦] متضامنين مع كفّار مكه بإشارتهم اليهم بتفضيلهم على دين الرسول محمد–صلى الله عليه وآله وسلم–الذي يبرّر هذه الاستراتيجية درجة التآلف ومعرفة طرفي الخطاب لكلّ منهما واتفاقهم في الديانة[٧]، فكان هذا القول رسالة اطمئنان لقريش؛ لأنهم سألوا مَنْ جاء يحالفهم من اليهود أنحن أهدى سبيلاً أم محمد –صلى الله عليه وآله وسلم؟ فوصفوا دينهم ودين محمد–صلى الله عليه وآله وسلم– فقالوا : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾، أي أقوم ديناً وأرشد طريقةً[٨] ، ويقتضي أنّهم في رتبة واحدة متساوون؛ لانَّ قاعدة التودُّد لا تفيد إلّا إذا كان المتكلم أعلى رتبة أو مساوياً للسامع مستعملاً الأدوات

(١)سورة البقرة : ٢
(٢)ينظر: الكتاب سيبويه : ٢ /٧٨
(٣)ينظر: التداولية .جورج يول :٣٣
(٤)سورة النساء :٥١
(٥)ينظر: الكشاف :٩١/٢
(٦)ينظر: التحرير والتنوير : ٨٧/٥
(٧) ينظر: الوظائف التداولية و استراتيجيات التواصل اللغوي في نظريه النحو الوظيفي : ١٩٥
(٨)ينظر: ارشاد العقل السليم :١٨٩/٢

التي تقوي علاقة التضامن [١]، فقد استعمل الكافرون وهم (اليهود) في التضامن مع كفّار مكة إضافة إلى الاشارية أسلوباً من أساليب هذه الاستراتيجية وهي ذكر صفات المرسل اليه، فقد وصفوا دينهم دين الرشاد والطريقة الأهدى وهو عنصر تواصلي آخر لتقوية التضامن.

كما إنَّ لهذا الفعل الكلامي قوتين إنجازيتين الأولى: وصف حالهم والأخرى غير المباشرة المستلزمة مقامياً هي المدح والتفضيل.

أما السلطة في الخطاب التضامني فتأتي من تعزيز قوة الجماعة باستخدام صيغ التهذيب الإيجابي التي تؤكد على التقارب بين المتكلم والسامع ويؤكد هذا الافتراض ما أسماها (جورج يول) استراتيجية التآزر (solidarity strategy) [٢]، إذ جاءت ألفاظ التهذيب لإقامة حلف يكون سلطة اجتماعيه و خطاب سياسي موحَّد؛ لأن سبب التضامن بين المُرسِل والمُرسَل إليه عندما تتدنى درجة سلطة المرسِل[٣] يسعى إلى التضامن لتقوية تلك السلطة.

ب – الإشاريات الزمانية temporal deictics:

الإشاريات الزمانية كلمات تدلُّ على زمان يحدّده السياق إلى زمان المتكلم، فزمان المتكلم هو مركز الإشارة (deictics center) الزمانية في الكلام [٤] ، فهو الذي يتحكم في وتيرة الزمن طبقا لمتطلبات السياق وما يتوافق مع الأحداث [٥] ، وهذه الإشارية قد تكون دالة على الزمن الكوني المُقسَّم على فصول وأشهر وسنوات وأيام ...إلى غير ذلك، أو الزمن النحوي (tense) وأحيانا يتطابقان في سياق الكلام[٦]، وتوظَّف هذه الإشاريات للدلالة على التضامن، أمّا لتأسيس علاقة اجتماعية والإسهام في تطويرها، وأحياناَ تكون مؤشراً للإنتماء إلى جماعة معينة [٧] .

(١)ينظر: اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي : ٢٤٣.
(٢) ينظر: التداوليه . جورج يول: ١٠٦.
(٣) ينظر: أدب التخاطب مبادؤه وقواعده واستراتيجياته . د.هاتف بريهي شياع. مجلة العلوم الإنسانية .كلية التربية للعلوم الإنسانية . مجلد /٢٣ ، العدد ٣ ، أيلول ٢٠١٦.
(٤) ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر :١٩.
(٥) ينظر: التداولية بين النظرية والتطبيق : ١٠٨.
(٦) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢١.
(٧) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٢٨٧

وقد جاءت هذه الإشاريات في حوار فرعون مع موسى–عليه السلام–بعد أن أتى موسى الأمر الإلهي بالتبليغ ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [1]﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] ، فجاء الردّ من فرعون باستعمال إشارية زمانية دلّت على مدّة إقامته امتناناً عليه بالإحسان إليه[3]﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [4]، أي أنت الذي ربيناك وليداً، ولبثت فينا من عمرك سنين نعرف اسمك وأحوالك فمن أين أتيت بهذه الرسالة؟ [5]، فاقترنت في ملفوظ فرعون إشاريتان: الزمن النحوي في الفعل (لبثت) فضلاً عن الزمن الكوني(سنين) أراد أن يذكّر موسى–عليه السلام–بأنه تربّى في هذه العائلة، أي عائلة ملك مصر[6]، فحمل خطابه صبغة التضامن؛ لأنَّ إقامته كانت متواصلة وهذا ما عزّز أواصر المحبّة بينهما[7]، فضلاً عن اختيار المُرسِل لهذه الاستراتيجية بقصد التأثير في المُرسَل إليه خصوصاً إذا علم أن القضية (موضوع الحوار) ليست عقلية محضة، بل يتداخل فيها ماهو عاطفي مع ماهو عقلي[8]، فذكّره بعلاقة كانت سابقة امتدت لسنين معه وامتنانه عليه بِنِعمه ، ثمّ قال فرعون : ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، أي جازيت نعمتي بما فعلت بأن قتلت نفساً وكفرت نعمتنا [9].

وهنا خرق فرعون قاعدة التأدُّب، فالتأدُّب الصادق لا يتحقق إلا إذا انتفع به كلا المتخاطبين ولا يتضرر به أحدهما [10]، فكان الردّ مقابلاً لخطاب فرعون ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [11] فابتدأ بالإقرار بفعلته؛ ليعلم فرعون أنه لم يجد لكلامه تأثيراً في نفس موسى، وقد أخّر موسى–عليه السلام–الجواب عن قول فرعون؛ لأنه علم أن القصد من المواجهة بأن ربَّاً أعلى من فرعون أرسله وابتدأ بالجواب

---

(1) سورة الشعراء ١٠.
(2) سورة الشعراء :١٦.
(3) ينظر: مجمع البيان : ٢٣٧/٧.
(4) سورة الشعراء ١٨-١٩.
(5) ينظر: الميزان في تفسير القران : ٢٥٩/١٥.
(6) ينظر: التحرير والتنوير:١١١/١٩.
(7) ينظر :القصص القرانية دراسة ومعطيات وأهداف :٢/ ٣٤.
(8) ينظر: الاستراتيجية التخاطبية في السنة النبوية . ادريس مقبول (بحث) :٢٤٥ .
(9) ينظر :الخازن المسمّى لباب التأويل في معني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ضبط وتصحيح، عبدالسلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١، ٢٠٠٤ :٣٢٣/٣.
(10) ينظر: اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي :٢٤٨.
(11) سورة الشعراء : ٢٠.

عن قول فرعون وهو (فعلت فعلتك)؛ لأنه علم أنه أدخل في قصد الإفحام؛ وليظهر لفرعون أنه لا يوجل منه[١] .

أمّا خطاب موسى–عليه السلام–استمدّه من سلطة إلهية، وهو الأمر بالتبليغ جعلت خطابه يوازي خطاب فرعون، بل يعلو عليه يرفض التضامن الذي نلحظ أنها لم تتجه إلى الخطاب التوجيهي، ((فالتضامن والسلطة يرتبطان بعلاقة متضادة)) [٢] بقوله: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[٣] وهي نقض لامتنان فرعون مذكّرا إيّاه إنّ تلك النعمة ما كانت إلاّ بسبب إذلال بني إسرائيل، الذي تسبب بإلقائه في اليمّ حتى عثرت عليه امرأة فرعون [٤] .

الملاحظ على الحوار أنَّ فرعون لم يبدأ بخطاب التهديد والوعيد، بل تدرج في خطابه مبتدئاً بخطابٍ تضامني حتى تصاعدت حدّة الخطاب عندما سأل موسى–عليه السلام–في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٥] سؤال متعنّت غير طالب للحقيقة مستلزم الإنكار أن يكون هناك ربّ سواه [٦]، وبعد أن أعيته الحجج لجأ الى سلطته بتوجيه الخطاب وجهة أخرى، فيه تهديد بالعاقبة تناولها البحث في الاستراتيجية التوجيهية في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾[٧].

(١) ينظر: التحرير والتنوير :١١٣/١٩.
(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية :٨/٢.
(٣) سورة الشعراء : ٢٢.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير :١٩/ ١١٥.
(٥) سورة الشعراء : ٢٣.
(٦) ينظر: الكشاف :٣٨٥/٤ .
(٧) سورة الشعراء :٢٩.

ثانياً : آليات علائقية:

١- المُشاورة :

المَشْورة، و المشُورة مشتق من الإشارة، أي أشرت عليهم بكذا [١]، و جاء في المقاييس معنى (شور) ((الشين والواو والراء أصلان مطردان، الأول منهما إبداء شيء وإظهاره وعرضه، والآخر أخذ شيء))[٢]، وفي المعنى نفسه قال الراغب الاصفهاني: ((التشاور والمُشاورة والمَشُورة استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى بعض... والشورى الأمر الذي يتشاور فيه)) [٣] ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [٤]، الذي أريد منه تطبيب نفوسهم ورفع قدرهم [٥] .

يمكن تصنيف المُشاورة من الآليات التي تُعبِّر عن التضامن تدخل ضمن استراتيجيات علائقية بين طرفي الخطاب (المُرسِل، والمُرسَل إليه) لإبداء الرأي والمشورة وتقوية أواصر العلاقة، إذ تدخل في قواعد التأدُّب عند(ليتش) التي أسماها قاعدة الموافقة، ومضمونها تكثير الموافقة بين الذات والآخر[٦]، وتسمَّى عند (غرايس) بمبدأ (التأدُّب الأقصى) [٧]، وبما أن حقيقة الكلام لا تنبني إلّا على علاقة تخاطبية وإن هذه العلاقة بين جانبين فيكون للمتكلم فضل السبق فيها، ويكون له الحقّ بأدوار مختلفة[٨]، لذا فإن التضامن في الرأي يكون من جانب المُرسِل فهو صاحب المبادرة وهو من يقرّب في وجهات النظر.

ومن مسوغات استعمال الاستراتيجية التضامنية هو تطوير التفاعل الخطابي وتطوير حقهم في ممارسة الحياة بحرية مع تقليص السلطة [٩]، وهو عين التأدّب في الخطاب، إذ مقتضاه أن يأتي المتكلم بفعل القول وجه تبرز دلالته القريبة ويقوي أسباب الإنتفاع العاجل وهذا الضرب من التهذيب يولي أهمّية

---

(١) ينظر: العين :٢٨١/٦.
(٢) مقاييس اللغة : ٢٢٦/٣ .
(٣) المفردات في غريب القران :٣٥٩ .
(٤) سورة آل عمران :١٥٩.
(٥) ينظر : الكشاف : ٦٤٧/١.
(٦) ينظر: مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، تر/ عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٣ :١٧٤.
(٧) ينظر :استراتيجيات الخطاب :٢٦٦.
(٨) ينظر: اللسان والميزان أوالتكوثر العقلي: ٢٢٤.
(٩) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٢٦١.

في التخاطب لعملية التبادل، إذ إنَّ كل تبادل بين طرفين يُبنى أساساً في سعي كل منهما في تحقيق أغراضٍ مشتركة أو متساوية [١]، ويتحقق من تبادل المشورة بينهما واستماع كلِّ طرف منهما إلى الآخر.

انقسمت حوارات الكافرين قسمين: اتجه الأول إلى الحوار مع الأنبياء والمصلحين، أمّا الاتجاه الآخر فهو حوارهم فيما بينهم جاء على مشاورات لإصدار قرار مهم بشأن خطر يهدد دينهم وسلطتهم، وقد استلزمت هذه المشاورات التحريض، الذي أنتج كثيراً من خطاب الشرِّ عند الكافرين باستراتيجية تضامنية، ويُلحَظ هذهِ الآليات في حوار فرعون مع ملئه بشأن موسى–عليه السلا– في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾[٢] يقول الزمخشري: في قولهم: (ماذا تأمرون) ((من أمرته فأمرني بكذا، إذا شاورته، فأشار عليك برأي))[٣]، وهو كلام القوم وهم غير الملأ من قوم فرعون قالوا للملأ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴾، ثم قالوا للملأ ولأكابر خدمه: ﴿فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾، ففوضوا أمر التوجيه لمن هو أعلى منهم رتبة [٤]، فيكون طرفا الخطاب القوم والملأ على سبيل التشاور في الأمر، وقيل إنّ مُرسِل الخطاب فرعون في قوله: ﴿ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴾ قاله للملأ لمّا قالوا: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ﴾ قالوا: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ [٥]، فقالوا ذلك لمّا شاورهم فرعون، أي ماذا تشيرون عليّ في أمره [٦] .

لقد أطلق الملأ تهمتين وألصقوها بموسى–عليه السلام–الأولى اتهامه بالسحر، وقد بالغوا في ذمّه بأنْ قالوا (عليم)، أي بالغ الغاية في علم السحر، والأخرى إنّه يريد إخراجهم من ديارهم وأرضهم[٧]، وكلتا التهمتين حجة وقد حكاهما الملأ على سبيل التحريض، لذا لم يتأخر إصدار الحكم وهو أن يرجأ ويعارض بساحر آخر وهو ما اتفقوا عليه [٨] لإبطال حجته يقول ابن عاشور: ((إنما قالوا هذا الكلام على وجه الشورى مع فرعون واستنباط الاعتذار لأنفسهم عن قيام حجة موسى–عليه السلام– في

(١) ينظر: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي :١٩٤.
(٢) سورة الأعراف :١٠٩ -١١٠.
(٣) الكشاف : ٤٨٥/٢.
(٤) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٠٥/١٤.
(٥) سورة الأعراف : ١١١.
(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٥٩/٣.
(٧) ينظر البحر المحيط : ٤/ ٣٥٨-٣٥٩ .
(٨) الميزان في تفسير القرآن: ٢١٨/٨.

وجوههم فاعتلوا بعض لبعض بأن موسى إنما هو ساحر عليم بالسحر أظهر لهم ما لاعهد لهم بمثله من أعمال السحرة ، وهذا القول قد أعرب عن رأي جميع أهل مجلسه)) [١] ، فالمتخاطبان ملتزمان في بلوغ القصد الذي من أجله انخرطا في الحوار بضوابط التهذيب التي اقترحتها (روبين لاكوف Robin Lakoff) [٢] وهي من صنف استراتيجيات التأدُّب التضامني الذي ينمُّ عن الصداقة والانتماء إلى الجماعة [٣]، وهذه الضوابط هي :

- قاعدة التعفف: لا تفرض نفسك على المخاطَب.
- قاعدة التشكيك: اجعل المخاطَب يختار بنفسه.
- قاعدة التودد: أظهر الود للمخاطَب.

وما يؤكد استعمال التأدُّب التضامني قولهم: ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ فإذا كان صادراً من فرعون فهو مُستلزم التلطف مع المخاطَبين، وإنْ كان صادراً من الملأ فهو مستلزم التعظيم والتبجيل[٤]، فالقوة الإنجازية لفعل الكلام هو التحريض بتأخير موسى–عليه السلام–لحين استعدادهم للمواجهة المرتقبة، وقيامهم بدور التحريض يدلُّ على شدّة حرصهم على بقاء نظام فرعون، فمصيرهم مرتبط به، وبقاء سلطته يعني بقاءهم [٥] .

تظهر السلطة في هذا الحوار في أنَّ فرعون استمدَّ سلطته بتضامنه مع الملأ؛ لأنَّ الطاغية يتحدث دائما بلغة القوانين وليس له لغة أخرى مثل القتل أو التعذيب، بل لا يظهرون في صلب الفوضى، ويكبرون في ظل القوانين [٦].

وهناك حوار آخر تمثل في التشاور في أمر موسى–عليه السلام–وهو حوار السحرة فيما بينهم للخروج برأي واحد يمثل تضامنهم واتفاقهم بتحريض بعضهم بعضاً، وذلك ما جاء في قوله تعالى:

---

(١) التحرير والتنوير : ٤٢/٩.
(٢) ينظر: في التواصل التكاملي (فصول من التناظر بين الفكر العربي والفكر الغربي)، د.العياشي أدواري، دار الأمان الرباط، ط/١، ٢٠١٤ :١٤٦.
(٣) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٢٦٤.
(٤) ينظر التحرير والتنوير : ٤٣/٩.
(٥) ينظر: شخصية فرعون في القرآن الكريم، قاسم توفيق قاسم خضر(رسلة ماجستير) إشراف د.محسن الخالدي، جامعة النجاح، فلسطين، ٢٠٠٣ :١٠٢-١٠٣.
(٦) ينظر : السلطة والمعرفة :٧٧.

﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ٦٢ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾[1]، يقول الزمخشري: ((والظاهر إنهم تشاوروا في السرّ، وتجاذبوا أهداب القول، ثم قالوا: إنْ هذان لساحران، فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره، خوفاً من غلبتهما، وتثبيطاً للناس عن إتباعهما)) [2]، والقول الذي أسرّوه هو: إنْ غلَبَنا اتبعناه، ودليل ذلك ما ظهر في عاقبة الأمر عندما آمنوا لموسى–عليه السلام [3]، وقد جاءت الاشارية المكانية (بينهم) دلالة على أنهم لم يشركوا أحداً في هذه النجوى غيرهم، والفعل الكلامي الذي دلّ على التحريض ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾، وهو القول الفصل والرأي الذي أرسوا عليه وهو خلاصة النجوى، وذلك أن التشاور وتنازع الآراء يسفر عن رأي الجميع، ويدلُّ على ذلك الإشارية الشخصية (الضمير في قالوا)، أي مقالة تداولوها ، ثمَّ نطقوا بالكلام الذي استقرَّ عليه رأيهم، وهو إنّ موسى–عليه السلام –وأخاه ساحران [4]، وقيل إنّ قولهم : ﴿ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ إنّما قيل في العلن لإسماع فرعون وهو ما قِيل في العلن [5] .

تظهر هنا السلطة علاقة بين قوتين فاعلتين، وهي علاقة سجال وصراع وتدافع وتأثير بين ما يقدمه موسى–عليه السلام–من حجة أثّرت في نفوس السحرة والقوة الأخرى سلطة فرعون القائمة على التهديد والتذكير بالعواقب إذا خسروا المنازلة، وهي القتل والصلب، وتتحدد كلّ قوة بنفسها على التأثير بقوة أخرى ، فالتحريض والإثارة والإنتاج وسائر المفردات المشابهة مؤثرات فاعلة [6] .

وفي موقف آخر في حوار الملأ من قوم فرعون معه الذي حملت المشاورة فيه خطاب التحريض عندما رأوا من التراجع والفتور في همّة فرعون عن إيذاء موسى–عليه السلام–بعدما غلبت حجته جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ

(1) سورة طه :٦٢-٦٣.
(2) الكشاف : ٩١/٤.
(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن :٨٨/١٤.
(4) ينظر: التحرير والتنوير : ٢٥١/١٦.
(5) ينظر البحر المحيط :٢٣٨/٦.
(6) ينظر: ما الخطاب وكيف نحلله :٤٨.

سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[1]، فتضمّن ملفوظهم إغراء فرعون بموسى–عليه السلام–وقومه وتحريضه على قتلهم وتعذيبهم حتى لا يكون لهم خروج على دينه [2]، وإنّ القوة الإنجازية للفعل الكلامي إغراء فرعون بإهلاك موسى–عليه السلام–وقتله هو وقومه[3]، وكان لهم أثر كبير في استثارة نزعات النفس الشريرة لدى السلطان، فالسلطة عند انحرافها إلى التسلُّط تصبح أداة جاهزة ومجهَّزة للعنف، فكان الردُّ سريعا وحاسماً [4] بفعل تأثيري هو قتل موسى–عليه السلام–وقومه ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾، وإنما عدل عن قتل موسى–عليه السلام– إلى قتل الأبناء؛ ((لأنه علم أنه لا يقدر على قتل موسى إما لقوته وإما لتصوّره أنه مصروف عن قتله، فعدل عن قتل الأبناء ليستأصل قوم موسى من بني إسرائيل فيضعف عن فرعون)) [5] .

إنَّ المقام الحواري بين فرعون وملئه هو مقام تشاور وحرص كلّ طرف أن لا تزول سلطته بعد أن ظهرت البراهين الواضحة التي جاء بها موسى–عليه السلام– فكانوا متضامنين بخطاب موحّد بإزالة الخطر المحدق بهم، فكانت الاستجابة سريعة وشديدة وبالوقت نفسه قال: (سنقتّل) ((مبالغة في القتل مبالغةً كثرة واستيعاب)) [6]، وتضامن مع الملأ بتكرار ضمير الجمع مرة أخرى (ونستحيي) وهو من الإشاريات الشخصية الدالة على التضامن مع الجماعة لتقوية سلطة الأمر؛((لأنه كان مليء من موسى رعباً)) [7]

وما يعزّز هذا الافتراض أنَّ فرعون لم يستعمل صيغة الجمع في تهديد سابق عندما أنذر السحرة بعاقبة القتل، بل استعمل صيغة المفرد في قوله تعالى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [8] عندما كان في كامل سلطته، إضافة إلى أن قولته: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾، التي تدلُّ على اعتذار فرعون من الملأ عن استبطائه باستئصال موسى وقومه، أي هم لا يقدرون أن

(1) سورة الأعراف : ١٢٧
(2) ينظر : البحر المحيط : ٣٦٦/٤
(3) ينظر الميزان في تفسير القران: ٢٢٧/٨
(4) ينظر : خطاب السلطة في القرآن الكريم : ١١٣
(5) النكت والعيون :٢ /٢٤٨
(6)التحرير والتنوير : ٥٩/٩
(7) البحر المحيط : ٣٦٧/٤
(8) سورة الأعراف : ١٢٤

يفسدوا في البلاد ولا يستطيعون الخروج من طاعتي [١]، ويدلّ أيضاً على ضعف سلطته فهي سلطة موهومة بأنّه ترك موسى–عليه السلام–ليس خوفا ولا عجزاً ولو أراد البطش لبطش، بل لم يرد الإلتفات وإكتراث به [٢] .

إنّ ما يدلل على الاستراتيجية التضامنية الإشارية الضمير(نا) التي تؤكد إنجازية الفعل الكلامي (إنّ) المؤكدة فهي مؤشر تقوية، وفي الفعل الكلامي ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾أيضاً مظهر تأدُّبي وهي طمأنة للملأ و تحقِّير لموسى–عليه السلام–وقومه، وهي إحدى الوسائل المستعملة للأثر المستهدف كما يقول جاكبسون [٣]، أي قاهرون كما كنا لم يتغير حالنا به، ولا زلنا على ما نحن عليه من الغلبة والقوة [٤] .

ولم يختلف موقف الكافرين بدعوة النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–عن موقف الكافرين بدعوة موسى–عليه السلام–وهو التشاور والتناجي سراً في موقف موحّد رافض للدعوة الإسلامية، الذي يمثِّل تحريضاً مهماً لانتاج الموقف الرافض، وتدافع هذه القوى للإجماع بموقف واحد وتحريض من قارب أن يؤمن بتلك الدعوة ويصدق بنبوة محمد–صلى الله عليه وآله وسلم– إذ جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [٥] ، والإسرار في الحديث هو مبالغة في اخفائه، وكان ذلك تشاورٌ فيما بينهم، والتحاور لتثبيط من دخل شيء من الإسلام في قلبه، وعادة المتشاورين ألّا يشركوا أحداً من أعدائهم معهم، ويجتهدوا في طيّ ذلك السرِّ ما أمكن[٦]، وقد تمخّضت النجوى التي أسّروها عن تحريض في الفعل الكلامي ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْۖ ﴾، وقوته الإنجازية الإنكار لنبوة محمد–صلى الله عليه وآله وسلم– وجعلوا كلامه سحراً ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾، فنهوا من

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٥٩/٩ .
(٢) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٢١/١٤ .
(٣) ينظر: النص والخطاب والاتصال :٢٣٢.
(٤) ينظر : إرشاد العقل السليم :٢٦٢/٣.
(٥) سورة الأنبياء : ٣.
(٦) ينظر : الكشاف : ١٢٦/٤-١٢٧.

ناجوهم الاستماع إليه [١]، فإنجازية الفعل الكلامي في هذا الاستفهام التوبيخ، وقد عنوا بالسحر ما ظهر على يديه من المعجزات وأعظمها القرآن، وإنَّ من أتى بها بشرٌ [٢] .

إنَّ إطلاق تهمة السحر، وكون النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–بشراً: تهمتان ألصقهما الكافرون بالنبي – صلى الله عليه وآله وسلم– وهما حجتان تذّرعوا بهما وصدّوا من قارب التصديق بالدعوة، و الحجتان كلتاهما من سفسطات المُنكرين، اللتان تسمّيان سفسطة تجريح الشخص (Against the man)، تعنيان رفض الدعوة المعروضة بدعوى اتصاف عارض هذه الفكرة ببعض الخصال غير المناسبة فيعمد المُحاوِر في البداية إلى الهجوم على الشخص بإبراز عيب من عيوبه، أو ظرف من ظروفه، ثم ينتقل بعد ذلك ليدعي ادعاءً إنّ هذا العيب يطعن بصدق دعواه [٣]، وقد أسفر هذا عن موقف موحد لؤلئك الكافرين بالوقوف أمّا الدعوة فكانوا متضامنين فيها بعدما أسّروا نجواهم؛ ((لأنّه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادئ الشرّ والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم أمر النبوة وإطفاء نور الدين))[٤].

أمّا السلطة في مثل هذا الخطاب وإنْ كان جاء باستعمال استراتيجية تضامنية التي تتلاشى فيها السلطة إلّا إنَّ المُرسِل هنا الذي يتمثل في بعض الكافرين الذين يصدّون الناس عن الإيمان قد علت سلطته على سلطة المُرسَل إليه، فلم يعمدا إلى أسلوب التوجيه والتهديد، بل لجأوا إلى استراتيجية إقناعية لتوحيد الصفّ بأسلوب التحريض والحث، فهي مؤثرات استجابية منفعلة لها قوة التأثير والتأثر، فالقدرة على التأثر بمثابة مادة القوة في حين القدرة على التأثير هي دالّة السلطة [٥]، التي جعلت المُرسَل إليه متضامناً معها.

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٤/١٧.
(٢) ينظر : البحر المحيط : ٢٧٦/٦.
(٣) ينظر : الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار:١٩.
(٤) إرشاد العقل السليم :٥٤/٦ .
(٥) ينظر : ما الخطاب وكيف نحلله : ٤٨ -٤٩.

٢- تأنيب الذّات ومحاسبة النفس:

من الآليات اللغوية التي يستعملها المُرسل بتضامنه مع ذاته أمام المُرسَل إليه، التي تتضمن التذمّر من الذات، أو تلك الشكاوى التي ينتقص فيها المُرسِل نفسه بالشكوى من قدرته، أو سلوكه، أو أفعاله، أو مظهره الجسدي [١]، ونلحظ شواهد لهذهِ الآلية في خطاب الكافرين ما جاء على لسان قوم إبراهيم- عليه السلام-بعدما حطَّم أصنامهم وألزمهم الحجة عندما سألوه بقوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾ [٢]، فأجابهم بقوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ [٣] وهذه ((دعوى بداعي إلزام الخصم وفرض وتقدير قصد إبطال ألوهيتها)) [٤]، فجاء قولهم في قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [٥]، أي رجعوا إلى عقولهم وتدبَّروا فيما قاله إبراهيم -عليه السلام- إذ علموا صدقه فأنطقهم الله الحقَّ بقولهم : ﴿ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ وهو اعتراف بما هو حجة عليهم [٦]، ثم وصّف القرآن حالهم بعد هذا التأنيب ومراجعة النفس بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ [٧] بعد ما أقام عليهم الحجّة وعلموا أنّ الأصنام لا تنطق، فساءهم ذلك حين نبّه على قيام تلك الحجّة، والنكس على الرأس علامة تدلّ ارتطام الإنسان في غيّه وتنكيسها إلى الأرض على سبيل الخجل والانكسار [٨] .

ويمكن أنْ تحيل الضمائر في الآية إلى بعضهم ، فيكون المعنى رجع بعضهم إلى بعض فيتحول الحوار من مخاطبة إبراهيم-عليه السلام-إلى مخاطبة بعضهم بعضاً فبرَّأوه جميعاً من هذهِ التهم فراح يؤنِّب بعضهم بعضاً بقولهم: ﴿ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ فأنتم ظالمون لا إبراهيم [٩]، وهم بهذا الموقف متضامنون مع إبراهيم-عليه السلام-ومؤشر هذا التضامن تصديقهم أنّ هذه الأصنام لا تقدر على دفع

(١) ينظر : استراتيجيات الخطاب :٢/٧٩.
(٢) سورة الأنبياء : ٦٢.
(٣) سورة الأنبياء : ٦٣.
(٤) الميزان في تفسير القرآن : ١٤/ ٣٠٢.
(٥) سورة الأنبياء :٦٤ .
(٦) ينظر : مجمع البيان : ٧ / ٧٢.
(٧) سورة الأنبياء :٦٥.
(٨) ينظر : البحر المحيط :٦ /٣٠٣.
(٩) ينظر التحرير والتنوير : ١٧ /١٠٣.

المضرّة عن نفسها ولا على من أراد أن يضرّها، وهذه ثغرة فتح إبراهيم–عليه السلام–المعركة بها؛ ليصل إليهم جعلتهم أمام أمرين: موقف الاعتراف بالحقيقة واكتشاف الخطأ، والموقف الآخر موقف العناد والمكابرة [١]، الذي أوصلهم لاستخدام السلطة بخطاب توجيهي مليء بالعنف والإرهاب في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [٢].

ويصّور القرآن الكريم كثيراً من خطابات الكافرين على لسانهم في مواقف القيامة وهم في مقام التندُّم والتحسُّر وتأنيب الذات بما اقترفوا من ذنوب في معارضة الأنبياء والوقوف بوجه كلّ دعوة إصلاحية وما حملته نفوسهم من العِناد والتكبُّر والحسد وحبُّ السلطة والمال منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [٣]، وهذا جواب لسؤال خزنة جهنم في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ [٤]، أي كلَّما جيء بجماعة من الكافرين إلى جهنم سألهم الملائكة الموكَّلون على النار توبيخاً لهم [٥] ، وهذا اعتراف منهم بعدل الله تعالى وإقرار منهم بعلة بعثّ الرسل وإنهم اختاروا خلاف ما اختار الله وأمر به[٦].

ومنها ما جاء بهذه الآلية وهي تأنيب الذات وما فيها من التندُّم والتحسُّر قول الكافرين المحكي عنهم في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [٧]، فالقائلون هم الغاوون، والاختصام واقع بينهم يخاصمون أنفسهم والشياطين ﴿قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ﴾، وقوله تعالى : ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ اعتراف منهم بالضلال، و قوله: ﴿إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قد وجّهوا خطابهم للآلهة والاصنام، وهم معهم في النار، أو لهم وللشياطين، أو لهما وللمتبوعين والرؤساء من الغاوين وقد رجّح الطباطبائي الرأي الأول [٨] ، والقصد

(١) ينظر: الحوار في القرآن الكريم قواعد وأساليبه ومعطياته، محمد حسين فضل الله:٢٥٩.
(٢) سورة الأنبياء : ٦٨.
(٣) سورة الملك : ١٠ -١١.
(٤) سورة الملك : ٨.
(٥) ينظر : الميزان في تفسير القرآن :٣٦٩/١٩ .
(٦) ينظر : الكشاف : ٦/ ١٧٣ .
(٧) سورة الشعراء : ٩٦-٩٩ .
(٨) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٥/ ٢٩٠ -٢٩١.

من توجيه الخطاب إلى الأصنام، هو توجيه المتندم حتى جعل الخطاب مع من لا يعقل بمنزلة من يعقل وهذا مبالغة في توبيخ النفس [1] .

يُلحظ أنَّ مثل هذا الخطاب يعج بالتحسُّر والتندم قد خلع المُرسِل سلطته، وبسبب فقد رؤسائهم وكبرائهم أعلنوا استسلامهم بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [2]، وهذا هو انحطاط حالهم في التأسف، حيث نفوا أن يكون هناك من ينفعهم بتخليصهم من العذاب [3] .

(1) ينظر : التحرير والتنوير : ١٩/ ٥٤.
(2) سورة الشعراء : ١٠٠ -١٠١.
(3) ينظر : روح المعاني :١٠٤/١٩.

المبحث الثاني
الاستراتيجية السيميائية

-مفهوم الاستراتيجية السيميائية:

-السيميائية في الخطاب القرآني _ المصطلح _ المفهوم:

-السيميائية (التواصل غيراللفظي) في خطاب الشرِّ عند الكافرين:

أولاً: التواصل بالعين:

ثانياً: التواصل باليد:

ثالثاً: التواصل بالوجه:

رابعاً: التواصل بحركة الرأس:

خامساً: حركة المشي:

سادساً: التطريز الصوتي:

سابعاً: التواصل باللباس والزينة:

المبحث الثاني
الاستراتيجية السيميائية

مفهوم الاستراتيجية السيميائية:

التواصل الإنساني لا يمكن حصره باللغة فقط، فقد يأتي عبر أنساق تخاطبية أخرى كالإشارة والصورة وغيرها، وتتعدد أنساق التواصل وتتداخل أحياناً فهناك ما يسمَّى بالتواصل الأحادي الذي يتوسّل بنسق تخاطبي واحد، والتواصل المركّب الذي تشترك فيه أنساق متعددة، فمن التواصل الأحادي المحض الخطاب اللغوي والإشارة الخاليتان من أي تعليق، والتواصل المركّب اللغوي المدعوم بالإشارة أو الإيماء، إذ تتضافر في الخطاب الواحد أنساق متعدده في التعبير عن فحوى الخطاب والقصد [١]، فاللغوي ما كان منطوقاً، والأخر الإشارة والإيماء المتمثل بالحركات الجسدية، أو ما يعرف بالسيمياء.

السيميولوجيا (semiology) أو(السيميوطقا) علم دراسة العلامات (الإشارات) ويُفضِّل الأوربيون مفردة السيميولوجيا إلتزاماً بتسمية (دي سوسير)، أمّا الأمريكيون فيسمّونها (السيميوطيقا) التي جاء بها الفيلسوف الأمريكي تشارلس ساندرز بيرس، أمّا العرب فدعو إلى ترجمتها بـ (السيمياء) محاولة منهم لتعريب المصطلح ومع إرتباطها بحقل دلالي لغوي[٢]، وهو علم يدرس أنساق العلامات (لغات، وأنماط، وعلامات مرور)، وهذا التعريف يجعل اللغة جزءاً من السيميائية، ولإعطاء اللغة مكانة مستقلة تُعرَّف السيميائية بأنّها: دراسة الأنساق السيميائية غير اللغوية[٣]، فهي نظرية توظِّف علم العلامات في دراسة أنواع الاتصال وتحليله والدلالة على المعنى من أنظمة العلامات [٤]، مع أنّ (رولان بارت) يُعلن أنّه يجب قلب مقولة دي سوسير والتأكيد على أنّ السيميولوجيا أحد فروع الألسنية، و يؤكد الألسني والسيميائي (رومان جاكبسون) أنّ اللغة منظومة إشارات وأنّ الألسنية جزءٌ أساس من علم الإشارات أوالسيميائية[٥]، وقد أصبحت العلامات علماً مستقلاً فعلاً مع عمل الفيلسوف الأمريكي (تشارلز ساندرز بورس) فتبلورت

(١) ينظر: الخطاب الموسّط مقاربة وظيفية موحّدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات، د.أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط/١، ٢٠١١ :١٧-١٨.
(٢) ينظر: دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط/٣، ٢٠٠٢ :١٧٧-١٧٨، وينظر: السيمياء والتأويل ، روبرت شولز، تر/سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط/١، ١٩٩٤ :٢٤٧.
(٣) ينظر:السيميائيات دراسة الأنساق السيميائية غير اللغوية، بييرجيرو ، تر/ د.منذر عياشي، دار نينوى، ط/١، ٢٠١٦ :٥.
(٤) ينظر: موسوعة النظريات الأدبية، د.نبيل راغب، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، ط/١، ٢٠٠٣ :٣٦٥.
(٥) ينظر: أسس السيميائية، دانيال تشاندلِر، تر/ د. طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة،ط/١، ٢٠٠٨ :٣٧-٣٨ .

على يده [١] التي تُمثل عنده إطاراً مرجعياً يتضمن أي دراسة أخرى، وقد أوضح أنّ العلاقة الدالة هي علاقة ثلاثية (العلاقة أو الممثل وهي الطرف الأول الذي يقيم مع الطرف الثاني المسمّى موضوعة علاقة ثلاثية تستطيع أن تحدد الطرف الثالث المسمّى مؤوله)، وذلك لكي يضطلع هذا المؤول بالعلاقة الثلاثية نفسها إزاء الموضوع ، والمؤول هو معنى العلاقة [٢]، أمّا العلامات التي تتعلق بالسيمياء فهي العلامات التي تكوّن الإرساليات الأساسية كيفما كانت تلك الإرساليات سمعية ، سمعية بصرية ، بصرية ، شمية ، حركية ...إلى غير ذلك [٣] .

إنَّ أنظمة الخطاب قد استقرت على صنفين: النظام اللفظي، والنظام غير اللفظي، فالمخاطِب لا يعتمد في إنتاج خطابه على نظام وحيد، بل يعمد إلى استعمال نظام آخر حسب سياقات الموقف [٤]، ويُعدُّ النظام غير اللفظي و هو اللغة الصامتة، أو (الاتصال غير اللفظي) وسيلة تُعنى بإيصال المعلومات واستقبالها بغير اللغة المنطوقة، التي تشتمل على القنوات السلوكية أو التعبيرية مثل: تعبيرات الوجه أو حركات الجسد وتنوعات الصوت ، وإنَّ التواصل اللفظي يقرأ بحروف اللغة وكلماتها، وكذلك الجسد يقرأ من التعبيرات والإيماءات التي تُعبِّر عن شعور الإنسان سواء أكان فطرياً أم مكتسباً، وتوظَّف هذه الحركات لأهداف منها: الإقناع أو التعمية أو الخداع وترتبط بالنوايا وبالحالات العاطفية الداخلية [٥]، ويدخل ضمن هذا الاتصال كلّ أنواع الاتصال التي تعتمد على اللغة غير اللفظية ، والتي تسّمى اللغة الصامتة(silent language) ويقسِّمها العلماء على ثلاث لغات هي[٦] :

أ/ لغة الإشارة(silent language)، التي تتضمن الإشارات التي يستخدمها الإنسان في الاتصال بغيره.

ب/ لغة الحركة أو الأفعال (Action language) والتي تتضمن جميع الحركات التي يأتي بها الإنسان لينقل إلى غير ما يريد من معانٍ ومشاعر.

(١) ينظر: منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب دراسة وصفية في نماذج من القرآن والشعر، عمار ساسي، عالم الكتب الحديث ، الأردن، ط/١، ٢٠١١ :٣١١.
(٢) ينظر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان:١٩٥.
(٣) ينظر: ماهي السيميولوجيا، برنار توسان، تر/ محمد نظيف، إفريقيا الشرق، المغرب، ط/٢، ٢٠٠٠ :٩ .
(٤) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٣٦٣/٢ .
(٥) ينظر: التواصل غير اللفظي في الإبانة والتواصل نماذج تطبيقية ومقولات كلية ، سلاف شهاب الدين يغمور(رسالة ماجستير مخطوطة) إشراف ، د.مهدي عرار ، كلية الآداب جامعة بيرزيت فلسطين ،٢٠١٩ :١٧.
(٦) ينظر: الاتصال ونظرياته المعاصرة ، د.حسن عماد مكاوي ، د. ليلى حسين السيد ، الدار المصرية اللبنانية، ط/١: ٢٧.

ج/ لغة الأشياء(Object language) ويقصد بها ما يستخدمه مصدر الاتصال غير الإشارات والحركات وتتمثل في الأشياء والملابس كالأدوات الفرعونية التي تستخدم في المسارح بقصد نقل الإحساس بالجو والزمان والمكان، أو ارتداء اللون الأسود الذي يشعر الآخرين بالحزن.

أمّا في التراث العربي فإن مصطلح (سيمياء) لم يتعامل معه العرب إلّا فيما هو خارج عن المألوف، أمّا ما يعرف به اليوم فنجد إشارات لبعض البلاغيين والفلاسفة ضمن أبحاثهم المختلفة [١] تؤكّد فطنتهم إلى منزلة الإشارة في السلوك الكلامي ودورها في الكشف عن المقاصد أو لأغراض بلاغية فيما أنتجوه من نصوص أدبية [٢] منها ما ورد في البيان والتبيين بقول الجاحظ : ((والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه. وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط. ويعد فهل تعدو الإشارة ذات صورة معروفة، وحلّة موصوفة على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها. وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح... ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ولجهِلوا هذا الباب البتة))[٣] وفي النص إشارة واضحة لدور العلامات في التواصل سواء كانت العلامات المصاحبة أو العلامات التي تنوب عن اللغة وهي النظام غير اللفظي، وقد عدَّ أحد الباحثين بإنّ الجاحظ(ت٢٥٥هـ) هو واضع البذرة الأولى لنظرية السلوك الاتصالي الحركي في التراث العربي[٤]، وما ذكره ابن جني في الخصائص باستعاضة النظام غير اللفظي عن النظام اللفظي ((وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً فتزيد في قوة اللفظ (بالله) هذه الكلمة وتمكِّن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً، وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً)) [٥] فهذه إشارة دقيقة لمفهوم السيمياء بهيأة التنغيم ودرجة الصوت التي نابت عن اللغة المحكية .

وللتواصل غير اللفظي أهمّية إذا اعتمدها المُرسِل استراتيجية في خطابه منها [٦] :

---

(١) ينظر : معجم السيميائيات ، فيصل الأحمر ، ط/١ ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط/١ ، ٢٠١٠ : ٣٢.
(٢) ينظر : العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال:١٤٢.
(٣) البيان والتبيين، الجاحظ ، تح/ د.عبدالسلام محمد هارون: ٧٨/١.
(٤) ينظر : العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال:١٤٨.
(٥) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّي، تح/ الشربيني شريدة، دار الحديث القاهرة، ٢٠٠٧ : ٣٧١/٢.
(٦) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٣٦٩/٢-٣٧٠ ، و ينظر: العلاقات العامة والإتصال الإنساني، صالح خليل أبو اصبع ،دار الشروق، ط/١ ، ١٩٩٨ :٣٧ -٣٨ ، وينظر:الاتصال ونظرياته المعاصرة، حسن عماد، الدار المصرية:٢٩.

١-تحديد المؤشرات الدالة على الانفعالات والمقاصد الخطابية لما يريده المُرسِل.
٢-تعزيز الخطاب اللغوي وتعزيز الرسالة بتدعيمها بالحركات لضمان استمرارية التواصل.
٣- تعويض الكلام بترسيخ علامات معينة، مثلما يفعله المعلن التجاري.
٤-الاستجابة للدواعي السياقية التي يُنجز بها الخطاب.
٥-قصد الإسهام في تعديل أوضاع السياق، وهذا ما يحدث في الحوارات، أو في الاجتماعات عندما يريد أحد الأطراف أن يخبر الآخر بأنه لا يُقبل رأيه.
٦-تنظيم الاتصال غير اللفظي بين المشاركين في الاتصال مثل: حركة الرأس، والعينين وتغيير المكان، أو إعطاء إشارة لشخص أن يكمل حديثه، فكلها وظائف تنظيمية يقوم بها الاتصال غير اللفظي.

السيمياء في الخطاب القرآني -المصطلح -المفهوم :

أقرب مادة لغوية في العربية تضمَّنت معنى العلامة و الإشارة وجدها الباحثون في مادة السين والميم تعضّدها حروف اللين والهمزة أحياناً، فتقليبات المادة تدلّ على العلامة والاسم الذي يوضع للتمييز شأنه شأن العلامة [١]، وقد ورد هذا المصطلح (السيمياء) من دون ياء في القرآن الكريم في مواضع منها قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [٢] قال ابن فارس إذا مدّوه قالوا (سيماء) وهو عنده بمعنى العلامة التي تجعل في الشيء [٣]، وقال الراغب الاصفهاني: ((السيماء والسمياء العلامة))[٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ [٥]، و قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ [٦] ويُلحظ أنّها قد حملت معنى العلامة.

(١)ينظر: حقول سيميائية، إعداد وترجمة/ محمد التهامي العماري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس مطبعة آنفو- برانت :١٤ .
(٢) سورة الفتح : ٢٩.
(٣) ينظر : معجم مقاييس اللغة :١١٨/٣-١١٩ .
(٤) المفردات في غريب القرآن :٣٣٣.
(٥) سورة الرحمن :٤٠.
(٦) سورة الأعراف:٤٨.

أمّا السيمياء بمفهومه، فلم يقف الخطاب القرآني عند اللغة المنطوقة، بل عبّر عن كثيرٍ من المواقف والمشاهد باللغة الصامتة (السيمياء) التي تدلّ على الرضا، والسخط، والانزعاج، والتكبر، والتعجب ...إلى غير ذلك، فكانت للرأس دلالاته ولأعين لغاتها وللبد علاماتها وللمشي إيحاءاته فكانت تبين المقاصد من غير لسان، ومن الدارسين من أحصى الآيات القرآنية التي تضمّنت الاتصال غير اللفظي بنسبة٧٢%[١]، منها قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [٢] فجاءت العلامة مُعبِّرة عن التعجب عندما ضربت امرأة إبراهيم جبهتها بيديها ونظيره وضع اليد على الفم [٣] في قوله تعالى: ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [٤]، وفي قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾[٥] يقول الزمخشري: ((وتقليب الكفين: كناية عن الندم والتحسُّر؛ لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن)) [٦] وقد سبق الاتصال اليدوي(حركة تقليب الكفين) الاتصال القولي﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾؛ لأنّ استقبال المشاهد البصرية والسمعية بحواسنا التي تتفاعل مع عمليات فيسولوجية موافقة لطبيعة المشاهد المؤثرة، ويقول الدكتور عمر عبد الهادي عتيق: إن التعبير الحركي في هذا السياق يحوي كثافة دلالية لا تتوافر في التعبير القولي[٧]، فتوظيف العلامة جاء لتعزيز القول وتدعيمه.

السيميائية في خطاب الشرّ عند الكافرين:

تضمّن خطاب الكافرين في القرآن الكريم استراتيجيات متباينة تبعاً لسياق الموقف وضمن هذه الاستراتيجيات الاستراتيجية السيميائية ، ونعني بها هنا (التواصل غير اللفظي) وهي أنظمة تواصل تحمل دلالات تُسهم في توضيح اللغة أو تساندها أو قول ما لا يمكن قوله بوساطتها التي تخصُّ الحواس

(١) ينظر: الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم ، د. محمد الأمين موسى أحمد، دار الثقافة والإعلام الشارقة، ط/١ :١٨ .
(٢) سورة الذاريات : ٢٩.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير : ٣٦٠/٢٦.
(٤) سورة إبراهيم : ٩.
(٥) سورة الكهف :٤٢.
(٦) الكشاف : ٥٨٨/٣.
(٧) ينظر: لغة الجسد في القرآن الكريم، د.عمر عبدالهادي عتيق، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج/٩،العدد/١، ٢٠١٣ :٩٠.

الخمسة[١]، وتمثِّل السيميائيات غير اللغوية أو اللغة الصامتة تعبيرات الوجه، والعيون، والإيماءات، والأزياء، والرموز، والبروتوكولات الدبلوماسية [٢]، وقد جاءت في خطاب الكافرين تحمل دلالات الشرِّ من السخرية وإبراز حالة الكره والحقد والعناد الذي ملأ نفوسهم ما لا تستطيع أن تُعبِّر عن اللغة ، إذ إنَّ هذه العلامات مُعين النظام اللفظي وتعويض حالة التلفظ منها حركة الرأس واليدين والعين [٣]، فقد أثبتت الدراسات أنّ التأثير المتبادل في أي اتصال بين شخصين يعتمد بنسبة ٧% على الكلمات التي يتبادلانها، ويعتمد بنسبة٣٨% على الصوت، وبنسبة ٥٥% على الاتصال غير اللفظي [٤]وهو العلامة الجسدية التي تتشعب الى اتجاهين [٥] :

الأول / الدلالة من سمة جسدية معينة، أو خاصية جسدية ساكنة منها عريض القفا أو خرساء الأساور.

الثاني / الدلالة من الإشارة إلى حركة معينة من الجسد أو بعض أجزائه.

أولاً: التواصل بالعين:

إنَّ عملية انتاج الكلام وتقبّله لا ترتكز على الجانب الصوتي فقط، أي لا يعني تقبُّل الكلام الاستماع إلى من يتكلم فحسب، بل هو نظر إلى بقية أعضاء الجسم، فهي تتفاعل في صياغة الكلام، ومن أبرزها (العين)، فهي تؤدِّي وظائف عاطفية ونفسية واتصالية في المحادثة، وتؤدّي حركة العين دوراً مُهمّاً في أداء بعض المعاني الحسّية مثلما يؤدّي الجسد دوراً مهماً، فيبلِّغ المُرسِل مقاصد معينة من هيأة جسده، فيبرهن فيها المتكلم على درجة التفاعل في المحادثة ومدى العلاقة بالأشخاص المشاركين فيها وموقفه منهم، فتأتي حركة العين تعبيراً عن الإعجاب، أو تعبيراً عن الحقد والكراهية إلى غير ذلك، ويمكن أن يستعمل المُرسِل نظرة ليعوّض عن فعل كلامي رئيس في المحادثة [٦] .

---

(١) ينظر : معجم السيميائيات :٧٣ .

(٢) ينظر: اللغة الصامتة في العملية الاتصالية في القران الكريم سورة مريم انموذجا ، د. سعيد درويش، مجلة الإحياء، مجلد/٢١، العدد ٢٨، ٢٠٢١ :١١٠.

(٣) ينظر : استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٣٧٤.

(٤) ينظر: التداولية البعد الثالث في سيموطيقا موريس: ١٥٧.

(٥) ينظر : التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة، الاشراف والتقديم د.حافظ إسماعيل علوي، د.منتصر أمين عبد الرحيم، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط/١، ٢٠١٤ :١٢٢.

(٦) ينظر: الوصائل في تحليل المحادثة دراسة في استراتيجيات الخطاب، د.خليفة الميساوي، عالم الكتب الحديث الأردن،ط/١، ٢٠١٢: ٢٥٧ .

فالعين سلوك بصري يعرض حالات متنوعة في التواصل، فقد يعبّر عن العفّة بنوع النظر كما في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِم﴾ [١]، وقد تكون تعبيراً عن سلوك غير مرغوب فيه منها الغمز وهو الطلب إلى ما فيه معاب، وتتخذ حركة العين ومقدار انفتاحها واتجاه نظرها تكون علامات على حالات نفسية متفاوته منها النظر الخفي والخاشع والشاخص والزائغ...إلى غير ذلك [٢]، وقد وردت في التنزيل العزيز صور متباينة بتباين السياق فانبنى على ذلك دلالات سيميائية مختلفة، والعين تنطق حين تصمت الأفواه [٣] ، وتهدِّد كما تهدِّد البندقية وتهين كالركل والرفس، وإذا كانت نظراتها حانية ولطيفة فقد تجعل القلب يتراقص فرحاً [٤]، فقد وردت في القرآن الكريم بهيئات مختلفة، أمّا فيما يخصُّ مجال الدراسة فقد وقف الباحث على السيميائيات غير اللفظية في خطاب الكافرين التي حملت دلالات الشرّ وظّفها الكافرون في خطابهم، فقد كان للعين النصيب الأوفر في التواصل فدلّت فيما دلّت عليه العين الحسد والبغض، منها ما عبَّرت عنه من العداوة والبغض في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [٥]، أي ((أنّهم من شدّة تحديقهم ونظرهم إليك شزراً بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلقون قدمك ويهلكونك)) [٦]، وقيل إنَّ نظرتهم نظرة عداوة وبغض لِما يسمعونه، فيكادون يصرعونه بحدّة نظرهم [٧] ، وقد جمع الطاهر ابن عاشور جميع الوجوه علامة على شدة العِداء فقال: ((وعلى جميع الوجوه فقد جعل الإزلاق بأبصارهم على وجه الاستعارة المكنية، شبّهت الأبصار بالسِهام ورمز إلى المشبَّه به بما هو من روادفه وهو فعل يزلقونك)) [٨].

وبهذا يمكن عدّ زلق البصر، والنظر بهذه الكيفية وتوجيهه إلى النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– قصد إظهار البغض وشدة العداوة، فقد أوصلت رسالة العداوة قبل القول: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾، فأوضح الاتصال غير اللفظي (communication non verbal) القصد قبل الاتصال اللفظي، وربما

(١) سورة النور :٣٠.
(٢) ينظر : العبارة والإشارة :١٦٢-١٦٣.
(٣) ينظر : البيان بلا لسان دراسة في لغة الجسد، د.مهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية بيروت، ط/١ ، ٢٠٠٧ :١٧٣.
(٤) ينظر: فن الاتصال ، برت دكر، تر/ عبدالرحمن بن هادي الشمراني ، دار المعرفة للتنمية البشرية :٥٣.
(٥) سورة القلم :٥١.
(٦) الكشاف : ١٩٣/٦ .
(٧) ينظر : مجمع البيان : ١٠ /٧٧.
(٨) التحرير والتنوير : ٢٩ /١٠٨.

استعاضت هنا رسالة العين عن القول: (إنّك لمجنون) فعبّرت حركة العين عن قصدهم وهي النظر شزراً الدالّ على العداوة المُفرِطة من قولهم نظر إليّ نظرة يكاد يصرعني أو يكاد يأكلني[١] ، فقد وضح المراد قبل قولهم ﴿إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾، إذ إنّ من دواعي الاتصال غير اللفظي توكيد المقاطع المُهمّة في النظام اللفظي [٢] ، وتعبِّر حركة العين عن الترابط بجعل المتكلم متفاعلاً مع ما ينتجه من كلام وما يظهر من مواقف، تجاه المُرسَل إليه، فالعين توجِّه عملية الاتصال وتعدّله بحسب ما يقوم به المتلكم من حركات تتلاءم ومجرى الاتصال [٣].

فيُلحظ أنّ الاتصال غير اللفظي (بالعين) مهَّد للاتصال اللفظي وجاء منسجماً مع القول في عملية التواصل، فأنبأت بشدّة البغض والعداوة والحسد بما تكنّه صدور الكافرين، وربّما أرادوا بهذه النظرة أن يهلكوا النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– فهي نظرة حاسدة تفعل ما لا يفعله القول، فكانوا إذا نظر إلى أحد سقط المنظور إليه في الحال [٤].

واستعمل الكافرون الاتصال غير اللفظي بمعية القول في السخرية، إذ إنَّ الإشارت الجسمية تكون على ثلاثة أنواع، منها إشارات مصاحبة قصد التأكيد والتوضيح، وإشارات مستقلة يستعملها الفرد عند اضطراره من دون الكلام لسببٍ أو آخر، وإشارات تصويرية تجسم الأشكال وتحدّد المقاييس [٥]، فجاءت تعبيراً عن الازدراء، فتشترك في نظرة الازدراء حركتا الرأس والعينين، ويمكن رؤية هذه الحركة عندما يكون الإنسان مرتاباً من الآخرين، أو يتحقق من صحة ما يقول وتكون أحياناً سريعة للغاية ومبالغاً فيها أحياناً أخرى، وهو سلوك أكثر دقة ورسالته: (أنا أستمع إليك ولكنني لا أهتم بما تقول)، ويمكن أن يأخذ الرأس حركة جانبية تصاحبه نظرة جانبية ودوران يسير للعيون [٦] .

وقد وردت الإشارة المصاحبة للعين عند قوم نوح–عليه السلام– يستصغرون بها المؤمنين ويستخفّونهم في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ

(١) ينظر : البحر المحيط: ٣١١/٨ -٣١٢.
(٢) استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية:٣٦٩/٢.
(٣)ينظر: الوصائل في تحليل المحادثة دراسة في استراتيجيات الخطاب:٢٥٨
(٤) ينظر: نظم الدرر:٣٣٤/٢٠.
(٥)ينظر: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي:٤٤ .
(٦) ينظر: ما يقوله كل جسد، جونافارو، مارفين كاريلنز، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، ط/٢، ٢٠١٠: ١٩٩.

تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ [1]، والازدراء يكون نظرها بكيفية تكون تحقيراً وتقليلاً الشأن كأنْ ينظر إليها من أعلى إلى الأسفل، أو التفاتة يسيرة تدلّ على الاشمئزاز[2]، وقال الراغب الاصفهاني: ((تستقلُّهم، تقديره تزدريهم أعينكم: أي تستقلُّهم وتستهين بهم)) [3]، فالعين إشارة إلى الاستحقار والاستصغار((بما عاينوا منهم من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تدبر في معانيهم وكمالاتهم)) [4]، التي هي حجّة من حججهم بأنّه لم يتبعه الأشراف، وسادة القوم، والرؤساء، وإنّما اتّبعه الذين لا مال لهم [5]، وهذا ما كانوا يعتقدونه وبنوا عليه ستّتهم الأشرافية وهو أنّ أفراد الإنسان قسمان: الضعفاء والأقوياء، فالأقوياء أولوا الطول وأرباب القدرة، وهم السادة لهم النعمة والكرامة وغيرهم مخلوقون لهم ولأجل منافعهم كالعبيد والخدم [6]، فكان ذلك سبب قولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾[7]، وما جعل الإزدراء يكون بالنظر إشعاراً لقصور نظرهم[8]؛ ولأنَّ الازدراء ينشأ عن مشاهدة الصفات الحقيرة عند الناظر[9]، فالتفاوت في الطبقة الاجتماعية كان سبب الازدراء والتعالي لهولاء الكافرين؛ لأنّهم يرون أنفسهم في مقام أرفع وهو ما يسمّى بالسلطة الاجتماعية .

وقد تُستعمل الإشارات بديلاً عن الاتصال اللفظي فتكون مستقلّة في دلالاتها عن قصد المُرسل، إذ يتجسد بها الخطاب، ولأنها ليست ألفاظا من حيث التصنيف فهي لا تلحق باللفظ [10]، فقد استعملها كفّار مكة، فجاءت تعبيراً عن السخرية والاستهزاء عندما كان المسلمون يمرّون من أمامهم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [11]، فالغمز هنا استهزاء وسخرية عبّروا بها بديلاً عن الاتصال اللفظي، فتكون الرسالة مفهومة للمُرسَل إليه. يقول الراغب الاصفهاني: ((أصل الغَمْز إشارة بالجفن أو اليد طلباً إلى ما فيه مُعاب ومنه قيل: ما في فلان غميزة، أي نقيصة يُشار بها إليه)) [12] ، فهنا يشير

---

(1) سورة هود :٣١.
(2) ينظر : الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم : ٢١٥.
(3) المفردات في غريب القرآن :٢٨٣ .
(4) روح المعاني : ٤٣/١٢.
(5) ينظر : مجمع البيان : ٥ / ٢٠٣.
(6) الميزان في تفسير القرآن : ١٠ /٢٠٤.
(7) سورة هود : ٢٧.
(8) ينظر إرشاد العقل السليم : ٢٠٣/٤.
(9) ينظر : التحرير والتنوير : ٥٨/١٢.
(10) استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية:٣٨١/٢.
(11) سورة المطففين :٣٠ .
(12) المفردات في غريب القرآن :٤٨١.

الكافرون بعضهم إلى بعض بالأعين والحواجب استهزاءً بهم ويتفكّهون بذكرهم والسخرية منهم [١] بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ [٢]، وينسبون[*] المسلمين إلى الضلال ﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ [٣] ، الغمز هنا إشارة بطرف خفي لقصد تنبيه الناظر من دون إعلان السخرية بهم اتقاء المسلمين عندما كثروا في مكة، فيحصل عند مرورهم بالمسلمين ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ﴾، أمَا في مجالسهم ونواديهم فيسخرون جهرة [٤] في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ [٥]، ولأنّ السخرية تهديد لوجه المتلقي وقطع التواصل الذي يتطلب نجاحه المداراة وتخفيف العبارات باستعمال أساليب غير مباشرة لجؤوا إلى الغمز بوصفه أسلوباً غير مباشر للسخرية [٦] في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ [٧]، وجاء التغامُز على صيغة (التفاعُل) للدلالة على أنّه سلوك متبادل بينهم، وهي إشارات مفهومة ومتبادلة بينهم[٨] فالسياق يبين أنّهم كانوا يسخرون من المسلمين فلمّا كان التواصل بالغمز اكتسبت الرسالة غير الملفوظة لاعتبارات سياقية صفة السخرية .

إنَّ السلطة تبدو في هذه السيميائية الدالّة على الاستهزاء في أوضح صورها في الصراع بين قوة مهيمنة متسلطة وقوة ضعيفة في عددها وعدتها فيصبح الصراع (شكلاً جماعياً)، وذلك من جماعة، أو عشيرة، أو طبقة اجتماعية تشترك في مصالح معينة كطبقة النبلاء في المجتمع الأوربي، أو بني إسرائيل في عصر عيسى–عليه السلام–أو طبقة الكهنوت في عصر سيطرة الكنيسة، أو طبقات أصحاب رؤوس الأموال، إذ تصبح هذه الطبقات قوية مقابل الطبقات الأخرى بسبب احتكارها وهيمنتها وتسلطها [٩] .

---

(١) ينظر الكشاف :٣٣٩/٦ ، ومجمع البيان : ٢٣٠/١٠.
(٢) سورة المطففين :٣١.
(*) يعني بهم كفار مكة منهم أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل كانوا يسخرون من الذين آمنوا مع الرسول محمد (ص) منهم عمار وخباب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين (يضحكون) استهزاء بهم . ينظر: اللباب في علوم الكتاب :٢٢٣/٢٠.
(٣) سورة المطففين :٣٢ .
(٤) ينظر التحرير والتنوير : ٣٠ /٢١١ .
(٥) سورة المطففين :٢٩.
(٦) ينظر : تهديد وجه المتلقي وانتهاكه في الخطاب العلوي نهج البلاغة اختياراً ،د.علي فرحان جواد، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، العدد/٢، المجلد /١٣، ٢٠٢٠ :٥٧٤.
(٧) سورة المطففين :٢٩.
(٨) ينظر : الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم :٢٣٠.
(٩) ينظر: المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ، محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الأشرف ،٢٠٠٦ :٣٣٠.

وتأتي السخرية مصاحبة للتواصل اللفظي فتظهر حركة العين عند الكافرين من أهل مكة بإشارات وترامُق في نظرات العيون فيما بينهم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾ [1]، قال الزمخشري: في قوله تعالى: ﴿نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ ((تغامزوا بالعيون إنكاراً للوحي وسخرية به قائلين:هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ من المسلمين لننصرف؛ فإنّا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك ونخاف الافتضاح بينهم))[2]، وهذا النظر يدلُّ على أنهم كانوا حاضرين في مجلس النبي-صلى الله عليه وآله وسلم-لتعلُّق النظر بأداة الظرفية(إذا) فتعيّن أنْ يكون النظر حاصلاً وقت النزول، وأنّ هذه السورة مشتملة على كشف أسرارهم وفضح مكرهم، فكانوا متعجبين من ظهور أحوالهم، لذلك اكتفوا بالتناظر[3]، بحركات العين وهي مؤشر للإنكار والسخرية بالآيات القرآنية فيما بينهم، فالرسالة غير المنطوقة شفرة استعملوها حتى لا يراهم أحداً، لذلك صاحبتها رسالة منطوقة﴿هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ﴾، وفي صفة هؤلاء فقد وصفهم القرآن الكريم في آية سابقة بمقابلتهم مع المؤمنين في قوله تعالى: ﴿إِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [4]، فالمقابلة بين الذين في قلوبهم مرض وبين من آمن دلالة على أنّ هؤلاء قلوبهم خالية من الإيمان لصحيح، وإنما الشكّ أو الجحد وكيفا كان فهو الكفر، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾، فالآية أوضحت خصيصة من خصائصهم وهي النفاق.

ثانياً: التواصل بحركة اليد:

تمثِّل حركة اليد أهمّية كبرى في فهم الملفوظ، فيستعمل المُرسِل يده للدلالة على بعض المعاني المصاحبة لعملية التلفُّظ، فتدلّ على النداء، والأمر، أو الاستفهام، أو التأكيد، فتختلف من حيث وضعية

(1) سورة التوبة : ١٢٧.
(2) الكشاف :١١٠/٣ .
(3) ينظر: التحرير والتنوير:٦٨/١١-٦٩.
(4) سورة التوبة :١٢٤-١٢٥.

الاستعمال، فيهدف المُرسِل من استعمال يديه إلى إنجاز هدف اتصالي، وتنظيم لما يدور في ذهنه من أفكار، ويظهر المُرسِل بأدائه بعض الحركات تعاوناً بين الأنشطة الكلامية الاتصالية والأنشطة الحركية الجسدية فتكتمل عملية التفاعل بين حركة اليد ونشاط الذهن [١]، فللإشارات وحركات اليد أثر كبير في عملية الاتصال فهي كل حركة تنبئ عن دلالة معينة، فهي إذاً وسيلة اتصالٍ غير لفظي يقلُّ نظيرها وتكون في مقاميات بديلاً عن الكلام [٢]، وتُسهم الكفّان بأصابعهما في التعبير عن انفعالات المتكلم وأفكاره وتسعى إلى تدعيم المعاني والدلالات وإكمال القصور وجبر العجز اللتان يشعر بهما المتكلم تجاه اللغة [٣]، وقد جاءت هذه العلامات لتدلّ على معانٍ مختلفة في خطاب الكافرين في القرآن الكريم.

فاستعمل الكافرون حركة اليد إشارة إلى الإعراض والإنكار، فظهر هذا المعنى من الحركة الجسدية في إنكار دعوة نوح–عليه السلام–في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [٤]، فعبَّروا هنا عن الإنكار بحركتين: الأولى: وضع الأصبع في الأذن حتى لا يسمعوا نداء الحقّ، والأخرى: وضع الثياب على وجوههم كراهة النظر لمن ينصحهم [٥]، و يقول أبو حيان: ((كناية عن إعراضهم عمّا دعاهم إليه فهي بمنزلة من سدّ سمعه ومنع بصره)) [٦]، فاليد التي تغطي اللحية، أو عندما تلمس وجهك حينما يتحدث إليك شخص فتعني أنك لا تصدق ما يجري أمامك [٧]، ولأنّ الاتصال غير اللفظي أعلى إفصاحاً من لغة الكلام في التعبير عن المشاعر والأمزجة، فالفرق بينه وبين الاتصال اللفظي الاتصال اللفظي يحمل الأفكار والمعطيات والمعلومات في حين أنّ لغة السيمياء تحمل على عاتقها عبء نقل المشاعر الحقيقية وليس من السهل تزييفها [٨]، وربما هي أكثر مما في الرسائل اللفظية، لذلك عبّروا بالحركة الجسدية هنا من دون اللفظ لشدّة الاستكبار والعناد، فإنّ الحركة الجسدية منهم أوصلت رسالة إلى النبي نوح–عليه السلام–بأنهم لا

(١) ينظر: الوصائل في تحليل المحادثة دراسة في استراتيجيات الخطاب:٢٥٤.
(٢) ينظر البيان بلا لسان دراسة في لغة الجسد :٥٥.
(٣) ينظر : أسرار لغة الجسد وكيفية ادارة الجسم البشري ، مستور سالم أبو تلات، مطبعة سامر الأسكندرية :١١٩ .
(٤) سورة نوح : ٧.
(٥) ينظر : الكشاف :٢١٤/٦.
(٦) البحر المحيط :٣٣٢/٨.
(٧) ينظر : الفراسة قراءة البشر عن بعد ، أحمد بهيج، مكتبة الهلال للنشر والتوزيع، القاهرة : ٣٠ .
(٨) ينظر: التواصل غير اللفظي في الإبانة والتواصل نماذج تطبيقية ومقولات:٢٥.

يؤمنوا أبداً مهما تكرّرت عليهم الدعوة والنصيحة، وهذا أسلوب يجترحه الطغاة والقامعون في الصدِّ عن استماع الآخر، فالقامع يبادر قبل غيره لسدِّ أذنيه عن سماع الآخر مع أنّ الاستماع بداية للتواصل مع الآخر ومحاكمة أفكاره ونقدها [١]، فهم بهذه الحركة السيميائية أوصدوا باب الحوار مع نبيهم وقد مارس الكافرون مع النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– الأسلوب نفسه في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [٢]

وجاءت الحركة الجسدية الثانية مبالغة في الإنكار، أي تعضيداً لسدّ آذانهم؛ لئلا يسمعوا كلامه ولا ينظروا إلى إشاراته، أمّا جعل الأصابع في الآذان نسق اعتاده قوم نوح فإذا أراد أحدهم أن يظهر كراهية لأحدٍ يجعل أصبعيه في أذنيه [٣]، تختلف العلامة بحسب نوع الحركة المؤداة، فكلّ حركة في الواقع هي إنجاز لمشروع تقافي [٤]، فالإشارة بالأصبع إحدى الإشارات المُسيئة التي يظهرها الشخص، أو قد تكون مؤشراً لاحتمالية حصول مشاجرات وتنافر [٥]، فقد عبّر قوم نوح–عليه السلام–عن موقفهم الرافض لدعوته بحركة دلّت دلالة واضحة ليس فقط على رفض قبول الدعوة، بل على رفض الاستعداد لسماعها [٦].

ومن التعبيرات المُنجَزة بحركة اليد في التواصل غير اللفظي عند الكافرين التي جاء معزّزة للرسالة اللغوية ومؤكدة لها في إشارة أخرى تدلّ على التكبُّر والإنكار وفيها إعراض عمّا جاءت به الرُسُل في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَاهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾ [٧] قال الزمخشري : ((فعضّوها غيضاً وضجراً مما جاءت به الرُسُل، أو ضحكاً واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده في فمه، أو أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به .... ، أو

(١) ينظر: الآخر في القرآن:٦٠.
(٢)سورة فصلت:٢٦ .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/١٩٥-١٩٦.
(٤) ينظر : السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، د.سعيد بنكَراد، دار الأمان ، الرباط ،ط/١ ، ٢٠١٥ :١٤٠ .
(٥) ينظر : ما يقوله كل جسد:١٥٤-١٥٥.
(٦)ينظر : الاتصال الصامت وعمقه التأثيري في الآخرين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، عودة عبد عودة، مجلة المسلم المعاصر، العدد/١١٢، ٢٠٠٤ :٣٠.
(٧) سورة إبراهيم : ٩ .

وضعوها على أفواههم يقولون للأنبياء اطبقوا أفواهكم واسكتوا)) [١]، وفي هذه الوجوه قد حملت حركة اليد التكبُّر سواء شدة الغيض أو التكذيب، أو علامة على طلب السكوت، ويطلق على هذه العلامة (الترادف الحركي) التي يشترك فيها عضوان أو أكثر من أعضاء الجسد في إحداث حركة جسدية مركبة، بإيمائهم إلى السكوت باليد والفم [٢] .

وقد علّل الدارسون توسيع دائرة الدلالات لهذه الحركة غياب السياق البصري لحركة الأيدي، وغياب السياق النفسي للكفّار المخاطبين، و حركة التنغيم الفسيولوجي تقتضي مشهداً بصرياً لحركة الأيدي[٣]، وهذا يدعونا إلى القول بأنّ الحركة الجسدية هنا جاءت لتأكيد معنى الإنكار، لذا جاؤوا بعدها باستراتيجية لفظية: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾، ويؤكد هذه المعنى ما قاله الراغب الاصفهاني: ((واستعمال الردّ في ذلك تنبيهاً أنهم فعلوا ذلك مرة بعد أخرى))[٤]، إذ أنَّ من دواعي الاستراتيجية السيميائية تأكيد المقاطع المُهمّة في النظام اللفظي [٥] .

ثالثاً: التواصل بتعبيرات الوجه:

تُصنَّف حركات الوجه من الحركات الفطرية التي يكون الباعث فيها فطري خَلْقي ليست من الحركات المكتسبة التي تتخلق عند الإنسان بالاكتساب والتعلُّم، التي تتردد بين ستة معانٍ تسمّى (الإنفعالات الستة) العالمية، وهي مما يتوصل إليه بالوجه بتعبيرات وإيماءات تحمل معانيَ تُقتبس من المجرى الصامت منها ما يدلّ على السرور، ومنها ما يدلّ على الخوف، أو الغضب، أو الاشمئزاز، أو التعجب، ودلالات أخرى مثل: الراحة، أو العبادة ،أو الضلال، أو الاستسلام [٦] .

---

(١) الكشاف : ٣٦٥/٣.
(٢) ينظر: دلالة الحركات الجسدية في الخطاب القرآني، ولد النبيه يوسف (أطروحة دكتوراه مخطوطة) ، إشراف، د.عشراتي سليمان جامعة وهران ، الجمهورية الجزائرية ، ٢٠١١: ٢٢٨-٢٢٩.
(٣) ينظر : لغة الجسد في القرآن الكريم (بحث) .
(٤) المفردات في غريب القرآن :٢٥٩.
(٥) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٣٦٩/٢.
(٦) ينظر : البيان بلا لسان :١٨٢-١٨٣ .

ومن الباحثين من يذهب إلى أنّ الوظيفة الأساسية للوجه هي تحقيق التواصُل، وليست التعبير عن هذه الإنفعالات [١]، فتنقل تعبيرات الوجه المختلفة بالهيأة العامة، أو بالحركة الدالّة ما يرمي إليه أحد المشاركين إلى توصيله إلى غيره في واقعة اتصالية مثل: الرضا، أو الغضب، أو السرور، النفور، أو الحضّ والتحذير [٢] ، وتعبيرات الوجه في التراث وفي التواصل بوصفها حركة دالّة على معنى ولها أثر في تحقيق التواصل ما قاله الجاحظ(ت٢٥٥هـ): ((من تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة، وإطالة الحديث عند المواكلة))[٣]، وقد ورد بعضٌ من هذه التعبيرات على وجوه الكافرين تعبيراً عن حالات مختلفة في مواقف مختلفة.

ومن تعبيرات الوجه ما استعملها الكافرون بديلاً عن الاتصال اللفظي، فاتخذت هذه التعبيرات عند الكافرين من أهلّ مكة أشكالاً منها العبوس والإنكار عند سماع القرآن قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۚ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[٤]، لقد جمع الراغب الاصفهاني(ت٥٠٢هـ) كلَّ دلالات المنكر في بيان هذه الآية بقوله: ((المنكر كلّ فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول فتحكم بقبحه الشريعة))[٥]، و قال صاحب الكشاف: ((المنكر: الفظيع من التجهم والبسور))[٦]، فعبّروا بتعبيرات وجوههم عن الكراهية والعبوس، ومعرفة الإنكار في وجوههم معرفة أثر الإنكار والكراهية [٧]، وهو الغضب الذي يُقارب أن يتحقق فعلاً بقوله تعالى: ﴿ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾، أي يقاربون أنْ يصولوا على الذين يتلون عليهم الآيات من شدّة الغضب، والغيض بسبب ما أصابهم من الكراهة من سماع القرآن [٨].

ويُلحظ أثر التواصل غير اللفظي في التعبير عن القصد، فما أراد المُرسِل توصيله في الحوار بسلوك حركي بتعبير وجهه قصد منه الإنكار، فجعلها النبي–صلى الله عليه وآله وسلم–بمنزلة الألفاظ، ففرع عليها ما

(١) ينظر: التواصل الإنساني دراسة لسانية، د.محمد إسماعيلي علوي، كنوز المعرفة، ط/١، ٢٠١٣ :٧٦.
(٢) ينظر: العبارة والإشارة:١٥٧.
(٣) البيان والتبيين :١٠/١.
(٤) سورة الحج : ٧٢.
(٥) المفردات في غريب القرآن :٦٥٩.
(٦) الكشاف : ٢١١/٤.
(٧) ينظر: مجمع البيان : ١٢٤/٧ ، والميزان في تفسير القرآن : ٤١٠/١٤
(٨) ينظر: التحرير والتنوير : ٣٣٥/١٧.

هو جواب عن كلام [1]، فردّ عليهم بقوله تعالى: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [2] ، فالشرُّ الذي هم عليه ما أظهروه في سيمياء الوجه من الضجر بسبب ما سمعوه من آيات الله، فأوعدهم بالنار نتيجة كفرهم وغيضهم على التالين القرآن.

ويُلحظ في موضع آخر تعبير الوجه إظهاراً للكراهية عند أحد الكافرين[*] من أهل مكة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾ [3]، فأظهرت تعبيرات الوجه في قوله: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ الكراهة والتكبُّر ، ((أي كلح وكره وجهه، ونظر بكراهة شديدة كالمتَّهم المُتفكِّر في الشيء)) [4]، والعبس: قطَّب وجهه لما استعصى عليه ما يصف به القرآن ولم يجد مطعناً ومغمزاً، والبسر كلح وجهه وتغير لونه خوفاً وكمداً حين لم يجد ما يشفي غليله من طعن في القرآن[5]، وقال الراغب: ((أظهر العبوس قبل أوانه وفي غير وقته)) [6]، ثمَّ أظهرت حركة جسدية أخرى وهي هيأة إدباره في مقامه وتكبُّره فيما قال، وهاتان الحركتان الجسديتان عبّرتا عن التكبّر والعناد وأوصلتا رسالةً صامتةً مفادها إنكار الإيمان، فالمُرسِل يعبِّر من إنجازه الحركات عن وظائف متعددة لا تمكّنه اللغة من التعبير عنها، لذا يعمد إلى القيام بحركات جسدية تصاحب عملية التلفظ [7]، وتساعد هذه الحركات في فهم قصد الملفوظ وتأويله، بل أحياناً تكون أكثر تفاعلاً وإنسجاماً في تعبيرها عن المقاصد [8]، فحركة العبوس

---

(1) ينظر: المصدرنفسه :٣٣٦/١٧.

(2) سورة الحج :٧٢.

(*) هو الوليد بن المغيرة ، ويروى أن النبي قام إلى المسجد والوليد قريب منه يسمع قراءته وهو يقرأ سورة : ﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ غافر (١-٣)، ففطن النبي (ص) له فأعاد قراءة الآية فانطلق الوليد إلى مجلس بني مخزوم ، فقال : لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الأنس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنَّ أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلو وما يعليه ، ثم انصرف إلى منزله وقالت قريش : صبأ ، أي خرج من دينه فذهب له أبو جهل فقال مالي أراك حزينا، قال هذه قريش يعيبونك ويزعمون أنك زين كلام محمد، فقام مع أبي جهل حتى أتى قومه فسألهم عن الشبهات التي ألصقت بالنبي : الجنون والشعر والكذب فنزهه عنها، فقالوا :إذن ما هو ؟ فتفكر قليلا فقال: ما هو إلا ساحر. ينظر: مجمع البيان / ١٠/ ١٣٦-١٣٧

(2) سورة المدثر : ١٨-٢٥.

(4) مجمع البيان : ١٣٨/١٠ .

(5) ينظر : التحرير والتنوير :٣١٠/٢٩ .

(6) المفردات في غريب القرآن : ٧٠ .

(7) ينظر: الوصائل في تحليل المحادثة:٢٥١.

(8) ينظر: المرجع نفسه :٢٥٣.

والإدبار عبَّر عن الحالة النفسية من قوله: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾، فاشترك الاتصال اللفظي وغير اللفظي لبيان حالة الإنكار والكراهية.

يظهر من حركة وجه الوليد إنه تحيّر في إصدار القرار؛ لأنّه مدح القرآن من حيث لا يدري، فأصبح موقفه مهزوزاً أمام قومه فهو صاحب السلطة، والأموال، والجاه، إذ كان يُسَّمى وحيداً في قريش؛ لأنّه قال لهم: أنا أتوحد بكسوة البيت سنة وعليكم وجماعتكم سنة، وكانت له عبيد وبنين [١]، فكانت نتيجة تفكيره ونظره قوله: ﴿فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾، الذي يظهر عداءه للقرآن بعد تفكره الشيطاني، وهو أيضاً إقرار ضمني بإعجاز القرآن وليس للقرآن أي علاقة بأعمال السحرة [٢] .

ومن الحركات التي تضاف إلى الوجه تصعير الخد وثني العطف، ومن الدارسين من يثبتها في موضع آخر، ومنهم من يلحقها بمبحث الوجه لما بين الوجه وهاتين الحركتين من وشائج ، وكون الدراسة تتناول خطاب الشرّ عند الكافرين فنقف عند الحركة الثانية وهي ثني العطف، التي يستدل بها على معنى الكبر والإعراض [٣]، وقد جاءت هذه الحركة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [٤] ، يقول عنها الزمخشري في الكشاف: ((عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد وليّ الجيد، وقيل: الإعراض عن الذكر)) [٥]، وذكر القرطبي(ت٦٧١هـ) لهذه الحركة الجسدية دلالتين: أحدها : تدلُّ على المرح والتعظيم، وثانيهاً: الإعراض عن الذكر، والمعنى عنده الإعراض عن الذكر في جداله ومولّ عن النظر في كلامه[٦]، ومهما يكن تأويل هذه العلامة فإنها تبقى في حدود التكبر، والخيلاء، والإعراض، وهذه الصفات تنطبق على حالة أبي جهل فهو المراد هنا [٧]، أو هم الرؤساء المتبوعين وعبارة (ليضلّ) قصد الإعراض، أي أنهم قادة الضلال يستخفّون بآيات الله والهداية الإلهية لتضليل الناس [٨] .

---

(١) ينظر : الميزان : ٢٠/١٠٠- ١٠١.
(٢) ينظر:الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزَل، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث ، ط/ ٢ ، ٢٠٠٥ : ١٩/ ١٢٣-١٢٤ .
(٣) ينظر : البيان بلا لسان :١٨٥ -١٨٦.
(٤) سورة الحج :٨-٩.
(٥) الكشاف : ١٧٩/٤.
(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن الكريم :١٤.
(٧) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٠٨/١٧.
(٨) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٣٥٠/١٤ ، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٢٠٢/١٠.

ويبدو هنا الخطاب السلطوي الأكابري من الحركة الجسدية الدالة على الإعراض والتكبُّر، فأغلب مفاسد العالم من نتاج أصحاب هذا المظهر، الذين يمثلون عقبة حقيقية أمام حركات الإصلاح في المجتمعات [1]، لذا ترتّب على هذا الإضلال كثرة العذاب؛ لأنَّ عليهم أوزار من عملوا بها فقد ذكر القرآن نوع عذاب هولاء في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ .

رابعاً: التواصل بحركة الرأس:

تتباين مقاصد حركات وهيآت الرأس بتباين الحالة النفسية كحركة تنبئ عن الرفض، أو القبول، أو الاستهزاء، أو الإنكار، أو التحية، وقد جمع المختصّون في لغة الجسد ثلاث حركات للرأس: الرأس الخفيض الذي قد يكون له محمولات دلالات تتعين بالسياق كالخجل والخوف، أو الخضوع، أو الاستسلام، أو الضعف، أو الجبن، وثانيها الرأس المرفوع الذي يُلمَح منه إلى الكبر والتعالي، أو العداء أو الإباء، وثالثها الرأس المنحني المنثني إلى جانب فقد يومئ إلى الفتنة، أو الغواية، أو الملاطفة، أو الحنان[2] وفي جميع هذه الحالات فإن حركة الرأس تشير إلى ما يختلج في داخل الإنسان من تفكير، إذ تؤكّد حركة الرأس معنى الخطاب حين يهزُّ المخاطِب للإيجاب أو الرفض بتحريكه عمودياً وأفقياً [3]، وقد نقل لنا القرآن الكريم حركات الرأس عند الكافرين أنبأت عن مقاصدهم.

منها حركات الرأس التي تكون تعبيراً عن السخرية، فجاءت هذه الحركة عند الكافرين في قوله تعالى: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾[4]، فيظهر من الآية المباركة أنّ طرفي التواصل هما النبي محمد–صلى الله عليه وآله وسلم– والطرف الآخر هم الكافرون الذين ينكرون الحياة بعد الموت بقولهم: ﴿مَن يُعِيدُنَا ۖ﴾ فيأتي التبليغ الإلهي ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ﴾، أي من قدر على ابتداء الشيء يكون قادراً

(1) ينظر : خطاب السلطة في القرآن الكريم :٩٣ .
(2) ينظر : البيان بلا لسان :١٧٠.
(3) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:٣٧٩/٢.
(4) سورة الإسراء :٥١ .

على إعادته، فيكون ردهم بحركة جسدية تصاحب الملفوظ تدلّ على الاستهزاء، والاستخفاف، والاستبطاء[١]، ويضع لهذه العلامة الطاهر ابن عاشور وصفاً دقيقاً فيقول: ((الإنغاض: التحريك من الأعلى إلى الأسفل والعكس فإنغاض الرأس تحريكه كذلك، وهو تحريك استهزاء))[٢]، فسيمياء الرأس هنا قد قطعت الاتصال وهو استرسال الحوار الذي جاء في صيغته اللغوية، وكأنّ هذه العلامة جاءت لتترجم موقفاً نفسياً وهي تصور الأثر النفسي الذي يسيطر عليهم وهم يتلقون الأجوبة عن سؤالاتهم [٣] .

يُلحظ أنَّ هذه الحركة الجسدية جاءت لتؤدي وظيفة تعبيرية أسهمت في عملية الاتصال وأرشدت المُرسل إليه وهو النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– إلى القصد وهو السخرية، وناسبت الفعل الكلامي الذي جاء بعدها﴿مَتَىٰ هُوَ﴾ وهو سؤالهم عن البعث الذي استلزم الإنكار والتهكم، فقد بيَّنت الحركة القصد من السؤال الذي جاء مصاحباً للحركة الجسدية المعبِّرة عن السخرية.

خامساً: حركة المشي:

من لغات الاتصال غير اللفظي (لغة الحركة أو الأفعال Action Language) التي ينقل الإنسان بها ما يريد [٤] هو المشي، لا يقتصر كونه حركة جسدية فيزيائية يؤديها الإنسان في حياته اليومية، وإنما يدخل في النظام غير اللفظي (السيميائي) يعبِّر في كثير من الأحيان عن رسالة تؤدي وظيفتها في التواصل متخذاً هيآت مختلفة سرعة أو بطئاً أو تبختراً أو تواضعاً، فضلاً عن إنّه يؤدي وظيفة إخبارية حينما يكشف عن هوية صاحبه لاختصاص كل إنسان بحركة مُعينة [٥] ، فمشية الصبي ليست كمشية الشاب، وتتباين هيأة المشي بتباين الحالة النفسية كمشية الخائف، والمرض، والمثقل[٦]، وقد ورد المشي كثيراً في القرآن الكريم ضمن الاتصال غير اللفظي مُعبِّراً عن مقاصد مختلفة، لكنَّ البحث وقف على الآيات القرآنية التي حملت دلالة الشرِّ عند الكافرين من دون غيرها.

(١) ينظر مجمع البيان : ١٩٧/٦.
(٢) التحرير والتنوير : ١٢٨/١٥.
(٣) ينظر: التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة : ١٢٦.
(٤) ينظر: الاتصال ونظرياته المعاصرة :٢٧.
(٥) ينظر : دلالة الحركات الجسدية في الخطاب القرآني(أطروحة دكتوراه):٢٨٠.
(٦) ينظر: البيان بلا لسان : ١٠٥.

جاء المشي ضمن الاتصال غير اللفظي(السيميائي) عند الكافرين من قوم لوط–عليه السلام–مُعبِّراً عن هيأة التدافُع والتسابُق إلى الفاحشة حينما سمعوا بقدوم ضيف نبيهم في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ [1]، والهرع: السوق بعنف وتخويف، والصفة منه الهرِع السريع المشي[2]، واشترط الثعالبي لهذه الهيأة من المشي الرِّعدة، فقال: ((لا إهراع إلاّ إذا كان معه رِعدة)) [3]، وجاء الإسراع هنا تعبيراً عن طلب الفاحشة، وقيل يساقون، أي بعضهم يسوق بعضا كأنما يدفعون دفعا [4] .

والذي جعل العلامة دالّة على الفاحشة قوله تعالى: ﴿وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾، فصارت لهم دأب لا يسعون إلّا لأجله، لذا بادرهم لوط–عليه السلام–بقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾؛ لأنّه عرف الغرض من مجيئهم من دون أن يقولوا شيئاً، إذ أنبأت الحركة الجسدية وهي(الإهراع) عن قصدهم، فافتتح كلامه مستعملا استراتيجية تضامنية أراد منها أن يستميلهم ويرقّق نفوسهم؛ لأنّه يعلم تصلبَّهم بعادتهم القبيحة [5].

تعبِّر حركة المشي في التواصل غير اللفظي عن التكبُّر، فجاءت عند الكافرين بديلاً عن اللفظ، فالتكبُّر من أبرز سمات الكافرين الذي تمثّل في الحركة الجسدية (المشي) ومثالها قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ٣٣ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ٣٥﴾ [6]،﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ أحد أنواع المشي التي ذكرها التعالبي(ت٤٣٠هـ)، فقال:((المُطيطاء مِشية

(1) سورة هود : ٧٨.
(2) ينظر : المفردات في غريب القرآن :٦٧٤.
(3) فقه اللغة وأسرار العربية، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، ضبط وتعليق ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية بيروت، ط/٢ ،٢٠٠٠: ٦٠.
(4) ينظر: الكشاف : ٢١٩/٣ ، ومجمع البيان : ٢٤٣/٥.
(5) ينظر: التحرير والتنوير : ١٢٦/١٢.
(6) سورة القيامة : ٣١-٣٥.

المتبختر ومدُّه يده))[1]، إذ عبَّرت هنا عن التكبّر ورفض ما جاء به النبي-صلى الله عليه وآله وسلم-، والمعنى يرجع إليهم يتبختر ويختال في مشيته، والمقصود هنا أبو جهل[*] بعد أن أعرض عن الرسول محمد[2].

إنَّ رسالة أبي جهل قد وصلت إلى النبي-صلى الله عليه وآله وسلم- وهي الإعراض والتولي من هيأة المشي، إذ لم يعبِّر القرآن الكريم عن مقالته، بل وصف حال الإعراض من هذه الحركة الجسدية، فقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ إظهار الحجود والتولي عن الطاعة متبختراً [3]، ويقول الشعراوي: ((نستطيع أن نتلمس تطاول أعضاء من يتمطّى بعد شدّ العضلات من الوقوف في الشدّة على الطاء، الذي تتبعه الألف المقصورة ذات المد الطويل، وهذا المدّ يمثل إنفراج الأعضاء وتعالي الرجل في مباهاة و خيلاء))[4]، وقد ربط الدكتور السامرائي بين الآيتين في قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ بآية سابقة في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ بأنّه أحبَّ العاجلة، فكذب وترك الآخرة [5]، وحبّ الدنيا والجاه والتعالي تمثل مظهر السلطة، الذي رفض بسببها الإذعان والانصياع لأوامر الله سبحانه وتعالى.

سادساً: التطريز الصوتي:

وتسمّى هذه العلامات بما فوق اللغة (paralanuage) ويتحقق جزء منها في الجهاز الصوتي في الخطاب المنطوق كالنبر والتنغيم، إذ يكمن دورها في تغيير دلالة الخطاب، إذ يتضمن خطابات موازية

(1) فقه اللغة وأسرار العربية : ٢٢٢.
(*) قيل إن الرسول خرج من المسجد فاستقبله أبو جهل في باب بني مخزوم ، فأخذ رسول الله فلبّب أبا جهل بثيابه وقال له قوله تعالى : ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ ، الذي هو لا شكّ تهديد ، فقال أبو جهل يتهددني محمد ، فوالله إني لأعزُّ أهل الوادي فأنزل الله قوله تعالى : ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ وهو تأكيد للدعاء عليه . ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢١/ ٤٣٨-٤٣٩، ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩ /٤٦٤ .
(2) مجمع البيان : ١٥٦/١٠ ، و ينظر البحر المحيط : ٣٨٢/٨.
(3) ينظر : روح المعاني :١٤٨/٢٩.
(4) تفسير الشعراوي : ١٦٥٨٦.
(5) ينظر: لمسات بيانية في نصوص التنزيل ، د.فاضل صالح السامرائي ، دار عمار، عمّان، ط/٣، ٢٠٠٣ :٢٢٥.

يستغني بها المرسل عن التلفظ، وقد تتنوع مقاصد الخطاب الواحد من أجل تنوع تطريزه الصوتي[١]، ويدخل هذا النوع من الإشارات في تقسيم (راندال هاريسون Randall Harrison) ضمن رموز الأداء (Performance Code)، أو ما أطلق عليه شبه اللغة مثل: نوعية الصوت والكحة والضحك[٢].

وقد جاءت السيميائيات الصوتية ضمن اللغة الصامتة عند الكافرين أرادوا منها تحريف القرآن وتغيير صورته ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٣]، فـ ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم ﴾ ((يفتلونها بقراءته عن الصحيح إلى المحرَّف)) [٤]، وهم جماعة[*] كتبوا بأيديهم ما ليس في كتاب الله وأضافوا إلى كتاب الله اليهود، والليّ في اللغة :الفتل، ومنه ليّ اليد بمعنى فتلها وهي طريقة في تحريف الكتاب لياً باللسان؛ ليظنه المسلمون من الكتاب، ولكنّه من اختراعهم وابتداعهم [٥]، ((فكأنهم عندما يصلون إلى الآيات التي فيها صفات رسول الله والبشارة بظهوره يغيّرون لحن كلامهم))[٦]، فهي إحدى سمات اليهود لنشر ضلالتهم وينسبونها إلى الله، فهو كذب، وتجرؤ على الله [٧]، ويظهر القصد من التحريف هو خوفهم على سلطتهم و مراكزهم الاجتماعية بين اليهود التي لاحظوها إنّها معرّضّة للخطر [٨].

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :٣٧٧/٢.
(٢) ينظر: الاتصال ونظرياته المعاصرة :٢٧-٢٨.
(٣) سورة آل عمران : ٧٨.
(٤) الكشاف :١/ ٥٧٣ .
(*) هولاء هم جماعة من أحبار اليهود وعلمائهم مثل أبي رافع وحي بن أخطب وكعب بن أشرف عندما عمدوا إلى العلامات المودة في التوراة بشأن خاتم الأنبياء والتي كانوا قد دونوها بأنفسهم فحرفوها وأقسموا على تلك الكتابات المحرفة من الله فنزلت هذ الآية إنذار لهم /، ومن المفسرين من ذهب إنها نزلت في الأشعث بن قيس الذي كان يريد استملاك الأرض عن طريق الكذب والتزوير . ينظر : مجمع البيان: ٢٦٤/٢ .
(٥) ينظر : مجمع البيان :٢٦٥/٢-٢٦٦.
(٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :٣٨٠/٢.
(٧) ينظر: الشخصية اليهودية من خلال القرآن:١٦١.
(٨) ينظر : المرجع نفسه : ٣٧٨/٢.

سابعاً: التواصل باللباس والزينة:

يعدُّ اللباس عنصراً أساساً من عناصر التواصل غير اللفظي، فهو أولّ ما يتنبه إليه كلّ شخص في تواصله مع الآخرين، فهو يزيد من هيبة الشخص واحترامه بين الناس أو التقليل من شأنه بينهم، ويعدُّ عامل تضليل وخداع عندما لا يعكس الوجه الحقيقي لصاحبه، ويساعد أيضاً في رسم معالم الثقافة التي ينتمي إليها الإنسان [١].

فهو أول خطوات التواصل غير اللفظي ويتحدث عن مرتديه، إذ يعطي انطباعاً عن الشخص مع تبيان الشخصية العامّة والخلفية الثقافية والاجتماعية [٢]، ويعدُّ من الأساليب التي تُسهم في الاتصال الجمعي مما يساعد على تكوين صورة طيبة كما في حال القادة، أو الزعماء، فمجرد ظهوره أمام الناس يساعد على إظهار الهيبة، ويضفي عليه مزيداً من السلطة [٣] فوظّف قارون اللباس في التواصل لأهمّية الملابس والجواهر البراقة في التأثير في الآخرين التي صوّرها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾[٤]، فأراد أن يظهر جميع قدرته وقوته ليبدي ما لديه من زينة وثروة [٥]، وهو من دون شكّ استعراض للسطلة وإظهار للهيبة، ((ولهذه الممارسة دلالتها الخاصة، ارتباط الخطاب بذهنية السامع الثقافية إلى التصديق به، فالذين ترسّبت في ذهنيتهم مقولة من يملك المال، يملك السلطة على البلاد والعباد))[٦]، فأراد بهذه الهيأة نقل رسالة إلى المتلقي إنّما هذه الزينة والزخارف والأموال من قدرته وليس من الله تعالى، فأراد في هذا السياق التواصلي صرف الناس عن عبادة الله، لذلك انقسم الناس قسمين: قسم اثّرت فيه صورة قارون فقال: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾فاغتروا بالزخارف العاجلة من غير علم، وقسم آثروا الآجل على العاجل وأرادوا ثواب الله تعالى [٧] .

من هذا يُلحظ الأثر الذي أحدثته السيمياء في المتلقي، ويمكن التعريف منه بأنّ السيميولوجيا هي الإجراءات التواصلية، أي الوسائل المستعملة في التأثير في الآخر[٨] .

---

(١) ينظر: التواصل الإنساني دراسة لسانية:٨٥-٨٦.
(٢) ينظر : التواصل غير اللفظي في الإبانة والتواصل : ٣٦.
(٣) ينظر : سيكولوجية الاتصال والإعلام ، عبد الفتاح محمد دويدار، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٩ :٢٨.
(٤) سورة القصص : ٧٩.
(٥) ينظر : الأمثل في تفسير الكتاب المنزل :١٢/ ٢١٦ .
(٦) خطاب السلطة في القرآن الكريم :١٦٥.
(٧) ينظر: التحرير والتنوير:٢٠/١٨٣-١٨٤.
(٨)ينظر: السيميولوجيا والتواصل، إيريك بويسنس، تر/ جواد بنيس، رؤية للنشر والتوزيع، ط/٢، ٢٠١٧ :٢١ .

الخاتمة

بعد رحلة البحث في رحاب القرآن الكريم؛ للاستكشاف والتنقيب عن خطاب الشرِّ عند الكافرين ومقاصده، وأهدافه مُتمثلاً بأدوات اللغة وآلياتها، ضمن استراتيجيات الخطاب التي تمثَّلت في خمس استراتيجيات خطابية اعتمدها الكافرون تحقيقاً لمقاصد مُعيَّنة، فتمَّ بحمدِ الله ومنِّه، ولابدَّ من استجلاء أهمِّ النتائج التي توصّل البحث إليها:

١-كان للاستراتيجية الطلبية حضورٌ فاعلٌ في خطاب الشرِّ عند الكافرين تمثَّل في قوة السلطة؛ لأنَّ أفعال التوجيه نتيجتها إلزامية بوصفها خاضعة لسلطة المُرسِل مستعملين أفعال التوجيه المباشرة، ويلجأ إليها الكافرون عندما تغلبهم الحجة، أو أنَّ هناك خطراً يُهدّد آلهتهم وعبادتهم، ولم يكن لهم وسيلة أخرى إلّا التوجيه بالإخراج، أو القتل، أو الحرق، وكلّها مظاهر سلطوية تُمارس الإكراه والهيمنة وتحتكم دائماً للقوة بالبطش والتنكيل حرصاً منهم على دوام نفوذهم وسطوتهم على الجماعة، وعادة ما يكون المُرسَل إليه في خطاب التوجيه جمعاً؛ تعزيزاً لقوّة السلطة وكثرة الأتباع.

وتوجيهات أخرى أنجزت لتحقيق مقاصد تعجيزية لإضعاف الخصم، أو لتضليل الناس وإيهامهم، أو لدوام الناس على الوثنية، وكلُّها تصبُّ في صالح السلطة، لذلك توصَّل البحث إلى أنَّ صيغة فعل الأمر المباشرة أكثر أفعال التوجيه حضوراً؛ لقوة السلطة فيها، ولأن الكافرين لم يراعوا مبادئ التأدُّب، والقواعد الأخلاقية في الحوار والمناظرة، فكان في المرتبة الأولى من أفعال الكلام التوجيهية، ويأتي التعليل لفعل عندهم أمّا سخرية، أو نصرة لآلهتهم.

وقدعدِّل الكافرون من إنجازية الفعل الكلامي بالتضعيف، أو التأكيد لتقوية فعل التوجيه، وهذا ما لوحظ في حرق إبراهيم-عليه السلام- (حرّقوه)، وعندما يكون المُرسل في كامل السلطة، فيحرص على دوام تلك السلطة بشتّى الطرائق لإضعاف الخصم بالقتل والتعذيب.

وظَّف الكافرون (النهي) للصدِّ عن الدعوة مع مؤشرات تقوية لإنجازية الفعل الكلامي لأهمية الأمر المنهي عنه.

أمّا (العرض والتحضيض)، فوظفه الكافرون آلية للتعجيز أحياناً، وأحياناً أخرى لتشريفهم مثل طلب نزول الملائكة التي أرادوه أن يكون على رجال منهم، كل ذلك مظهر للسلطة وسيرة الأنا وهيمنة الذات على الآخر،

٢-صنَّف البحث آليات التوجيه بذكر العواقب ضمن الإنشائيات الصريحة، وبحسب تصنيف أوستن من الوعديات التي يلتزم المُرسِل بأدائها، فهي آلية يستدعيها الحدث التواصلي من قوة السلطة والنفوذ والعجز عن الإقناع، إذ تنقطع عند الكافرين سُبُل المناقشة والحوار فيلجؤون إلى لغة التهديد والوعيد.

وتختلف صيغ التهديد بالعاقبة بحسب الفعل الكلامي الطلبي، وقد تكفّل المنهج التداولي بفك شفرات النصوص القرآنية لمعرفة قوة التوجيه وشدته، إذ إنَّ شدة العاقبة وقوتها تكمن في أنَّ من وُجِّه إليهم الخطاب قد آمنوا أو قاربوا على الإيمان.

ويأتي التوجيه بالعاقبة بالوصف أشدّ، لذلك استعمله الكافرون في سياقات لأسباب مختلفة، منها ضعف المواجهة ، أو لمعنى تأثيري يتعلق بسلوك المُرسِل تجاه المرسَل إليه، فيأتي الملفوظ محمّلاً بقيم تعبيرية تزيد من قوة التوجيه مثل: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ الذي استعملوه ضد لوط-عليه السلام- الذي اختلف عن التوجيه ضد شعيب الذي كان معه رهط ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ﴾، واستعملوا الفعل الكلامي نفسه مع الرُسُل﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾، فالمُرسَل إليه هنا جمعاً، لذلك ضعفت قوة التوجيه.

وقد سجّل البحث هذهِ الملاحظ على عاقبة السجن مقارناً بين تهديد فرعون ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾، وتهديد زوج عزيز مصر﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾، فكان تهديد فرعون أشدَّ من تهديدها؛ لأنَّ الرفض في التهديد الأول أشدّ فناسبه الفعل الكلامي الذي جاء بالصفة، وطُبِّق هذا على عاقبة الرجم عند الكافرين بين تهديد قوم نوح-عليه السلام- ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾، وتهديد والد إبراهيم-عليه السلام- ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾الذي كان تهديده أضعف من التهديد الأول بحكم شعور الأبوة.

أمّا التوجيه بألفاظ المعجم، فهو أقلُّ أفعال التوجيه استعمالاً عند الكافرين، فلم يستعملها من الكافرين سوى قوم لوط-عليه السلام-في نهيه عن إجارة أحد، لأن تهديدهم بُني على تحذير سابق فاستعملوا الفعل المعجمي لقوته التوجيهية، ولم يشابه فعلهم قوماً آخرين، لذلك جاء التوجيه باألفاظ المعجم عندهم من دون غيرهم.

٣-يعتمد المُرسِل عادة إلى التلميح بالقصد بتضمينه ملفوظه الذي يتراوح بين التصريح والتلميح، وللسياق أثر في الكشف عن القصد الأصلي ومعرفة ملابسات الخطاب، فيكون المنهج التداولي هو الأنسب في معرفة المقاصد في الاستراتيجية التلميحية.

وتُعدُّ متضمنات القول (الاقتضاء والاستلزام الحواري) من أبرز الآليات في الاستراتيجية التلميحية عند الكافرين للتعبير عن مقاصدهم بطريق غير مباشر، فكان لهما أثرٌ في تضمين مقاصد الكافرين التي تطفو على أغلبها السخرية مع شدّة الأنكار والإصرار على الكفر والافتخار به، وهذا ما لوحظ في الاستلزام الحواري بخرق قاعدة الكم، أمّا خرق قاعدة الكيف فقد استلزمت السخرية والافتخار بفعل الشرّ، وقاعدة العلاقة التي استلزم المعنى عند خرقها العناد والإصرار على فعل الشرِّ.

وقد بيّن الاقتضاء كثيراً من مقاصد الشرِّ عند الكافرين، لذلك اقتضت ألفاظ كثيرة عندهم الإنكار والإصرار الشديد على الكفر والعناد، واقتضت بعض الألفاظ في سياقات محدّدة تلميحاً بفواحش كانوا قد اعتادوا عليها، وهذا ما لوحظ عند قوم لوط–عليه السلام، وأيضا لجأ الكافرون إلى آلية الاقتضاء تضميناً لبعض أقوالهم عندما يعدلوا عن أسلوب المواجهة وأهمّ تلك الاقتضاءات هو نفي الرسالة عن الأنبياء.

٤– بما أنَّ أسباب اللجوء إلى استعمال التلميح هو مبدأ التأدُّب وهو غير حاصل عند الكافرين، لذلك نجد قلّة الأدوات التلميحية مقارنة بالأدوات والآليات التوجيهية، وينطبق هذا الأمر على الآليات البيانية؛ لأنّ جلَّ خطاب الكافرين خطاب جدال، وهذا يتطلب استراتيجية صريحة.

وأظهر الفعل الكلامي غير المباشر في الأفعال الكلامية التوجيهية والإخبارية تعنُّت الكافرين وإنكارهم دعوات الرُسُل وتحقيرهم، وبيّنت (المُلمِّحات) التي استعمل الكافرون منها (ظن) تلميحاً بالسخرية والإنكار، والمُكابرة وحبُّ الرئاسة والسلطة، وجاء التعبير الاصطلاحي عندهم أيضاً تلميحاً بالسخرية والتحدي والصلافة.

جاءت الآليات البيانية عند الكافرين تلميحاً بالاعتراض على الدعوات، فاستعملوها وسائل للرفض بطرائق غير مباشرة، فهي محاولات لثني الرُسُل عن دعواتهم، بوصف التلميح يكون أحياناً أبلغ من التصريح، فجاءت الاستعارة معبِّرة عن الرفض الشديد والامتناع عن الاستماع لما يلقى إليهم، أمّا الكناية فعبَّرت عن التطاول على الله تعالى توهيناً لخصومهم وتثبيتاً لسلطتهم، أمّا التعريض فاستعملوه في التكذيب، والافتراء، والاتهام بالتواطؤ.

٥– يشغل الإقناع مساحة واسعة في خطاب الكافرين، وهذا ما تبيَّن من تحليل خطابهم، وتوزَّع على استراتيجيتين، الأولى الاستراتيجية الحِجاجية متمثّلة بالأدوات اللغوية من الروابط والعوامل الحِجاجية

ونسبة قليلة جداً للآليات البيانية، وقد تبيّن غلبة العوامل الحِجاجية؛ لقوتها الإقناعية، فجاء عامل النفي والاستثناء لإنكار بشرية الرُسُل تثبيتاً لمكانتهم وسلطتهم، لأنهم يرون أنّهم أحقّ بحمل الرسالة.

ووظفوا العامل الحجاجي النفي والاستثناء لأنكار الحياة الأخرى، وأثبات السحر على الأنبياء الذي جاء النفي فيهما أشدّ من نفي البشرية عن الرُسُل مستعملين (إنْ) النافية؛ لأن إثبات السحر وإنكار الحياة الأخرى يتطلب توكيداً أشدّ من إنكار بشرية الرُسُل؛ لأنّ الثانية تعدُّ حقيقة مسلم بها، وجاءت أيضاً الحجّة موجّهة بالعامل(إنّما) للتكذيب واثبات الصلاح لهم، فهذا العامل يُخاطَب به المصرُّ على الخطأ، ويوجّه القول نتيجة محصورة، لذلك جعلوا به التكذيب أمراً ثابتاً عند النبي–صلى الله عليه وآله وسلم– وصلاحهم أيضاً.

استعمل الكافرون رابط التعليل الحجاجي للاعتذار عن إنكارهم الإيمان، ولتبرير كفرهم بحجج إقناعية محمّلة بالاتهام والتكذيب وحجج مثل الإخراج عن الأرض وجلّها يخدم السلطة، وجاءت روابط التساوق الحجاجي لتؤدي وظيفة إقناعية وهي التكذيب والتعجيز، وبيّن البحث أنّ المُخاطب إذا كان حاضراً تكون حجج التعجيز أشدّ؛ لسرعة الاستمالة والاستجابة، أمّا الرابط الحجاجي (بل) فوظفوه بحجة للتكذيب، واتباع سنّة الآباء .

استعمل الكافرون الآليات البيانية (التشبيه، والاستعارة) في نفي الحياة الأخرى، وإنكار نبوة الرسول محمد–صلى الله عليه وآله وسلم–ولاثبات الكذب، وقلّة الآليات البيانية يدلّ على اعتمادهم في الخطاب على الجدل والمحاججة في الإقناع.

٦– أمّا الاستراتيجية الإقناعية، فقد استعملها الكافرون للإقناع فانبنت على حجج باطلة مغالطية تهدف إلى إقناع المتلقي بأية وسيلة، وبيّن البحث أثرها الإقناعي الفاعل؛ لسهولة تمريرها، وتلقيها بوصفها حججاً صحيحة.

٧– خطاب الكافرين خطاب باحث عن سلطة، وهذا لا يتفق مع الاستراتيجية التضامنية بوصفها تتأسس على مبدأ التهذيب والعلاقات الاجتماعية، لذلك انطوت هذه الاستراتيجية على آليات وأدوات محدّدة مقارنة بغيرها، وحاصل التضامن فيها بين الكافرين أنفسهم، إلّا في بعض الآليات مثل (العلم) الذي استعملوه للمخادعة، وإضمار نوايا خبيثة؛ لأن سلطتهم تأبى التآزر والتضامن.

واستعمل الكافرون الإشاريات، المكانية والزمانية، أمّا بقية الإشاريات، فيُلحظ عليه أنها باحثة عن سلطة؛ لأن سياقات استعمالها تدلّ على أن موقفهم كان في حرج والسلطة فيه مهزوزة.

وقد صنّف البحث(المشاورة) ضمن الاستراتيجيات العلائقية؛ لأنها تعبّر عن التضامن، وتطوير التفاعل الخطابي، فجاءت في نطاق المشاورة قرارات انتجتها تمخضت عن الشرِّ بالتحريض على القتل، أو الاتهام بالسحر؛ فهي وسيلة من وسائل الطغاة يستعينون بها غطاءً شرعياً للقمع والإبادة.

ولا تخلو الآلية العلائقية الأخرى(تأنيب الذات) من مقاصد الشرِّ، فهي إمّا اعتراف بالخطأ ضمناً مع عناد ومكابر، أو في مواقف فهي اعتراف بأفعال لا تخلو من الشرِّ.

٨- اعتمد الكافرون في إنتاج خطاب الشرِّ على الاستراتيجية السيميائية أيضاً في كثير من الأحيان، لذلك بيّنت الدراسة أنّ الكافرين وظّفوا هذه الاستراتيجية في خطاب الشرِّ باستعمال حركات الجسد لإظهار شدّة العداوة والبغض، منها حركات العين في التواصل غير اللفظي التي استعاضت عن الاتصال اللفظي لبيان شدّة البغض والعداوة والسخرية، فكانت رسائل مرئية وتمثِّل شفرات يتبادلونها للإنكار والتسفيه وحركات اليد التي عبَّرت عن الإنكار الشديد، أو الغيض والتكبُّر؛ لأن المقام التخطابي يقتضي حركات يصعب التعبير عنها بالاتصال اللفظي، وتعبيرات الوجه وحركة الرأس والمشي والتطريز الصوتي واللباس والزينة، فكان لها دور في إظهار مقاصد الشرِّ ولا تقلُّ أهمية عن التواصل اللفظي، لذلك يُلحظ في كثير من السياقات أنها تسبق الكلام أو تكون بديلا عنه؛ لقدرتها في التأثير في المتلقي.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

الكتب المطبوعة:

- الآخر في القرآن، غالب حسن الشابندر، مركز دراسات فلسفة الدين بغداد، ٢٠٠٥م.
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د.محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر ، ٢٠٠٢م.
- آل حم الجاثية – الأحقاف دراسة في أسرار البيان ، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، ط/١، ٢٠١١ م .
- آليات الحجاج القرآني دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، د.عبد الجليل العشراوي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ط/١، ٢٠١٦ م.
- الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، د.ناديه رمضان، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الإسكندرية - مصر، ط/١، ٢٠١٣م.
- الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم ، د.محمد الأمين موسى أحمد، دار الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، ط/١، ٢٠٠٣م.
- الاتصال ونظرياته المعاصرة، د.حسن عماد مكاوي، د.ليلى حسين السيد ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط/١، ١٩٩٨م.
- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، لبنان، ط/١، ٢٠٠٨م.
- أدب الخطاب في القران الكريم، عبد الرحمن سعود إبداح، دروب للنشر والتوزيع، الأردن ، ٢٠١٦م.
- إرادة المعرفة، ميشيل فوكو، ت/ مطاع صفدي، جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت - لبنان، ١٩٩٠م.
- إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، لبنان (د.ط).
- الإرهاب الفكري (مفهومه.. بعض صوره.. سبل الوقاية منه)، خالد بن عبد الرحمن القريشي، دار الحضارة، السعودية، ط/١ ،٢٠١٩م.
- أساسيات اللغة، ر.ل. تراسك، تر/ رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط/١، ٢٠٠٢م.

• الأساليب الإنشائية في النحو العربي، د.عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط/٥ ، ٢٠٠١م.
• أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د.قيس إسماعيل الأوسي، بيت الحكمة جامعة بغداد، ١٩٨٠م.
• استراتيجيات الخطاب عند الإمام علي مقاربة تداولية، د.باسم خيري خضير، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء - العراق، ط/١ ، ٢٠١٧م.
• استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، د.عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار كنوز المعرفة، عمان– الأردن، ط/٢، ٢٠١٥م.
• استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، د.عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت– لبنان، ط/١، ٢٠٠٤م.
• الاستعارة، تيرنس هوكس، تر/عمر زكريا عبد الله، مراجعة محمد بريري، المركز القومي للترجمة، القاهرة -مصر ، ط/١ ٢٠١٦ م.
• الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها ، د.العياشي أدواري، دار الأمان، الرباط - المغرب، ط/١، ٢٠١١م.
• أسرار لغة الجسد وكيفية ادارة الجسم البشري ، مستور سالم أبو تلات، مطبعة سامر الأسكندرية، مصر، ٢٠١٠م.
• أسس السيميائية، دانيال تشاندلِر، تر/ د. طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت- لبنان، ط/١ ، ٢٠٠٨م.
• أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، د.عبد الحليم حفني، الهيأة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط/٣ ، ١٩٩٥م.
• أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية، د.مثنى كاظم صادق، كلمة للنشر والتوزيع، تونس، ط/١ ،٢٠١٥م.
• الأسلوبية والتداولية مداخل لتحليل الخطاب، د.صابر محمود الحباشة، عالم الكتب الحديث، أربد- الأردن، ط/١، ٢٠١١م.
• الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو-فقه اللغة –البلاغة، د.تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة - مصر، ٢٠٠٠م.
• إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية مختارات معرَّبة، إشراف د.عزّالدين مجوب، تر/ مجموعة من الأساتذة والباحثين، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، تونس، ٢٠١٢م.
• اعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، كمال الملك ، قم - إيران، ط/١، ١٤٢٥هـ .
•الافتراض المسبق بين اللسانيات الحديثة والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، د.هشام عبدالله الخليفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت– لبنان ط/١، ٢٠٢١م.

• الاقتضاء وانسجام الخطاب، د.ريم الهمّامي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط/١ ،٢٠١٣م.
• الأمثل في تفسير الكتاب المُنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، دار إحياء التراث ، بيروت - لبنان ، ط/٢ ٢٠٠٥ م.
• إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية، د.شكري المبخوت، مركز النشر الجامعي، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، ٢٠٠٦م.
• أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف د.حمادي صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس.
• الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد القزويني، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط/١، ٢٠٠٢ م.
• البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، تح/ عادل أحمد عبدالموجود ، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط/١ ، ١٩٩٣م.
• البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تح/ أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة –مصر ،٢٠٠٦ م.
• البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، د.قدور عمران، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط/١، ٢٠١٢م.
• بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، د.عبدالعالي قادا، كنوز المعرفة، عمّان – الأردن، ط/١ ، ٢٠١٦م.
• بلاغة الاقناع في المناظرة، د.عبد اللطيف عادل، منشورات ضفاف، بيروت- لبنان، ط/١، ٢٠١٣.
• بلاغة الخطاب وعلم النص ، د.صلاح فضل ، عالم المعرفة، الكويت ، ١٩٩٢م.
• البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، د.عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، بيروت – لبنان ،ط/١، ١٩٩٦ م.
• البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، د.فضل حسن عباس، دار الفرقان، ، إربد – الأردن، ط/٤ ، ١٩٩٧م.
• البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، علي الجارم ومصطفى أمين ، مؤسسة الصادق للطباعة، قم – إيران، والنشر، ط/٧، ٢٠١٩ م.

• البلاغة فنونها وافنانها علم البيان والبديع، د.فضل حسن عباس، دار الفرقان، إربد – الأردن ، ط/١٠، ٢٠٠٥ م.
• البيان بلا لسان دراسة في لغة الجسد، د.مهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/١، ٢٠٠٧م.
• البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحرو الجاحظ (ت٢٥٥ هـ)، تح/ د.عبد السلام محمد هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة –مصر .
• تاج العروس من جواهر القاموس السيد مرتضى الحسيني الزبيدي(ت١٢٠٥هـ)، تح/د.عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٤م.
تاج العروس من جواهر القاموس السيد مرتضى الحسيني الزبيدي(ت١٢٠٥هـ)، تح/ د.مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٣م
• تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون، جيل جوتيه، تر/ محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية ، ط/١، ٢٠١١م .
• التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق د.حمو النقاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط - المغرب، ط/١ ، ٢٠٠٦م.
• التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
• التحقيق في كلمات القران الكريم، حسن مصطفوي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران – إيران، ١٣٩٣هـ.
• التحليل الحجاجي للخطاب بحوث محكمة، إشراف وتقديم/ د.أحمد قادم، د.سعيد العوّادي، دار كنوز المعرفة، عمّان - الأردن، ٢٠١٦ م.
• تحليل الخطاب، ج.ب براون ، ج.يول، تر/ محمد لطفي الزليطي، منير التركي، جامعة الملك سعود، السعودية،١٩٩٤م.
• تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين(الزمن-السرد-التبئير)، المركز الثقافي العربية للطباعة والنشر، بيروت –لبنان، ط/٣، ١٩٩٧.
• تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، د.محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان ط/٣، ١٩٩٢م.
• تحليل الخطاب في كتاب سيبويه دراسة في المرجعيات والآليات، د.رحيم مجيد راضي، دار كنوز المعرفة، عمّان –الأردن، ط/١، ٢٠٢١م.
• تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، د.عمر بلخير، دار الأمل، تيزي وزو، ط/٢ .

• تحليل الخطاب وتجاوز المعنى نحو بناء نظرية المسالك والغايات، د.محمد محمد يونس علي، داركنوز المعرفة، عمّان –الأردن، ط/١، ٢٠١٦م.
• تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل الى تحليل الخطاب النبوي الشريف، د.حسام أحمد قاسم، دار الآفاق العربية القاهرة - مصر، ط/١، ٢٠٠٧ .
• التداوليات علم استعمال اللغة، تقديم د.حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد -الأردن، ط/١، ٢٠١١م.
• التداوليات وتحليل الخطاب بحوث محكمة، الإشراف والتقديم د.حافظ إسماعيل علوي، د.منتصر أمين عبد الرحيم، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان - الأردن ط/١، ٢٠١٤م.
• التداولية البعد الثالث في سيموطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، د.عيد بلبع، داركنوز المعرفة، عمان -الأردن ،ط/٤، ٢٠٢١م.
• التداولية بين النظرية والتطبيق، أحمد كنون، دار النابغة للنشر والتوزيع، القاهرة –مصر ، ط/١، ٢٠١٥م.
• التداولية جورج يول، تر/قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان ط/١، ٢٠١٠م.
• تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب، آن روبول ، جاك موشلار، تر/ لحسن بوتكلاي ، دار كنوز المعرفة، عمان -الأردن ، ط/١ ، ٢٠٢٠م.
• التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د.مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت – لبنان ، ط/١، ٢٠٠٥م.
• التداولية من أوستن الى غوفمان .فيليب بلانشيه، تر/صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية - سوريا، ط/١ ،٢٠٠٧م.
• التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق- سوريا، ط/١، ٢٠٠٨م.
• التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول ، جاك موشلار، تر/ سيف الدين دغفوش، محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان، ط/١، ٢٠٠٣م.
• التصوير الساخر في القرآن الكريم، د.عبد الحليم حفني، الهيأة المصرة العلمية للكتب، مصر، ١٩٩٢م.
• التفسير البسيط، علي بن أحمد بن محمد الواحدي(ت٤٦٨هـ)، تح/ محمد بن صالح بن عبدالله الفوزان، ١٤٣٠هـ، سلسلة الرسائل الجامعية، المملكة العربية السعودية.
•تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مراجعة أحمد عمر هاشم/ مطابع دار أخبار اليوم، ١٩٩١م.
• تفسير غريب القرآن، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني(١١٨٢هـ)، تح/ محمد صبحي بن حس حلاق، دار ابن كثير، دمشق- سوريا، ط/١، ٢٠٠٠م.

• التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين المشتهر بخطيب الري(ت٦٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط/١.
• تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي(٤٠٦هـ)، تح/ محمد عبد الغني حسن، دار الأضواء بيروت –لبنان، ط/٢، ١٩٨٦م.
•التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، ضبط وشرح / د.عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، بيروت–لبنان،١٩٠٤م.
• التواصل الإنساني دراسة لسانية، د.محمد إسماعيلي علوي، كنوز المعرفة، عمّان - الأردن، ط/١، ٢٠١٣م.
• الجامع لإحكام القران الكريم، أبو عبدالله بن محمدبن أبي بكر القرطبي(٦٧١هـ)، تح/د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط/١.
• جمالية الخطاب في النص القرآني قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار، القاهرة -مصر، ط/١، ٢٠١٤م.
• الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي(٧٤٩هـ)، تح/ د.فخر الدين قباوة، د.محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٢م.
• الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، د.محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط/١ ،٢٠٠٨م.
• الحجاج في التواصل، فيليب بروطون، تر/ محمد مشبال، عبدالواحد التهامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر ، ط/١، ٢٠١٣م.
• الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د.سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط/٢، ٢٠١١م.
• الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، د.عبدالله صوله ، دار الفارابي، بيروت - لبنان ، ط/١ ،٢٠٠١م.
•الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف د.حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ط/١، ٢٠١٠م.
• الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، د.أمينة الدهري، المدارس، الدار البيضاء – المغرب، ط/١، ٢٠١١م.
• الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، د.رشيد الراضي ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط/١، ٢٠١٠م.
• الحجاج ووسائلة البلاغية في النثر العربي القديم، د.أيمن أبو مصطفى، دار النابغة، طنطا - مصر ، ط/١ ،٢٠١٨م.

• حفريات المعرفة، ميشيال فوكو، تر/سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط/٢، ١٩٨٧م.
• حقول سيميائية السيميائيات الاجتماعية- سيمائيات المسرح- سيميائيات التلقي، إعداد وترجمة/ محمد التهامي العماري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس مطبعة آنفو- برانت، المغرب، ٢٠٠٧.
• الحوار في القرآن الكريم قواعده – أساليبه - معطياته ، محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت – لبنان، ط/٥، ١٩٩٦م.
• الخازن المسمّى لباب التأويل في معني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ضبط وتصحيح، عبدالسلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/١ ، ٢٠٠٤م.
• الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّي، تح/ الشربيني شريدة، دار الحديث القاهرة - مصر، ٢٠٠٧م.
• الخطاب والتغير الاجتماعي، نورمان فيركلف، تر/ محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة - مصر، ٢٠١٥م.
• خطاب السلطة في القرآن الكريم، د.رياض كريم العمري، دار الخليج ، عمّان - الأردن، ط/١ ، ٢٠٢١م.
• الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مؤيد عبيد آل صوينت، مكتبة الحضارات، بيروت-لبنان، ط/١، ٢٠١٠م.
• الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، د.خلود العموش، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط/١، ٢٠٠٨م.
• الخطاب اللساني العربي هندسة التواصل الإضماري من التجريد إلى التوليد، د.بنعيسى عسو أزاييط، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط/١، ٢٠١٢م.
• الخطاب الموسّط مقاربة وظيفية موحّدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات، د.أحمد المتوكل، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة – الجزائر، ط/١، ٢٠١١م.
• الخطاب وخصائص العربية دراسة في البنية الوظيفة والنمط، د.أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان، ط/١، ٢٠١٠ م.
• الخطاب والسلطة، تون فان دايك، تر/ غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط/١، ٢٠١٤م.
• الخطاب والنص المفهوم –العلاقة – السلطة، د.عبد الواسع الحميري، المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، ط/٢، ٢٠١٤ م.

• الخير والشرّ في الفلسفة الإسلامية دراسة مقارنة في فكر ابن سينا، منى أحمد محمد أبو زيد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، ط/١، ١٩٩١ م.
• دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات، د.شكري المبخوت، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت -لبنان، ط/١، ٢٠١٠ م.
• دائرة الحوار ومزالق العنف كشف أساليب الإعنات والمغالطة مساهمة في تخليق الخطاب، د.محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب، ٢٠٠٢م.
• دلائل الإعجاز، أبو بكر عبدالقاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي(ت٤٧١هـ، أو٤٧٤هـ)، تح/ محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي– مطبعة المدني، (د. ط).
• دليل الناقد الأدبي، د.ميجان الرويلي، د.سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط/٣، ٢٠٠٢م.
• دينامية النص تنظير وإنجاز، د.محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط/٢ ،١٩٩٠م.
• ديوان لبيد بن ربيعة شرح الطوسي، تح/ حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط/١، ١٩٩٣م.
• رسائل الإمام علي في نهج البلاغة دراسة حجاجية، د.رائد مجيد جبّار الزبيدي، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة - العراق ط/١، ٢٠١٧م.
• رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي(٧٠٢هـ)، تح/ أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
• الرمز والسلطة، بيير بورديو، تر / بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء - المغرب، ط/٣، ٢٠٠٧م.
• روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي(ت١٢٧٠هـ)، إدارة الطبعة المنيرية دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان.
• سيكولوجية الاتصال والإعلام ، د.عبد الفتاح محمد دويدار، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية - مصر ، ١٩٩٩م.
• السيمولسانيات وفلسفة اللغة بحث في تداوليات المعنى والتجاوز الدلالي، د.عبدالسلام إسماعيلي علوي،دار كنوز المعرفة ، عمان - الأردن، ط/١، ٢٠١٧م.
• السيمياء والتأويل ، روبرت شولز، تر/سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ط/١، ١٩٩٤م.
• السيميائيات دراسة الأنساق السيميائية غير اللغوية، بييرجيرو ، تر/ د.منذر عياشي، دار نينوى، دمشق – سوريا ، ط/١، ٢٠١٦م.

• السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، د.سعيد بنكَراد، دار الأمان ، منشورات ضفاف، بيروت - لبنان ،ط/١ ، ٢٠١٥م.
• السيميائية وفلسفة اللغة امبرتو إيكو، تر/ أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت - لبنان ، ط/١ ٢٠٠٥م.
• السيميولوجيا والتواصل، إيريك بويسنس، تر/ جواد بنيس، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر ط/٢، ٢٠١٧م.
• شرح المفصل ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي(ت٦٤٣هـ)، المطبعة المنيرية، مصر(د. ت).
• الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/٢، ٢٠٠٧م.
• الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري(ت٣٩٨هـ)، تح: محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة – مصر، ٢٠٠٩م.
• صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم/ د.محمود توفيق محمد سعد، مطبعة الأمانة، الجيزة - مصر، ط/١٩٩٣م.
• ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، د.عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق –سوريا، ط/١، ١٩٧٥م.
• الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، د.إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت ،١٩٩٠م.
• الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز، يحيى بن حمزة بن إبراهيم العلوي(٧٤٥هـ)، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقتطف - مصر ١٩١٤م.
•الطغيان السياسي وسُبُل تغييره من المنظور القرآني، د.عبدالرحمن عمر اسبيندار، مركز البحوث والدراسات في الجامعة الإسلامية ماليزيا، ط١، ٢٠٠٥م.
• العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال/ د.محمد العبد، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، ط/١، ٢٠٠٧م.
• العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، المركز الوطني للترجمة، تر/صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة – مصر، ط/١، ٢٠١١.
• على طريق التفسير البياني، د.فاضل صالح السامرائي، كلية الآداب والعلوم جامعة الشارقة، ٢٠٠٢م.
• العلاقات العامة والإتصال الإنساني، د.صالح خليل أبو اصبع ،دار الشروق، عمّان-الأردن، ط/١ ، ١٩٩٨م.
• علم الدلالة ، د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب ، القاهرة - مصر، ط/٦ ،٢٠٠٦م.
• علم اللغة الاجتماعي، هدسون، تر/محمد عيّاد، عالم الكتب، القاهرة - مصر، ط/١، ١٩٩٠م.

• علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د.عبد الفتاح فيود بسيوني، مؤسسة المختار، القاهرة – مصر ط/١،٢٠١٥م.
• عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواص والحجاج، د.عبدالسلام عشير، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب، ط/٢ ، ٢٠١٢م.
• العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، د.عزّالدين الناجح، مكتبة علاء الدين، صفاقس - تونس، ط/١ ،٢٠١١م.
• فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني(١٢٥٠هـ)، تح/ يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط/٤ ، ٢٠٠٧م.
• الفراسة قراءة البشر عن بعد ، أحمد بهيج، مكتبة الهلال للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر.
• فقه اللغة وأسرار العربية، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، ضبط وتعليق ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية بيروت - لبنان، ط/٢ ،٢٠٠٠م.
• الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي العقليون أو الذوقيّون أو النظر والعمل، د.أحمد محمود صبحي، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط/٢.
• فن الاتصال ، برت دكر، تر/ عبدالرحمن بن هادي الشمراني ، إشرف على الترجمة/ إبراهيم بن حمد القعيد، دار المعرفة للتنمية البشرية، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض – السعودية.
• في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د.طه عبد الرحمن المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب ، ط/٢، ٢٠٠٠م.
• في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، د.علي محمود الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، ط/١ ،٢٠١٠م.
• في التداولية المعاصرة والتواصل، أ.مولز-ك. زيلتمان-ك أوريكيوني، تر/ محمد نظيف، إفريقيا الشرق،٢٠١٤م.
• في التواصل التكاملي (فصول من التناظر بين الفكر العربي والفكر الغربي). د.العياشي أدواري، دار الأمان الرباط - المغرب، ط/١، ٢٠١٤م.
• في ظلال القرآن، سيد قطب(ت١٩٦٦م)، دار الشروق، القاهرة - مصر ، ط/٣٢ ، ٢٠٠٣م.
• في القوة والسلطة والنفوذ دراسة في علم الاجتماع السياسي، د.حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مركز الاسكندري للكتاب، مصر، ٢٠٠٧ م.
• في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، د.خليفة بوجادي، جامعة سطيف، الجزائر، ط/١، ٢٠٠٩ م.
• في النحو العربي نقد وتوجيه ، د.مهدي المخزومي ،دار الرائد العربي، بيروت - لبنان ، ط/٢ ،١٩٨٦م.

• القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي٠(ت٨١٧هـ)، تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم القرقوسي، بيروت-لبنان، ط/ ٨، ٢٠٠٥م.
• القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ، أزوالد ديكرو ، جان ماري سشايفر، تر/ منذر عياشي ، المركز الثقافي العربي، معرة النعمان – سوريا، ط/١ ، ٢٠٠٧م.
• القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلار- آن روبول، تر/ مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، دار سيناترا، تونس، ٢٠١٠م.
• القصص القرآنية دراسة ومعطيات وأهداف، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق، قم إيران، ط/١، ١٤٢٧هـ.
• قضايا الخطاب في الفكر اللساني والسيميائي ، إعداد وتقديم : د.عبدالسلام إسماعيلي علوي ، داركنوز المعرفة، عمان الأردن، ط/١ ،٢٠١٩ م.
• قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، د.أحمد المتوكل، دار الأمان ، الرباط – المغرب ، ١٩٩٥ م.
• قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية المكونات أو التمثيل الصرفي – التركيبي ، د.أحمد المتوكل ، دار الأمان، الرباط – المغرب.
• قضية الخير والشر لدى مفكري الإسلام، د.محمد السيد الجليند ، دار قباء الحديثة، القاهرة -مصر، ط/٦، ٢٠١٠م.
• الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر المشهور سيبويه، تح/ عبد السلام محمدهارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط/٣، ١٩٨٨م.
• كتاب العين، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال(د.ط).
• الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، تح / خليل مأمون شيحا، مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية ، ط/١، ١٩٩٨م.
•الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي(ت١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م)، مؤسسّة الرسالة، بيروت-لبنان، ط/٢، ١٩٩٨ م.
• الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية ، محمود شاكر القطّان ، كلية التربية المدينة المنورة جامعة الملك عبد العزيز – السعودية ،١٩٩٣م.
• الكناية والتعريض، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي(ت٤٢٩هـ)، تح/عائشة حسين فريد ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيعن القاهرة - مصر ،١٩٩٨م.
• لباب التأويل في معاني التنزيل المسمّى تفسير الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، ضبط وتصحيح/عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط/١، ٢٠٠٤م.

• اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمرو بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تح/ عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٩٩٨م.

• لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور(ت٧١١هـ) تح / أمين محمد عبدالوهاب، محمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث، بيروت – لبنان، ط/٣ ، ١٩٩٩م .

• اللسان والميزان والتكوثر العقلي، د.طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط/١، ١٩٩٨م.

• لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، د.عبد الفتاح أحمد يوسف، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط/١، ٢٠١٠م.

• اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، د.سمير شريف استيتية، عالم الكتب الحديث، إربد -الاردن، ٢٠٠٨م.

•لغة الحوار في القرآن الكريم دراسة وظيفية أسلوبية، د.فوز سهيل كامل، الجوهرة للنشر والتوزيع، عمّان - الأردن ، ط/١ ،٢٠٠٣ م.

• اللغة والحجاج ، د.أبو بكر العزاوي ، العمدة في الطبع، الدار البيضاء - المغرب ، ط/١، ٢٠٠٦م.

• اللغة والخطاب ، د.عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر ، ط/١، ٢٠١١م.

• اللغة والسلطة، نورمان فير كلف، تر / محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة –مصر، ط/١.

• اللغة والمجتمع رأي ومنهج، د.محمود السعران، الإسكندرية - مصر، ط/٢ ، ١٩٦٣م.

• لمسات بيانية في نصوص التنزيل ، د.فاضل صالح السامرائي ، دار عمار، عمان -الأردن، ط/٣، ٢٠٠٣م.

• ما الخطاب وكيف نحلّله ، د.عبدالواسع الحميري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ط/٢، ٢٠١٤م.

• ماهي السيميولوجيا، برنار توسان، تر/ محمد نظيف، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط/٢، ٢٠٠٠م.

• ما يقوله كلّ جسد، جونافارو، مارفين كاريلنز، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، ط/٢، ٢٠١٠م.

• مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، تر/ عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب، ٢٠١٣م.

• المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ، محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الأشرف -العراق ،٢٠٠٦م.

• مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت٥٤٨هـ)، دار العلوم، بيروت - لبنان ، ط/١ ، ٢٠٠٥م.
• محاضرات في فلسفة اللغة، د.عادل فاخوري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط/١، ٢٠١٣ م.
• مختصر المعاني، سعد الدين التفتزاني (ت٧٩٢هـ)، دار الفكر، قم – إيران ، ط/١ ،١٤١١هـ
• مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، تر/فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود - السعودية، م١٩٩٩.
• مدخل الى الميتافيزيقيا مع ترجمة للكتب الخمسة الأولى من ميتافيزيقيا أرسطو، عبد الفتاح إمام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة -مصر، ط/١،٢٠٠٥م.
• المراقبة والمعاقبة ولادة في السجن، ميشيل فوكو، تر/ علي مقلد، مراجعة وتقديم مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي ، بيروت - لبنان، ١٩٩٠ م.
• المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، تح/ مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط/٢، ٢٠٠٢م.
• المشيرات المقامية في اللغة العربية، د.نرجس باديس، مركز النشر الجامعي، منوبة - تونس، ٢٠٠٩.
• المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي(ت، تح/عبدالعظيم الشناوي، دار المعارف القاهرة – مصر، ط/٢.
• المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، دومينيك مانغنو، تر/ محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت – لبنان، ط/١، ٢٠٠٨م.
• المضمر، كاترين كيربرات أوريكيوني، تر/ ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت - لبنان، ط/١ ، ٢٠٠٨م.
• معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السّري الزجاج(ت٣١١هـ)، تح/ د.عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت – لبنان، ط/١، ١٩٨٨م.
• معاني النحو، د.فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر، عمّان – الأردن، ط/١، ٢٠٠٠م.
• معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات، دار إحياء التراث، مصر، ١٩٨٨م.
• معجم تحليل الخطاب باتريك شارودو – دومينيك منغنو، تر/د.عبدالقادر المهيري، د.حمادي صمود، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس،٢٠٠٨م.
• معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني(ت٨١٦هـ)، تح/ محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة -مصر.

• معجم السيميائيات ، فيصل الأحمر ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، ط/١ ، ٢٠١٠م.
• معجم المصطلحات النحوية والصرفية، د.محمد سمير اللبدي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان ، ط/١، ١٩٨٥م.
•المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، د.جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، ١٩٨٢م.
• المعجم الموسوعي لألفاظ القران الكريم وقراءاته ، د.أحمد مختار عمر، مؤسسة سطور المعرفة، الرياض - السعودية ،ط/١، ٢٠٠٢م.
• معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، تح: د.عبد السلام محمد هارون/ دار الفكر للطباعة، ١٩٧٩م.
• المعرفة والسلطة مدخل لقراءة فوكو، جيل دلوز، تر/ سالم يفوت، المركز الثقافي العربي بيروت - لبنان، ط/١، ١٩٨٧م.
• المعرفة والسلطة، ميشيال فوكو، تر/عبدالعزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط/١، ١٩٨٧.
• المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، د.محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت - لبنان، ط/٣، ٢٠٠٧م.
• المغالطات المنطقية فصول في المنطق غير الصوري، عادل مصطفى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة - مصر، ط/١، ٢٠٠٧ م.
• مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، ١٩٩١م.
• مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكرمحمد بن علي السكّاكي(ت٦٢٦هـ)، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ،ط/١، ١٩٨٣م.
• المفردات في غريب القران. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني(ت٥٠٢هـ)، تح/ إبراهيم شمس الدين، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط/١ ،٢٠٠٩م.
• مقالات في تحليل الخطاب، تقديم د.حمادي صمود، كلية الآداب والفنون في جامعة منوبة، وحدة البحث في تحليل الخطاب، منوبة - تونس، ٢٠٠٨ م.
• المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)، تح/ كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الرشيد،١٩٨٢م.
• مقدمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل، تر/ عزالدين إسماعيل، المكتبة الاكاديمية، القاهرة - مصر، ط/١، ٢٠٠١م.

• المكنز الكبير معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادات، د.أحمد مختارعمر، سطور، الرياض - السعودية، ط/١، ٢٠٠٠م.
• الملفوظية، جان سيرفوني، تر/ قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق - سوريا، ١٩٩٨م.
• من بلاغة القرآن في مجادلة منكري البعث، بدرية بنت جميل بنت حسن العثمان، دار الراية للنشر، الرياض - السعودية، ط/١، ١٣١٧هـ.
•من تحليل الخطاب إلى بناء الخطاب رؤية في توظيف اللغة أداة للتغيير والتطوير، د.عبدالله بن محمد المفلح، كنوز المعرفة عمّان الأردن،٢٠١٧م.
• من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، د.جميل حمداوي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء - المغرب،٢٠١٤م.
• المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، د.أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط - المغرب، ط/١، ٢٠٠٦م.
• منطق السلطة مدخل إلى فلسفة الأمر ، ناصيف نصّار، دار أمواج ، بيروت- لبنان، ط/٢ ،٢٠٠١م.
• منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب دراسة وصفية في نماذج من القرآن والشعر، د.عمار ساسي، عالم الكتب الحديث ، إربد - الأردن، ط/١، ٢٠١١م.
• مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري(ت١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، دار التفسير، قم - إيران ، ط/٥، ٢٠١٠م.
• موسوعة الفلسفة، د.عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان ،ط/١، م١٩٨٤م.
• موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي (ت١١٩١هـ)، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط/١، ١٩٩٦م.
• موسوعة النظريات الأدبية، د.نبيل راغب، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، الجيزة - مصر، ط/١، ٢٠٠٣م.
• الميزان في تفسير القران، محمد حسين الطباطبائي(ت ١٣٢١هـ-١٩٨١م) ، مؤسسة الأعلمي بيروت – لبنان ، ط/١ ، ١٩٩٧م.
• نحو نظرية حجاجية إدراكية في تلقي الخطاب، د.عبدالمجيد الغيلي، دار نينوى، ط / ١، دمش - سوريا، ٢٠٢٠م.
• النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، عبّاس حسن، انتشارات ناصر خسرو طهران - إيران، ط/٧، ١٤٢٥هـ.
• نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر زناد، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط/١، ١٩٩٣م.
• النص والخطاب والاتصال، د.محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة - مصر، ٢٠١٤م.
• النص والخطاب والإجراء، روبورت دي بوجراند، تر/ د.تمّام حسّان، عالم الكتب ، القاهرة - مصر، ط/١، ١٩٩٨م.

• النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، تر/ عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠م.
• نظريات في أساليب الإقناع دراسة مقارنة ، د.علي رزق ، دار الصفوة ، بيروت – لبنان، ط/١ ،١٩٩٤م.
• نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ، هاشم الطباطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت ،١٩٩٤م.

• نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات، أوستين، ترجمة عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ١٩٩١م.
• النظرية البراجماتية اللسانية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، د.محمود عكاشة، كتبة الآداب، القاهرة- مصر، ط/١، ٢٠١٣م.
• النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة ، د.أحمد فهد صالح شاهين، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن ،ط/١، ٢٠١٥ م.
• نظرية التلويح الحواري، بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، د.هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط/١، ٢٠١٣م.
• النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية ، د.محمد طروس ، دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، ط/١ ،٢٠٠٥ م.
• النظرية السياسية مقدمة، أندرو هيوود، تر/ لبنى الريدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة - مصر، ط/١، ٢٠١٣م.
• نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(ت٨٨٥هـ-١٤٨٠م)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - مصر،١٩٨٤م.
• نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، د.هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط/١، ٢٠٠٧م.
• النكت والعيون تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري(ت٤٥٠هـ)، علّق عليه/ السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
• الوصائل في تحليل المحادثة دراسة في استراتيجيات الخطاب، خليفة الميساوي، عالم الكتب الحديث إربد -الأردن، ط/١ ،٢٠١٢م.
• الوظائف التداولية في اللغة العربية، د.أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، ط/١، ١٩٨٥م.
• الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، د.يوسف تغزاوي، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، ط/١، ٢٠١٤م.

الرسائل والأطاريح:

• آليات الحجاج في الخطاب السياسي الرسائل السياسية للأمير عبد القادر نموذجاً، لعرباوي نورية، إشراف/د .مفلاح بن عبدالله، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجمهورية الجزائرية، ٢٠١٨م.

• الآيات الواردة في الكفار دراسة عقدية تحليلية ، تمرة بنت ظافر بن محمد بن سعيد آل سلمان الشهري، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف/د. علي حسين يحيى موسى، جامعة الملك خالد/ المملكة العربية السعودية، ، ٢٠٠٩م.

• استراتيجيات الخطاب عند الشيخ الإبراهيمي مختارت من آثاره مقاربة تداولية ، سفيان مطروش ، أطروحة دكتوراه، إشراف/د. سليمان بن سمعون، كلية الآداب واللغات، الجزائر .٢٠١٩م.

• استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، دليلة قسيمة (رسالة ماجستير مخطوطة) إشراف/د. محمد بو عمامة، كلية الآداب واللغات، الجمهورية الجزائرية، ٢٠١٢م.

• استراتيجيات الخطاب في القرآن الكريم مقاربة تداولية في خطاب أولي العزم من الرسل، شفيقة طوبال، رسالة ماجستير مخطوطة إشراف/د. عيسى لحيلح، جامعة محمد الصديق بن يحيى، الجمهوية الجوائرية ٢٠١٦م.

• الاقتضاء اللغوي في الخطاب القرآني دراسة تداولية، سجية طبطوب، إشراف/ د.صلاح الدين رزال، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين سطيف٢، الجمهورية الجزائرية، ٢٠٢٢م.

• الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام مقاربة تداولية، بو صلاح فايزة، إشراف/د. بن عيسى عبدالحليم، رسالة ماجستير الجمهورية الجزائرية، ٢٠١٠م.

• التشبيه في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، سلامة جمعة عطا، (رسالة ماجستير مخطوطة) إشراف/د. زهير المنصور، جامعة مؤته، الأردن ،٢٠٠٤م.

•التواصل غير اللفظي في الإبانة والتواصل نماذج تطبيقية ومقولات كلية ، سلاف شهاب الدين يغمور(رسالة ماجستير) إشراف/ د. مهدي عرار ، كلية الآداب جامعة بيرزيت فلسطين ،٢٠١٩م.

• الحجاج في كلام الإمام الحسين ، عايد جدوع حنون ، أطروحة دكتوراه، أشراف/ د.حامد الظالمي، كلية التربية جامعة البصرة،٢٠١٣م.

• خطاب الأنبياء في القرآن الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية، عبد الصمد عبدالله محمد (رسالة ماجستير مخطوطة)إشراف/ د.عبد اللطيف خليف، كلية اللغة العربية المملكة العربية السعودية،١٩٩٥م.

• الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة دراسة تداولية، ابتسام بن خراف(أطروحة دكتوراه)، إشراف/ د.السعيد بن إبراهيم، ، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجمهورية الجزائرية، ٢٠١٠م.

• الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري، واضح أحمد، إشراف/ د. لزعر مختار، (أطروحة دكتوراه)، الجمهورية الجزائرية، جامعة وهران، ٢٠١٢م.

• دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم، عائشة عبيزة (أطروحة دكتوراه) بإشراف/ د.السعيد هادف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الجمهورية الجزائرية، ٢٠٠٩م.

• دلالة الحركات الجسدية في الخطاب القرآني، ولد النبيه يوسف(أطروحة دكتوراه) ، إشراف/ د. عشراتي سليمان جامعة وهران ، الجمهورية الجزائرية ، ٢٠١١م.

• ردود القرآن على شبهات أقوام الأنبياء دراسة موضوعية، عبد الرحمن نصر مراد، إشراف/ د.محمود هاشم عنبر، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة،٢٠٢١ م.

• الروابط والعوامل الحجاجية في ديوان أمل دنقل، زينب نمر،(رسالة ماجستير مخطوطة) إشراف/ د. صالح بوترعة، جامعة العربي بن مهيدي (أم البواقي) الجمهورية الجزائرية، ٢٠١٨م.

• شخصية فرعون في القرآن الكريم، قاسم توفيق قاسم خضر(رسلة ماجستير) إشراف/ د.محسن الخالدي، جامعة النجاح، فلسطين، ٢٠٠٣م.

• لغة الحديث النبوي وفق استراتيجيات الخطاب(كتاب اللؤلؤة والمرجان إنموذجاً)، رضوان عبد الكريم الطاهر، (رسالة ماجستير) إشراف/د. سمير شريف استيتية، كلية الآداب ،جامعة اليرموك، ٢٠١٦م.

• المصطلح الإعلامي العربي دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، بوكلخة صورية، إشراف/ د.أحمد عزوز، رسالة ماجستير، جامعة وهران الجزائر٢٠٠٨م.

الدوريات:

• الاتصال الصامت وعمقه التأثيري في الآخرين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، عودة عبد عودة، مجلة المسلم المعاصر، العدد/١١٢، ٢٠٠٤م.

• أدب التخاطب مبادؤه وقواعده واستراتيجياته ، د.هاتف بريهي شياع. مجلة العلوم الإنسانية .كلية التربية للعلوم الإنسانية . مجلد /٢٣ ، العدد ٣ ، أيلول ٢٠١٦م.

• الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية ، د.إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإنسانية، مج/٨ العدد/١٥ ،٢٠١٤م.

• استراتيجيات الحجاج المغالط وأساليبه في التراث العربي، بوغزالة محمد عبدالحميد ، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج/١١،العدد/٢ ،٢٠١٩م.

• استراتيجيات الخطاب في صبح الأعشى للقشلقندي، موسى طهراوي، كاهنة دحمون، مجلة المحترف، الجزائر، مج/٨، العدد/١ ، ٢٠٢١ م.

• الاستراتيجية التلميحية في رواية الثلاثة دراسة في الوظائف التداولية، د.إبراهيم براهمي، اللسانيات واللغة العربية، العدد/٩ ، ٢٠١٤ م.

• الاستعارة بين الدلالة والتداولية دراسة لسانية في الحديث النبوي، غصاب منصور الصقر، مجلة أنساق ،مج/٣، العدد /١،و٢ ، ٢٠١٨-٢٠١٩ ، دار نشر جامعة قطر .

• الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني (مقاربة تداولية في آيات من سورة البقرة) ،عيسى تومي ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب ،مج/٨ ، العدد /١ ٢٠١٩م.

• الاستلزام الحواري في صبح الأعشى التصريح والتلميح/ موسى طهراوي، اشراف د.كاهنة دحمون، مجلة المدونة، الجزائر مج/٨، العدد/ ٣ ، ٢٠٢١م.

• الاستلزام الحواري المخصّص في الخطاب القرآني(خرق قاعدة الكيف إنموذجاً)، جنان سالم محمد البلداوي، إشراف/ د.زينب عبدالحسين الملا السلطاني، الخطاب، مج/١٧، العدد/١، ٢٠٢٢م.

• الاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم، د.عماد عبد يحيى الحيّالي، د.أشواق إسماعيل محمد النجّار، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج/١٥، العدد/١ ، ٢٠٠٨م.

• الاقتضاء في التداول اللساني، د.عادل فاخوري، مجلة عالم الفكر، العدد/٣ ، (بحث منشور)١٩٨٩م.

• التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية، دلخوش جار الله حسين دزه يي، مجلة جامعة زاخو، مج/٣، العدد/٢، ٢٠١٥م.

• تشكُّل أنواع الاستراتيجيات الخطابية –دراسة في الأهداف والوسائل، حمدي منصور جودي، كلية الآداب واللغات ،الجزائر، جوان ، العدد/٢١، ٢٠١٧م.

• التعبيرالاصطلاحي في اللغتين العربية والإنكليزية دراسة دلالية تقابلية ، د. يوسف عليان ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج/١١ ، العدد/ ١، ٢٠١٥م.

• تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، د.محمد العبد، مجلة فصول، العدد/٦٥، ٢٠٠٥م.

• التقنيات الحجاجية عند بيرلمان وتيتيكاه ومقاصدها التداولية، عبد الغاني تريكي، مجلة أبوليوس، مج/٩، العدد/١، ٢٠٢٢م.

• تهديد وجه المتلقي وانتهاكه في الخطاب العلوي نهج البلاغة اختياراً ، د.علي فرحان جواد، مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، العدد/٢، المجلد /١٣ ،٢٠٢٠م.

• تمثلات اللغة في الخطاب السياسي، د.عيسى عودة برهومة، عالم الفكر، مج/٣٦، العدد/١، ٢٠٠٧م.

• جهود الرماني التداولية في كتابه (معاني الحروف)، إيمان مطر مهدي السلطاني، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مج/١٩ ،العدد/٢ ، ٢٠١٦م.

• الحجاج المُغالط في الخطاب الإعلامي، أسماء مجيدي، رضا زلاقي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج/١٠ ، العدد/٥ ، ٢٠٢١م.

• الحجاج المغالطي في أدب الأخبار، محمد الناصر كحّولي، جذور، العدد/٤٦، رجب ١٤٣٨هـ أبريل٢٠١٧م.

• الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو ، د.رشيد الراضي ،عالم الفكر، العدد/١ ،مج /٣٤ سبتمبر٢٠٠٥م.

• حجاجية عامل النفي في الخطاب التفسيري ابن عاشور إنموذجا، ميلودي عبابسي، مجلة المدوَّنة، مج/٥، العدد/١، ٢٠١٨م.

• الخطاب الحجاجي في رواية (فرعان من الصبار) للراوي خيري شلبي، محمد كمال سرحان، مجلة كلية الآداب جامعة بور سعيد، العدد/١٩، ٢٠٢٢م.

• خطاب الملأ في القرآن الكريم: قراءة في ضوء النقد الثقافي ونظرية الحجاج، دعد رشاش الناصر، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج/١٩، العدد/١ ، ٢٠٢٠م.

• دلالة الاقتضاء بين الأصوليين والتداولية، دراسة في التأويل الصدقي للأقوال، لمين جمعي، إشراف د.محمد بوادي، المعيار، مج/٩، العدد/١ ٢٠١٨م.

• الفعل الكلامي غير المباشر في عيون البصائر للبشير الإبراهيمي، بن عيّاد فتحية مجلة (لغة-كلام)، مج/٦، العدد/٣ ، ٢٠٢٠م.

• الكفاءة التداولية قراءة في الأساس الاجتماعي للخطاب، د.فريدة موساوي، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية الجزائر، مج/٤، العدد/٤، ٢٠٢١م.

• لغة الجسد في القرآن الكريم، د.عمر عبدالهادي عتيق، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج/٩،العدد/١، ٢٠١٣م.

• اللغة الصامتة في العملية الاتصالية في القران الكريم سورة مريم انموذجا ، د. سعيد درويش، مجلة الإحياء، مجلد/٢١، العدد ٢٨، ٢٠٢١م.

• المظهر التداولي لأسلوب الشرط في النحو العربي، أسامه إبراهيم عمر مجيدة ،مجلة كلية اللغات جامعة طرابلس ، العدد/١٧ ،٢٠٠٦م.

• المغالطات الحجاجية وفن صناعة الجهل في الخطاب السياسي المعاصر دونالد ترامب إنموذجاً، حسين بوفناز، سامية عليوات، مج/٦، العدد/٣، ٢٠١٩م.

• المغالطات في ردود منكري الرسالات ، أيمن أبو مصطفى، سياقات اللغة والدراسات البينية، مج/٢ ، العدد/٥ ،٢٠١٧م.

• المغالطات والسفسطات المنطقية في بخلاء الجاحظ، توفيق شعبان ، د.فتحية بلحاجي، دراسات معاصرة، الجزائر، مج/٥، العدد/٢، ٢٠٢١م.

• المغالطة وحجاج القوة في الخطاب الديني المعاصر(كيب مد الأيادي لبيعة البغدادي لأبي همام بكر الأثري، فاطمة يحيى، سياقات، مج/٢، العدد/٦، ٢٠١٧م.

• مفهوم الخير والشرّ في الفكر الإنساني عند بعض الفلاسفة ، سمية الطيب الطاهر عمران ، مجلة كلية الاداب، جامعة الزاوية ، العدد ٢٩، ج/ الأول ، يونيو ٢٠٢٠م.

• الملأ في القرآن الكريم ودوره في فساد المجتمعات وصلاحها، ومنهج القرآن في إصلاح هذا الفساد، آمال خميس عبد القادر حمّاد، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث، العدد/٣٥، ٢٠١٥م.

• النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، د.محمد العبد، فصول، العدد/٦٠صيف-خريف٢٠٠٢م.

• نظرية الأفعال الكلامية من التأسيس إلى التنظير(جهود أوستن و سيرل)، عاشور جميلة، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، مج/٥، العدد/١٢ ، ٢٠١٧م.

• وسائل التوجيه اللغوية في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي مقاربة حجاجية، محمد شكيمة، مجلة أبوليوس، مج/٧، العدد٢، ٢٠٢٠م.

Abstract

The study is based on the deliberative approach as an analysis in finding out speech strategies, so the preface is entitled with (The authority of evil discourse on the unbelievers in the Holy Qur'an), and the first chapter came under the title: (The Guiding Strategy) including two chapters and a theoretical introduction to the concept of the guiding strategy. Demanding strategies such as command, call, offer, incitement, and prohibition, and the other topic came in the guidance By mentioning the consequences and the words of the lexicon, and explaining the guidance by mentioning the consequences for the unbelievers, and from the consequences that were mentioned as guidance

For the unbelievers the consequence of expulsion, imprisonment, stoning, loss, and torture.

The second chapter came (the allusive strategy), the first topic included the contents of the saying,

(Dialogue Implications, and Required), and the study dealt with Dialogic Implications in theorizing and application of the Principles of Grace In communicating with the unbelievers by alluding to the necessary meanings, as for the requirement, it was exposed because it is conscious in its application.

On the discourse of evil among the unbelievers, and I elaborated on the communicative necessity, because it requires a specific and focused context. On the principles of Grace, as for the second topic, the first dealt with linguistic mechanisms (hints, expression idiomatic), and figurative mechanisms (metaphor, metonymy, and exposure). The third chapter, entitled (The Persuasion Strategy), began with a theoretical introduction to the concept of persuasion, then the topic The first dealt with linguistic and graphic mechanisms, so it was limited to linguistic mechanisms on argumentative factors and links; Because they relied on it a lot in the strategy of persuasion, and for the clarity of the evil intentions in it, and from the graphical mechanisms (similarity and metaphor) only, due to the lack of graphical mechanisms in the discourse of the unbelievers, and the second topic came under the title (persuasion).

By fallacy), in which he mentioned the most important false arguments that were intended to be persuaded, including: (Personal argument, and what happened with it)

Action, the fallacy of irony, appeal to authority, public argument, argument with ignorance, fallacy

The indirect consequence, and the fallacy of a false cause).

The fourth chapter came under the title: (Other Strategies), in which two strategies were divided into two sections. The first topic came the solidarity strategy, preceded by a theoretical introduction in its concept, and then divided into two parts, Linguistic strategies represented by flags and signs, and relational strategies that were distributed between the consultation and self-blame. As for the second topic, it was entitled: (The Semiotic Strategy), and it was also preceded by a theoretical subject with its concept in The Qur'an, and in the discourse of evil among the unbelievers as it represents non-linguistic communication and one of the physical movements which represented this strategy within nonverbal communication eye movement, hand movement, face, and head, walking, vocal embroidery, and finally dress and adornment.

researcher

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific

AL-Muthanna University\ College of Education for Human Sciences

Department of Arabic Language

Strategies of evil discourse at the unbelievers in the Holy Qur'an

A Thesis

Submitted to the Council of the College of Education for Humanities

University of AL-Muthanna in Partial fulfillment for Requirements of the،

Degree of Master of Arabic Language and its Literature\Language

By

Abdul ameer Hassan Khayoon

Supervised By

Prov. Dr. Ali Farhan Jawad